

الفصل

مجلة شافيت شحرية
AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 51 JULY 1981.

مجلة الفصل العدد (٥١) - رمضان ١٤٠١ هـ السنة الخامسة - تموز (يوليو) ١٩٨١ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفیصل الثقافية

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

العدد ١١٠ - السنة ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

فهرس العدد

- ١ من كتاب هذا العدد
٢ الحركة الثقافية في شهر
١٥ الطريقة لتل دراسة اللغة الإسلامي ٤- محمد محروس للتدريس
١٩ حلة شيك .. في نظام التجارة السعودي ٤- إتياس حداد
أشباب الرضف النقي في النظر الإسلامية
٢٦ (عناية القرن الخامس عشر الهجري) ٥- حسن الشرفاوي
التحول في العالم الإسلامي مهناس كيمياي
٢٨ (عناية القرن الخامس عشر الهجري) محمد عبد القادر القلي
٢٥ بلاد الشمس للشرق (في بلاد الله) ٥- عبد الطيف أبو السعود
متحف طرباي في إسطنبول (من متاحف العالم)
٤١ (لقاء مع) الشيخ محمد الغزالي عاطف مصطفى
سيرة الرسول صل الله عليه وسلم في كتابات الفقهاء
٤٧ واغفلين (عناية القرن الخامس عشر الهجري) عبد النعم حميس
٦١ قاتح شطر بلاد الروم ومستعد لشر لزمينة اللواء الركن محمود شيت خطاب
٧١ بين شاعرين (قصيدة وقصيدة)
٧٤ أثر الصحراء في الشعر السعودي ٥- عبد الله الخمد
٧٦ شخصية الكليف (بنسبة العام الدولي للمحورين) ٥- ماهر محمود الحواري
٨٣ حضارة العرب (رحلة في كتاب) عروى لندبي : محمود الأرنؤوط
وأخيراً... أطلق مكوك الفضاء (موضوع خاص) مهناس مطر صالح الدين شعبان
٩١ مهناس : جبر صالح الدين شعبان
١٠٤ في رحاب المأذن (لوعة وفاد) ٥- زبيب عبد العزيز
١٠٧ رمضان (قصيدة) محمد منار نظلي
١١٨ مدخل إلى الثقافة العسكرية لواء ركن يوسف إبراهيم السليم
الدراسة المستعصرية في بغداد
١١٦ أول جامعة إسلامية في العالم ٥- محمد حسن صاف
١١٨ كورن وأسود .. وإنسان هذا العصر جلال العشري
١٢٤ لتربة الماريا في عصر النكولويجيا فوزي سلهان
إبراهيم بن العباس الصولي - الأدب الشاعر
١٣١ (صورة من التاريخ) الفرح يحيى عبدالله العلمي
١٣٧ الصيادات والمجاهد (قصة) زهير العلاف
١٣٩ وأخيراً... وجدت السنوسي (مطالعات في الكتب) عبد الرحمن محمد الرديني
١٤٤ دائرة معارف (في اللغة للملكي «العبادات»)
١٤٢ مسابقة حلة الفضل



★ الدراسة المستعصرية في

بغداد تعد أول جامعة إسلامية
كبرى في العالم الإسلامي جمعت
فيها الدراسات الفقهية على
المداهب الإسلامية الأربعة في شابة
واحدة وعينت بدراسة القرآن
والسنة النبوية .

تأسست عام ١٦٢٥ هـ . حيث
تردد عليها طلاب العلم والعلماء
ولقدادوا من كنوزها العلمية والأدبية
نحو قرنين من الزمان - طالع

ص (١١٢) ★



★ «مكوك الفضاء

الأميركي» (كولومبيا) أول رائد
للجيل الثاني من مركبات الفضاء
المأهولة بالرواد ، وهو يمثل الخطوة
الأول على الطريق إلى أرض
مجهولة ، ويعد وسيلة الإنسان
لولوج حقبة «تخجير» الفضاء في
خلفة صالح الإنسان ورفاهه .
وربما حتى تدبير حضارته . طالع

ص (٩١) ★



★ البهتان : «بلاد الشمس

للشرق» حيها الله بالناظر الطبيعية
الخلاقة . تتألف من أربع جزر
رئيسية . بإضافة إلى (٣٥٠٠) جزيرة أصغر حجماً . لغتها مزيج
من الحروف الصينية التي انتقلت
إليها من الصين القديمة . لأهلها
زبي ذو طراز خاص عرف باسم
«الكينوتر» . طالع ص (٣٥) ★

الإدارة، والمصطلحات الفلسفية
وعلم الاجتماع.

★ له ستة مؤلفات منها:
التنظيمات الإدارية والاقتصادية في
القرنين الرابع والخامس الهجريين،
موقف العراق القومي من قضية
الجزر العربية الثلاث.

★ حقق في بعض كتب
الثراث مثل: كتاب الخراج -
لقدامة بن جعفر، رسالة التبيين
على ما وجب من إخراج اليهود من
جزيرة العرب - لعصام الدين
إبراهيم بن عبد القادر.
★ له أربعة كتب تحت
الطبع.



الدكتور محمد حسين عساف
الزبيدي

★ ولد بمدينة «الحلة» -
العراق عام ١٩٣٠ م.
★ دكتوراه في التاريخ
الإسلامي.
★ دكتوراه في التاريخ
السياسي الحديث.

★ أستاذ مساعد في كلية
الآداب بجامعة بغداد.
★ عضو المكتب الدائم لاتحاد
المؤرخين العرب.

★ خبير في جامعة الدول
العربية.
★ حضر عدة مؤتمرات عربية
عن التاريخ العربي، والمؤتمرات
الشعبية، وتدرّس العلوم

التجاري في كلية الحقوق - جامعة
دمشق، ومدرّساً للقانون التجاري
في كلية الاقتصاد والتجارة، ووكيلاً
لكلية الحقوق في الجامعة نفسها،
ثم رئيساً لقسم القانون التجاري.
★ يعمل حالياً استناداً
مساعداً في كلية العلوم الإدارية
بجامعة الرافض، ومستشاراً قانونياً
لرئيس جامعة الرافض.

★ عضو الوحدة القسائونية
للبحرية والمشورة والدراسات بجامعة
دمشق.
★ له عدة بحوث في القانون
التجاري (بري، بحري، جوي).



لواء ركن
يوسف إبراهيم السلوم

★ ماجستير في الإدارة العامة
وماجستير في العلوم العسكرية،
وحاصل على دبلوم الزمالة الدولية
في العلوم العسكرية من كلية
الحرب بالأمريكا، ويحضر لتبيل
شهادة الدكتوراه.

★ عمل في عدد من
الوظائف العسكرية، ويعمل حالياً
مديراً عاماً للتخطيط والميزانية
والمالية بوزارة الدفاع والطيران.
★ له عدد من المؤلفات
المنوعة، وله مجموعة من
المحاضرات والمقالات التي نشرت في
عدد من المجلات - مجلة الإدارة
العامة ومجلة الدفاع، مجلة الجندي
السل، مجلة الحرس الوطني.



الفريق يحيى المعلمي

★ من مواليد جيزان -
المملكة العربية السعودية عام
١٣٤٧ هـ.
★ ماجستير في إدارة الشرطة
من جامعة ولاية ميشغان بالولايات
المتحدة.

★ تدرّج في أعماله الوظيفية
من مدير شرطة في عدة مدن
بالمملكة، إلى مدير التحقيقات
الجنائية بالرياض، فمديراً للمكتب
التفافي بالأمن العام، فمديراً للإدارة
العامة لشؤون الضباط بسوزارة
الداخلية، ثم مديراً للإدارة العامة
للسجون بوزارة الداخلية.
★ يتولى حالياً منصب
«مساعد مدير الأمن العام».

★ ساهم في عدد من
المؤتمرات الدولية في مجال الشرطة
ومكافحة المخدرات.

★ له عدة مؤلفات، منها:
الأمن والمجتمع، الأمن في القرآن،
الشرطة في الإسلام، الأمن
والتخطيط.

★ نشر له عدد من المقالات
والمصائد في الصحف والمجلات
السعودية.
★ يدرّس حالياً في معهد
الإدارة، ويحاضر في الأسبدية
والمعاهد الخاصة بالأمن العام.



عبد الرحمن محمد الرفاعي

★ من مواليد المملكة العربية
السعودية.

★ ليسانس في اللغة العربية
وآدابها - جامعة الإمام محمد بن
سعود الإسلامية - الرياض.
★ يعمل حالياً مدرّساً.
★ عضو مجلس إدارة نادي
جازان الأدبي.

★ له كتاب تحت الطبع
بمنوان «الحبيبي... الحلقة المفقودة
في امتداد عربية الموشح»، هذا إلى
جانب عدد من البحوث في اللغة
والآداب والتقد.



د. الناصر حداد

★ من مواليد حمص - سورية
عام ١٩٤٠ م.
★ دكتوراه دولة في الحقوق -
فرنسا.
★ عمل مدرّساً للقانون

● من خلال هذا الملف سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من إصدارات جديدة .. وتدوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وأدبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب .. بل في «العالم» الإنساني .
 أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. إلى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالمجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى إليها المجلة خدمة القاري .. لإضافتها إلى ما يزودنا به متدبرونا .. والله الموفق ●●

أخبار القاري

- إقامة متحف للآثار التاريخية بمنطقة الأحساء في المملكة العربية السعودية .
- اكتشاف قاموس تاريخي بعدة لغات في اليمن .
- ندوة عالمية عن (الهمداني) تقام في صنعاء .
- موسوعة لأعلام العراق ، وأخرى عن أدباء القصة في مصر .
- السيرة والسنة النبوية في مؤتمر عالمي سيقام بالرباط في المغرب .
- وفاة ثلاثة شعراء عرب .

أخبار العالم

- إقامة معرض عن روائع المخطوطات الإسلامية في لندن .
- الحضارة السومرية والآشورية والبابلية في معرض بباريس .
- قاموس عن الأعشاب الطبية يصدر في اليابان .
- اكتشاف أثري في جيپوتي .
- معرض للتراث والفن العربي في ألمانيا .



أثر تاريخي قديم

أثناء الحفر في (مداوس الزاهر) بمكة المكرمة تم اكتشاف أثر تاريخي قديم لم يحدد تاريخه ، وهو عبارة عن ألواح وألواح عليها بعض الكتابات القديمة ، وربما تعود إلى عصور تاريخية غير معروفة حتى الآن ، وهاتمان هذا الأثر سبقوا عدد من الخبراء وعلماء الآثار بمصابتها لتحديد عصرها .

★ الأمير عبد الله الفيصل ★

ندوة عن التراث الشعبي

عقدت في الرياض تحت إشراف عمادة كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ندوة عن (التراث الشعبي ووجوب المحافظة عليه بالمملكة) اشترك فيها كل من الدكتور عبد الرحمن الأنصاري رئيس قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب بجامعة الرياض ، والدكتور عبد الله حسن مصري مدير عام الآثار والمتاحف بوزارة المعارف ، والدكتور محمد الربيع مدير مركز البحوث المساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، وأحمد حسين شرف الدين خبير التراث بعامة المكتبات بجامعة الإمام ، أدار الندوة الدكتور زكي محمد إسماعيل ، وقد عرض في هذه الندوة فيلم عن الحلفية التاريخية لأثار الملكة .

شعر بني تميم وأمسية شعرية

ذلك هو عنوان المحاضرة التي ألقاها الدكتور عبد الحميد المعيني وذلك تحت إشراف وتنظيم نادي الرياض الأدبي ضمن نشاطه ، وقد دعي إليها جمع من المهتمين ، كما أقام النادي أمسية شعرية لمناسبة من الشعراء هم : محمد التور ، أحمد بركي ، معيض البختان (من السعودية) ، هادي الخفاجي (من العراق) ، راشد علي عيسى (من الخليج) .

معرض فني للخويطي

أقام مدرس التربية الفنية بمتوسطة الإمام علي بن أبي طالب بتبوك سليم سالم الخويطي معرضاً شخصياً ضم العديد من لوحاته الفنية التي تمثل طبيعة المنطقة الشمالية من المملكة العربية السعودية ، وذلك خلال الفترة من ٦/٢٨ إلى ١٤٠١/٧/١ هـ ، بقاعة فندق العمال بتبوك ، وقد افتتح المعرض صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز آل سعود أمير المنطقة .

★ كتب جديدة ★

● «ضياع» : الديوان الثاني للشاعر عاجد الحسيني ، صدر عن النادي الأدبي بالرياض ، وقد سبق أن صدر ديوانه الأول منذ

مخطوطات جامعة أم القرى

دعاً لجامعة أم القرى ، وهي أحدث جامعة تنشأ في المملكة العربية السعودية بمكة المكرمة وتعتبر سابع جامعة ، فقد أعدى صاحب السمو الملكي الشاعر الأمير عبد الله الفيصل عدداً من المخطوطات النادرة لمكتبتها تضم أكثر من ثلاثمائة مخطوطة في مختلف المجالات الدينية والرياضيات والعلوم المختلفة .

متحف للآثار التاريخية

تعتزم جامعة الملك فيصل بالمنطقة الشرقية افتتاح متحف للآثار التاريخية بقرعها بمنطقة (الأحساء) وذلك بهدف خدمة المجتمع ، ومحاولة إعطائه نبذة وافية عن تاريخ بلد من خلال هذا المتحف ، الذي سيحتوي على جميع المعلومات ذات الطابع الحضاري والثقافي للمنطقة ، وجمع المخطوطات وكتب التراث والفنون الشعبية ، والمعلومات الزراعية والحيوانية ، والبحرية والتجارية ، والعمرانية والأجهازية .

ابن إدريس رئيساً لنادي الرياض الأدبي

عين الأستاذ عبد الله بن إدريس الشاعر والأديب السعودي المعروف ، رئيساً لنادي الرياض الأدبي خلفاً لسلاستاد أبي عبد الرحمن ابن عقيل . والمعروف أن ابن إدريس كان أحد أعضاء مجلس إدارة النادي ، وهو شاعر وكاتب معروف سبق أن أصدر أول دراسة عنيت بالشعر المعاصر في مجلد بعنوان «شعراء محمد المعاصرون» منذ أكثر من خمس عشرة سنة . وهو إلى جانب ذلك له مجموعة من القصائد الشعرية المنشورة التي لم يضمها بعد في ديوان . وقد شهد نادي الرياض الأدبي أثناء رئاسة أبي عبد الرحمن نشاطاً كبيراً ولموسماً سواء على مستوى الندوات أو الإصدارات ، حيث التزم النادي بإصدار كتاب شهري بصورة مستمرة ساهمت في إثراء المكتبة السعودية .

كلمة

(٩) الحركة الأدبية في المملكة

كانت الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية تلتفت في السابق إلى المجالات القادرة على إيصال أصوات وعطادات الأدباء والشعراء والمفكرين السعوديين إلى قراء وأدباء العالم العربي الذين يتعطفون إلى التعرف على ماهية الأدب السعودي، ومعالجه، ومعالجة الحاسة المميزة في الوقت الذي تحتل فيه المملكة مركزاً رائداً في السياسة والاقتصاد ومظاهر النهضة العمرانية، وتطور البيئة على المستوى العربي والدولي.

كان ينبغي أن يصاحب هذا الدور أو يسبقه، طلائع فكرية وأدبية تمكس جانباً هاماً من جوانب النهضة، على أساس أن النهضة - أية نهضة - تقوم على عنصرين:

● أحدهما مادي يتمثل في التطور المادي.

● والآخر معنوي يتمثل في التطور الفكري والأدبي والثقافي بكل ما يشتمل عليه من متغيرات نفسية واجتماعية وفردية، وما ينشوق إليه من طموحات لصناعة متغيرات جديدة تشكل البنى الحديثة لتركيبية الاجتماعية بكل أبعادها النفسية والشعورية.

وحيث يغيب أحد العنصرين فإن النهضة الثقافية تصبح نهضة مصابة بالشلل.. خاصة إذا كان العنصر الغائب هو العنصر المعنوي.

وقد تداعت الأصوات الأدبية إلى ضرورة قيام مجالات أدبية تنقل تجربتنا الأدبية والفكرية إلى أشقائنا العرب، مجالات تحقق من خلال التوزيع والشكل والمضمون انتشاراً طلياً في سوق الأدب.. ومع وجود بعض المجالات التي كانت - وما زالت - تصدر مثل مجلة «العرب» لصاحبها الشيخ حمد الجاسر، ومجلة «المبطل» لصاحبها الشيخ عبد القدوس الأنصاري، ثم مجلة «الدار» التي يرأس تحريرها الأستاذ محمد حسين زيدان.. إلا أن هذه المجالات لم تكن في انتشارها على مستوى جماهير القراء ما يجعلها قادرة على تحقيق الأهداف المنشودة.. هذا إلى جانب أن بعضها يقتص على الجانب التراثي والجغرافي والتاريخي.. وأسباب عدم قدرتها على الانتشار أن بعضها متخصص.. والبعض الآخر يصدرها أفراد لا تكتفيهم مواردهم المالية من توسيع رقعة انتشارها.. لهذا نجد أن الصحف اليومية السيارة والمجلات الأسبوعية يملأها وصفحاتها الأدبية ملأت هذا الفراغ على مستوى جماهير القراء في الداخل حيث استطاعت أن تعرف بعدد من الأقسام الشابة الواعدة التي أثبتت قدرتها على التخلفي والتجاوز.

وفي السنوات الأخيرة صدرت مجلات سعودية حققت انتشاراً جيداً على مستوى الساحة الأدبية العربية مثل «المجلة العربية» و«المجلة الفصل».

وكان المفروض أن تسد هاتان المثلتان الفراغ الذي كان يشكو منه الأدباء لتحقيق لأعمالهم الانتشار المنشود.. وهذا ما حاولناه منسداً نشاطها، إلا أن هذه المحاولة لم تحقق ما كانت تنطبع إليه، لأن صدورهما جاء في فترة شغل فيه الأدباء بمعييات خطط التنمية السريعة، والنقاد يشاركونهم الأدباء يتطلعون أن تتمتعهم بمشاريع خطط التنمية إلى ولادة أدبية جديدة نتيجة للمتغيرات التي تحدث داخل المجتمع السعودي.. وهذا ما تأمل أن يتحقق في المستقبل القريب إن شاء الله.

علاوي طه الصافي

● «من الإنتاج الطلابي الفائز في المسابقات الثقافية للعام الجامعي ١٤٠٠/٩٩ هـ» صدر عن عيادة شؤون الطلاب بجامعة الرياض.

● «على مرأى التراث» تأليف الدكتور أحمد محمد الضبيب، صدر عن دار العلوم بالرياض.

● «لحظات حنان» ديوان شعر للشاعر عبد العزيز الشرفي، صدر عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون.

● «نبض» تأليف الأستاذ عبد الله جفري، صدر عن تهامة للنشر وهو عبارة عن مجموعة مقالات قصيرة وجدلية.

● «قرارات قلم» تأليف الأستاذ محمد حسين زيدان رئيس تحرير مجلة «الدار»، صدر عن تهامة ضمن سلسلة «الكتاب العربي السعودي».

● «من وراء الحدود» مشاهدات، خواطر، ذكريات، تأليف فهد العربي، صدر عن نادي الرياض الأدبي ضمن سلسلة «كتاب الشهر».

● «البناء القبلي والتأخر في المملكة العربية السعودية» بحث أعدّه سعيد فالح الغامدي، صدر في كتاب عن دار الشروق بجدة.

● «التدين والجهنم في شعر شوقي» دراسة أعدّها عائض تبيبة الراددي، صدرت في كتاب عن النادي الأدبي بالرياض.

● «الثيرة والقصيد المضادة» مجموعة من القضايا في الأدب والنقد أعدّها محمد ياسر شرف، صدرت في كتاب عن النادي الأدبي بالرياض.

ندوة عالمية عن الحمدي

ستنظم (جامعة صنعاء) ندوة عالمية خلال شهر أكتوبر (تشرين الأول) من هذا العام ١٩٨١ م، احتفالاً بالذكرى الألفية للمؤرخ اليمني «الحسن بن أحمد الحمدي» وقد دعي لحضور هذه الندوة ما يزيد على العشرين استاذاً في التاريخ من الجامعات العربية والاجنبية وسيحضران بإيجاز وموضوعات تدور حول مؤلفات (الحمدي) في التاريخ والجغرافيا واللغة والأدب والأساطير والعلوم الإنسانية.. والمعروف أن الحمدي ولد في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، وهو واحد من العلماء البارزين في القرن الرابع الهجري، ومن أشهر مؤلفاته موسوعته التاريخية الثقافية (الإكليل) و«صفة جزيرة

تاريخه إلى القرن الرابع عشر الميلادي وهي فترة صعود نجم اليمن في ذلك الحين ، ويضم القاموس حوالي (٢٢٠٠) كلمة مكتوبة باللغة العربية والأرمنية والتركية واليونانية والمنغولية والفارسية ، ويشتمل القاموس على كراسات علمية تتضمن معرفة بزراعة الحبوب والصحة والفلك والفروسية .



☆ عبد الله حري ☆

العرب و « أخبار اليمن القديمة » إضافة إلى عدد من كتب الفقه والأدب والشعر .

السيرة والسنة النبوية في مؤتمر عالمي

سيقام مؤتمر عالمي حول (السيرة والسنة النبوية) في مدينة الرباط بالمغرب في ربيع عام ١٩٨٢ م ، وذلك تحت إشراف وتنظيم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية ، وستعرض المؤتمر الذي دعي إليه نخبة من رجال الفكر الإسلامي أبحاثاً ودراسات عن التحديات التي يواجهها الإسلام في العصر الحاضر ، وما يشا حوله من شبهات ، مع الإشارة إلى دور السنة النبوية ومكانتها في الفكر الإسلامي .

معرض للكتاب

أقيم في (صنعاء) المعرض الدولي الثالث للكتاب وذلك تحت إشراف (جامعة صنعاء) ، شارك فيه أكثر من ثمانين مكتبة ودار نشر محلية وعربية ، كما اشترك فيه عدد من دور النشر العالمية الأخرى .

اكتشاف قاموس تاريخي

تم أخيراً اكتشاف (قاموس تاريخي) بعدة لغات في اليمن يعود

تدخين السجارة الأخيرة .

والآن في المستشفيات والعيادات الطبية ، وعند الرقعة بشكل خاص في التأكد من أن مرضى القلب والأوعية الدموية والربو قد وظيفوا على الامتناع عن التدخين ومقارنة هذا مع التحسن في بصر المريض ، لذلك يجسرى فحص إدرار هؤلاء المرضى لوجود مادة النيكوتين والكويتين ، وترسو بيانات حساسة توضح انخفاض هذه المواد في البول وتقارن مع تحسن حالة المريض .

ولهم أه عندما يسأل الطبيب مريضه (هل امتنعت عن التدخين ؟) فإنه يستطيع الآن أن يتحقق من الجواب بفحص مخبري بسيط يعينه على مساعدة المريض وتقديم العلاج الناجح .

د . عصام غنيم

المستشفيات أن هناك صعوبة حقيقية في التأكد من صحة قول المريض ، أي التأكد من امتناعه عن التدخين ،

وأخيراً توصل الطب إلى التأكد من هذه الحقيقة ، ومن أن المريض لم يدخن طيلة الـ « ٣٦ » ساعة الأخيرة على الأقل أو حتى قبلها إذا خفض نسبة تدخينه .

والفكرة بسيطة ، فقد أجريت تجارب على مدخنين وغير مدخنين ووجد أن نسبة حساسية من النيكوتين وأهم مشتقاته « الكوتينين » توجد في الإدرار البولي وتتناسب كميته مع كمية التدخين ، وقد استخدمت هذه الحقيقة مع المدخنين المرضى فوجد أن نسبة النيكوتين والكوتينين تنخفض وتكاد تتعدم بعد ٣٦ ساعة من

هناك سؤال حرج لكل مريض بالقلب ، أو الأوعية الدموية ، أو أمراض الرئتين المختلفة وهو : « هل امتنعت بتاتاً عن التدخين ؟ » .

وبالرغم من أن قليلاً من المرضى فحسب الذين يجيبون على السؤال غير صادقين ، بدافع الجهل بمصلحتهم أو ضعف الإرادة عندهم إلى درجة خضوعهم لنام للتدخين ، إلا أن هذه النسبة قد تكون مهمة اعتباراً لخطورة المرض الذي يتكون منه ومدى تأثر هذا المرض باستمرارية تدخين المريض . وقد لوحظ في كثير من العيادات الطبية ، وحتى

الزاوية
الطبية

صون مدينة فاس

بهدف المحافظة على مدينة فاس المغربية التي أسست في القرن الثاني الهجري على يد المولى [إدريس الأزهري] والتي تعتبر الآن شاهداً فريداً على استمرارية العطاء الثقافي المتوارث ، تسعى لجنة شكلت من قبل الحكومة المغربية ومنظمة اليونسكو لتأهيل التراثي العام بجمع ما يمكن جمعه لصيانة المدينة والمحافظة عليها وتلك المهمة مكونة من :

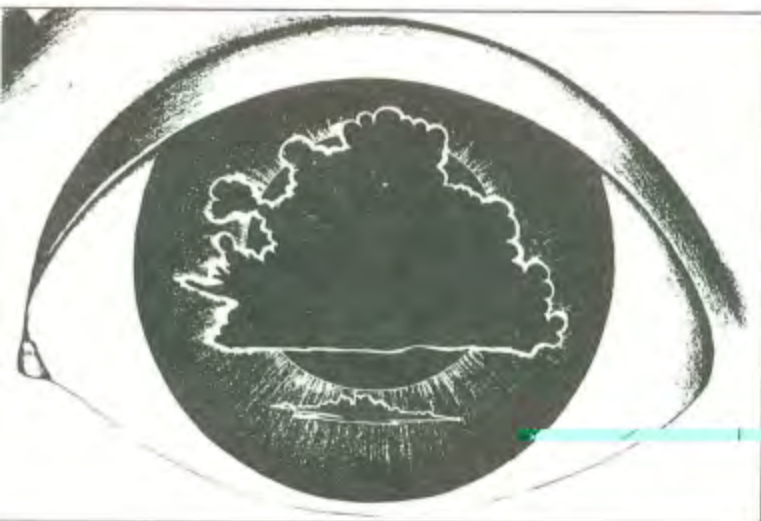
★ الدكتور عبد الهادي التازي، السفير والباحث المعروف
وعضو أكاديمية المملكة المغربية، ورئيس تحرير مجلة «البحث العلمي»
الدورية التي تصدر في الرباط.

★ الدكتور بنسالم الكوهن، رئيس المجلس البلدي في مدينة
فاس.

★ الدكتور محمد المختار ولد اياه ، مستشار اليونسكو في
الشؤون الثقافية للدول العربية .

★ الأستاذ عبد اللطيف الحجاجي .
وقد زارت البعثة الملكة العربية السعودية ، وسعدت بحلة
« الفصيل » بزيارة أعضائها . . ونأمل المجلة أن تقوم بدورها في دعم
هذه الدعوة لصيانة فاس مدينة جامعة القرويين وآثارها .

تسند المديرية العامة للأثار والمتاحف السورية لإقامة معرض متجول في دول أوروبية وفي أمريكا يضم (٢٧٠) قطعة أثرية





* أحمد رامي *

(حزيران) من كل عام بساحة قلعة «قايتباي» الشهيرة. وذلك إحياء لجد المدينة الثقافي ودورها الحضاري، وستكون السابقة باللغتين العربية والإنجليزية، وسيكون الباب مفتوحاً لكل الشعراء عرباً وغير عرب.

وفاة أحمد رامي

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشاعر المعروف أحمد رامي عن عمر يناهز التاسعة والسبعين، وقد ولد عام ١٨٨٢ م، وعمل في حياته مدرساً للصحافة، ثم أميناً لمكتبة مدرسة المعلمين بالقاهرة، وأُرسل في بعثة إلى فرنسا، وشغل منصب عميد دار الكتب، كما حصل على درجة الدكتوراه الفخرية من أكاديمية الفنون المصرية، وميدالية الخلود من أكاديمية الفنون بفرنسا، ألف ستة دواوين شعرية ومسرحيتين وترجم (١٢) مسرحية ورواية، وكتب بالإضافة إلى ذلك أكثر من (٥٠) أغنية، وقد أطلق عليه في حياته «شاعر الشباب»، كما ترجم رباعيات الخيام، واشتهر بشعره الغنائي.

موسوعة عن أدباء القصة

تصدر موسوعة لأدباء القصة في مصر، هذه الموسوعة سرف تضم أدباء القصة منذ الحملة الفرنسية حتى عام (١٩٥٠ م) مع تراجم مفصلة عن حياتهم وكتبهم وأعمالهم التي ترجمت.

مجلة لأبحاث الندوة الأولى عن التراث

أصدرت الأمانة الفنية للجنة التراث في المجلس الأعلى للثقافة المصرية مجلداً يجتري على مجموعة الأبحاث التي أقيمت في (الندوة الأولى عن التراث) التي عقدت في القاهرة، ويقسم المجلد الأبحاث التالية:

- * ماذا نعى بالتراث: للدكتور أحمد الخولي.
- * منهج تحقيق التراث العربي وقواعد نشره: للدكتور حسين نصار.
- * التراث والحضارة: للدكتور نجات أحمد فؤاد.
- * التخطيط لإحياء التراث: لعبد النعم عمر.
- * التراث اللغوي ومبادئ نشره: محمد شوقي أمين.
- * تراثنا العلمي بين الشرق والغرب: للدكتور أحمد سعيد التمدودش.
- * حاجة تراثنا اللغوي إلى التفتية والتفتيح: للدكتور رمضان عبد التواب.
- * مشكلات التراث بين الحاضر والمستقبل: للدكتور أحمد هيكل.

من عصور مختلفة، سيداً المعرض في مطلع العام القادم ١٩٨٢ م، ويشمل ألمانيا الغربية، وفرنسا، وإنجلترا، والنمسا، بالإضافة إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

وفاة الياس قنصل

توفي الأديب السوري المهجري (الياس قنصل) عن عمر يناهز السابعة والستين، وقد ولد الشاعر في مدينة «بيروت» السورية عام ١٩١٤ م، وتلقى مبادئ تعليمه في مدرسة مدينته الابتدائية، وهاجر إلى (البرازيل) برفقة والده عام ١٩٢٥ م، ثم انتقل فيما بعد إلى (الأرجنتين). تولى في حياته رئاسة تحرير «الجريدة السورية اللبنانية» في مدينة (بوينس آيرس)، كما أصدر مجلة «المشاهل»، وفي دمشق أصدر مجلة «الفنون»، كما كان في الأرجنتين يلقى المحاضرات التي تلقى الضوء على حضارة العرب باللغة الإسبانية. له من الأعمال الأدبية المطبوعة شعراً ونثراً (٤٢) كتاباً باللغتين العربية والإسبانية. وهو أحد كتاب مجلة «الفيصل»، وكانت آخر قصيدة نشرت له بها عنوان «صلاح الدين».

وفاة الشاعر عددة

توفي الشاعر السوري (إسماعيل عددة) عن عمر يناهز الرابعة والخمسين، فقد ولد بمحافظة حماة - سلمية بسورية عام ١٩٢٧ م، وهو مجاز في الأدب العربي من جامعة دمشق، اشترك في عدد من الأسابيع والندوات الشعرية في المدن السورية، وقد نشر بعض نتاجه الأدبي وبخاصة الشعر في الصحف السورية وغيرها. له مجموعات شعرية منها «الليل الأخير».

جائزة الإسكندرية للشعر

خصصت محافظة مدينة الإسكندرية جائزة سنوية للشعر باسم «جائزة الإسكندرية» بقدامها مهرجاناً سنوياً خلال شهر يونيو

مدينة بابل والكنوز الفنية

عُثرت البعثة الأثرية التي تعمل في مشروع الإحياء الأثري لمدينة (بابل) على مجموعة من التحف الذهبية والفضية ومئات من قطع الأحجار الكريمة من أحد القصور الملكية التي اكتشفت في داخل أحد الجدران المتبقية لقصر (نبوخذ نصر الثاني)، والمعروف أن (بابل) تقع على بعد (٩٠) كيلومتراً إلى الجنوب من بغداد واسمها عرف من باب أبي الذي يعني باب الألفه، وهي من أشهر المدن القديمة، وتضرب الأمثال بحيال أبنيتها وثقافتها.

موسوعة لأعلام العراق

يضم المجمع العلمي العراقي إصدار موسوعة عراقية عن عدد كبير من أعلام العراق، وهي الموسوعة التي كان قد وضعها الكاتب الراحل صادق الملايكة والد الشاعر العسيرة نازك الملايكة. منطرح الموسوعة في ستة أجزاء، يقع كل جزء في حوالي خمسة صفحة.

الفن التشكيلي في كتاب

أصدرت المنظمة العربية للثقافة والعلوم والآداب كتاباً خاصاً عن (الفن التشكيلي العربي المعاصر) للدكتور عفيف بهنسي، رصد فيه لتاريخ الفن التشكيلي العربي المعاصر مع نماذج من لوحات لفنانين من كل بلد عربي.

معرض للفنون التشكيلية

أقيم في مدينة (العقبة) الأردنية معرض للفنون التشكيلية تحت عنوان «معرض مهرجان الربيع» شارك فيه أكثر من (١٣٠) فناناً أردنياً بما يزيد على (٤٠٠) عمل فني تجمع كل أنواع الفنون من التحت والحرف والتصوير والرسم بالزيت والماء والشمع، وقد مثلت هذه الأعمال الحياة الأردنية اليومية وما التصاق وثيق بالقضية الفلسطينية، وبالقيضايا الإنسانية، استمر هذا المعرض عشرة أيام.

الأدب العربي .. وقضية النشر

لماذا يكتب الكاتب؟

هل ينتج الكاتب أعماله الأدبية ليجمعها حبيسة أدراج مكتبته مخنوقة الأنفاس خرساء الصدى؟

أم أنه حين يكتب يعلم بتلك المراسلة الفنية الغالية التي تم بينه وبين المتلقي، أي بينه وبين قارئه حتى لو كان قارئاً واحداً؟ إن الإجابة - بالقطع - تتمثل في أن إبداع الأديب ما هو إلا رسالة مطوّلة ينشأ من مكتون نفسه إلى قارئه، ومن الكتاب المجيدين من يرسل ملايين القراء، ومنهم من يرسل الآلاف أو مئات.. إلخ.

ولاً ما كان العدد فإن ذلك لا يهم كثيراً.. المهم وجود القارئ، آية ذلك أن الكتاب - غالباً - ما يتخون هم من صفوة أصدقائهم من يتوهم حوارهم الأول وهي لما تزل في بكرها.. ذلك شيء ينشأ عن ضرورة ذلك التراسل الفني بين الكاتب وقارئه.

بنقلنا ذلك المجهود إلى تساؤل:

من ذا الذي يوصل تلك الرسالة الفنية إلى المتلقي؟

إنه الناشر بلا جدال.

هنا نصل إلى القضية، قضية النشر...

ولو حاولنا إلقاء نظرة على ما يحسّ الأديب إزاء قضية النشر لسواجهنا ملامح عديدة للمشكلة.

فن ناحية قد نجد النشر متاحاً أمام أعمال غنة غير واضحة لا تضمن إضافة حقيقة لرصيد الإنسان، ومن ناحية أخرى قد نجد باب النشر موصداً أو نافذاً أمام أعمال أخرى طيبة.

ومن ناحية ثالثة قد نجد المؤلف يقع فريسة الأساليب التجارية من لدن بعض الناشرين.. بل إن تطور هذه الأساليب بلغ حد السطو الأدبي إذا جاز التعبير، لا سيما وقد بلغ فن الطباعة عالياً في العصر الحديث مبلغاً من التقدم الفني فاق تصورات العصور الماضية وضحها، فأصبح من اليسر على بعض دور النشر أن تسطو على أي كتاب يروق لها فتميد طبعه ونشره متجاهلة حقوق ذلك الإنسان الرهيف وعذابه مع الكلمة وأجزاء من عصوره ذاتت معها.. بل إن المبهطور به من أهله وذويه قد يشاركونه التضحية في سبيل ميلاء هذا العمل الفني.

أما أن الأوان لوضع نظام من التنسيق العربي لقضية النشر تحفياً لنوع من التكامل بين البيئات الثقافية العربية يأتي حاجة كل بيئة، ويقول دون تكرار كثير من الجهود في مجال تحقيق المخطوطات والدراسات حيث نتكرر دراسة أو تحقيق في بيئات عديدة، كذلك فإن ما ينفقه ذلك إبداع نوع من التقارب بين المؤلفين العرب قد يحقق ثلثاً عاماً حول موضوع واحد تنضاف فيه الجهود، وقد يحقق حماية هؤلاء المؤلفين من السطو الأدبي، ثم قد يحقق أيضاً بيد ناشئة الأدب فيما يمكن أن نسميه بفكرة «السكرتار الأول».

د. يوسف نوفل

جامعة الرياض



المعارك التاريخية في معرض

أقيم في العاصمة الفرنسية معرض عرضت فيه نماذج للمعارك التاريخية التي تعكس مختلف الحضارات ولكن بطريقة جديدة ، حيث طبعت أحداث تلك المعارك على القشة وعرضت بطريقة شيقة ، وظهرت صور أبطال تلك المعارك مطبوعة بيضاء على القشج لفنت أنظار السّدين شاهدوا المعرض .



★ نثالي ساروت ★

الصقر الذهبي

حصلت الروائية الفرنسية المعاصرة (نثالي ساروت) على جائزة (الصقر الذهبي) وذلك عن مجموعة أعمالها التي عرضت في المهرجان الدولي الثالث عشر للكتاب ، الذي أقيم مؤخراً في مدينة (نيس) الفرنسية .

ونثالي أديبة فرنسية ولدت عام ١٩٠٢م ، من أشهر رواياتها «يوتيريه لرجل مجهول» ، وقد التهمت للمسرح ، ومن مسرحياتها «الكذب» .

روائع المخطوطات الإسلامية

أقيم في (لندن) معرض لروائع المخطوطات الإسلامية نظمتها «جمعية المهرجان الإسلامي العالمي» ، وعرضت فيه (٥٥)

مخطوطة إسلامية جرى اختيارها من بين (٣٥٠٠) مخطوطة نظراً لقيمتها الأكاديمية ، وبعد هذا المعرض الأول من نوعه في العالم والذي استمر تسعة أيام .



قامت شركة ذيبون كوكان اليابانية

بصناعة السفينة بحسب الشراعية «شين ايتوكومار» التي يبلغ طولها ٢١٦ قدماً ، وقطعت المسافة الفاصلة بين الصين واليابان بسرعة ١٢ عقدة . وبواسطة هذه الأشرعة أمكن تخفيض كمية الوقود المستهلكة إلى النصف مقارنة بناقلة مماثلة .

زودت السفينة بشراعين عرض كل منها ٢٦ قدماً وارتفاعه ٤٠ قدماً ، وهما مصنوعان من الكتان المشين ، تحملهما إطارات معدنية . بحارة (شين ايتوكومار) لا يضطرون إلى المغامرة بجيئهم ، والصعود إلى صواري السفينة لفتح الأشرعة ، ذلك لأن فتح الشراعين وتوجيهها يتم بواسطة حاسب إلكتروني .



ديوان وليامز مترجماً

ترجم إلى اللغة الفرنسية ديوان الشاعر الأمريكي (وليام كارلوس وليامز) الذي يعتبر من أشهر الشعراء في أمريكا في فترة الخمسينات ، ويعمل هذا الديوان عنوان «**بثبات الفلاحين**» ، وصدرت ترجمته في باريس .

معرض للتراث العربي

أقيم في (فرانكفورت) خلال الفترة من ٤ يوليو (حزيران) إلى ١٢ أغسطس (آب) ١٩٨١ م ، معرض للتراث والفولكلور والفن العربي ، وذلك تحت إشراف جمعية الصداقة العربية الألمانية .

معرض فني سعودي

أقامت الرئاسة العامة لرعاية الشباب بالملكة العربية السعودية في العاصمة الألمانية لأول مرة معرضاً فنياً خارج الوطن العربي ، احتوى على أكثر من خمسين لوحة فنية ، وثلاثين لوحة رسم أطفال ، ومجموعة من الصناعات التقليدية القديمة تزيد على مائة قطعة .

وفاة أوجست كورنو

توفي في (برلين) الفيلسوف والمؤرخ الألماني (أوجست كورنو) عن (٩٢) عاماً ، ومن المعروف بأنه قد ولد عام ١٨٨٨ م ، ودرس الفلسفة في إحدى الجامعات الألمانية . وكان قد تال درجة الدكتوراه عام

المضارة السومرية والآشورية والبابلية في معرض

أقيم في (باريس) في قاعة «**بيتي باليه**» معرض عن آثار الحضارة السومرية والآشورية والبابلية ضم مجموعة من التماثيل التي نقلت من متحف بغداد ومتحف اللوفر الفرنسي ، ومن بينها تمثال من الجبس للقائم من «**تل الأسمر**» يرجع تاريخه إلى (٢٧٥٠) قبل الميلاد ، كما عرضت فيه بعض الأدوات التي استخدمت في تلك العصور ومن بينها كأس يرجع تاريخها إلى (٥٠٠٠) قبل الميلاد .



ليرد غوغنيس رجل اميريكي قو طموحات عادية جداً ، لكنه في يوم من الأيام قرر أن يصمم أكبر مولد للكهرباء في العالم يدور بقوة

الرياح . اخترع غوغنيس يعتمد على «**طاحونة هوائية**» من نوع غير مألوف على الإطلاق : إنها عفة ذات فرائشات «**حررة**» الحركة : عفة غوغنيس سوف تتكون من ١٤ شراعاً ضخماً ، ارتفاع كل منها ٢٠٠ قدم .

محملة على عدة متحركة تستند إلى عجلات (دواليب) . تقوم هذه الأشعة بدفع العربات حول مسكة حديدية مسارها يقضي الشكل يبلغ طوله نصف ميل . عجلات مسكة الحديد هي التي ستقوم بتدوير مولدات كهربائية . سيبدأ إنشاء هذه العفة المتحركة في صيف ١٩٨١ م ، على بقعة قاحلة بالقرب من مدينته سالت ليك سيتي في جنوب غربي

الولايات المتحدة . ويتوقع غوغنيس أن يصبح مشروعه الذي يموله بماله الخاص جاهزاً للعمل في عام ١٩٨٤ م ، هذا المشروع الذي سيولد كمية من الكهرباء تغطي احتياجات مدينة عدد سكانها (٨٠) ألف نسمة ، وهذه

الاستطاعة أكبر بـ ٢٠ مرة من مجموع استطاعات المراوح الخوائية الأمريكية مجتمعة . ومن المفروض أن يقوم حساب إلكتروني (كمبيوتر) خاص بتوجيه الأشعة حسب حركة الرياح .



* وليم سارويان *

١٩٢١ م. وانتخب عضواً في (أكاديمية العلوم الألمانية) كما كان عضواً في أكاديميات أخرى خارج ألمانيا.

وفاة بول غرين

توفي في نيويورك الكاتب الأمريكي «بول غرين» عن (٨٧) عاماً، الذي يعرف عنه بأنه من المدافعين عن الحقوق المدنية في أميركا من خلال كتبه ومقالاته. حصل على جائزة (البوليتزر) للأدب عام ١٩٢٧ م. وذلك عن مسرحية (قلب أبراهام).

وفاة وليم سارويان

توفي الكاتب الأمريكي (وليم سارويان) عن عمر يناهز الثانية والسبعين، وسارويان كاتب موهوب، له من الأعمال ما يزيد على (السبعين) عملاً روائياً ومسرحياً لذلك فهو يعد من أشهر الكتاب الأميركيين في الثلاثينات والأربعينات. من أعماله «أفضل أوقات حياتك» وهي مسرحية كتبها في ستة أيام.

الأعشاب الطبية في قاموس

صدر في (اليابان) عن المتحف الوطني للأعراق البشرية «باوذاكا» أول قاموس من نوعه عن «الأعشاب الطبية». ويوضح القاموس الذي يتضمن (ألف نوع) من هذه الأعشاب فوائد لها للإفريقيين الذين يستخدمونها تلقائياً دون أن يعرفوا ميزتها في علاج بعض الأمراض، كما يوضح العلاقة بين الطب الفطري والطب الحديث. وقد صدر باللغة الفرنسية واللغات الإفريقية.

معرض دولي للكتاب

سظم الهيئة القومية الهندية للكتاب المعرض الدولي الخامس للكتاب في (نيودلهي) وذلك خلال الفترة من ٥ - ١٥ فبراير (شباط) لعام ١٩٨٢ م. وقد دعي لحضور هذا المعرض عدد كبير من دور النشر الهندية والعالمية.

معرض عن نيويورك

أقيم في العاصمة اليابانية معرض أمريكي فني تحت عنوان «ملايح من مدينة نيويورك» وذلك بمناسبة الاحتفال بمرور (٢٠) عاماً على توقيع اتفاقية الصداقة والتبادل الثقافي بين مدينتي (طوكيو) و(نيويورك)، ضم المعرض مائة لوحة رسمها أكثر من (٤٩) فناناً أمريكياً معظمهم من مدينة نيويورك. وهي تعكس ملامح الحضارة الأمريكية.

اكتشاف اثري

رغبة في معرفة الكثير عن ثقافة القرن الإفريقي التي لا تزال غير معروفة حتى الآن، قد جرى التنقيب في منطقة اثرية يسميها تاريخها إلى بداية العصر المسيحي في (الندوجا) التي تقع على بعد حوالي (١٢٥) كيلومتراً من جيبوتي، وقد عثر فيها على (منازل ومبان مختلفة) ذات أحجام مختلفة بنيت بعضها بأحجار البازلت المقطعة الموضوعة بعضها فوق بعض بانتظام شديد، وقد عثر في كل منزل على (رحى وآبار رماد وعدد كبير من الأواني الخزفية التي زين بعضها بزخارف هندسية، وكذلك اكتشفت أساور وعقود مصنوعة يدق).

مسابقة القرآن الكريم

أقيمت المسابقة السنوية العاشرة في القرآن الكريم (بمحافظة أيش) الأندونيسية، وقد شارك فيها أكثر من (٢٤٠) متسابقاً يمثلون أكثر من سبع وعشرين محافظة، وهم من طلبة وطالبات المدارس، وتمتد هذه المسابقة مسابقة تصفية نهائية، وقد أهدى هاتين المسابقتين جوائز قيمة منها (تذكيرة سفر لحج بيت الله الحرام).



★ محمد عبد ★



★ عبد الرحمن نافع ★

الطريقة المشايخ لدراسة

الفقه للشيخ

بمقام :

د. محمد محروس المدرس

إذا استبعدنا بعض الدعوات التي لا تقوم على أساس ، والداعية لفتح الباب لكل مسلم بأن يعمل وفق ما يوصله إليه فهمه لكتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم) وهي دعوات ضيقة المدى ، وأثرها لم يصل بعد إلى الدراسات الجامعية . فإن الدراسات الفقهية الآن تدور بين منهجين بارزين :
الدراسة المقارنة ، والدراسة المذهبية .

وإذا استبعدنا النصوص المحقة ، فإن الدراسة المذهبية بالصورة التي أشرنا إليها ، لم تتناول غالباً ، غير بعض شؤون العبادات التي لا زال الناس بحاجة إليها ، فترى السكتيات الصادرة في ، الصلاة أو الصوم أو الزكاة أو الحج ، وفق هذا المذهب أو ذاك .
على أن بعض الرسائل الجامعية قد عمدت إلى جمع فقه بعض الأئمة الذين اُدرست مذاهبهم ، وتفرقت آراؤهم في بطون الكتب . وهذا فيه إثراء لفقهنا الإسلامي ، ولقت لأنظار الباحثين إلى كنوز فنية لم يكن الوصول إليها متيسراً من قبل .
ومع أن الدراسة المقارنة – بالصورة التي أوضحناها – فيها توسعة للمدارك ، وتنمية للملكة الجهاج والمناظرة والمناقشة ، وتوقف الدارس على تيارات متعددة ، ومسالك متنوعة ، وطرق تفكير مختلفة متباينة في معالجة المسألة الواحدة .

فإن الدراسة المقارنة تكون : يبرأ أقوال أئمة كل مذهب في مسألة معينة ، ثم يعقد الدارس إلى اختيار أحد الآراء حسباً يترادى له . وغالباً ما يبنى اختياره على مناسبة هذا القول لمتطلبات زماننا أو مسابرة لروح العصر !! . ونادراً ما ينظر إلى الدليل ، أو مأخذ الحكم .
أما الدراسة المذهبية فتكون : يبحث الموضوع ، أو المسألة المعنية ، في نطاق مذهب معين من المذاهب الإسلامية المعروفة ، ووفق أصول هذا المذهب ، أو يخرجها على أقوال أئمة .
إن الدراسات الجامعية المعاصرة ، قد ألحقت بحو الدراسة المقارنة بالدفاع شديد ، ويندر وجود رسالة جامعية – اليوم – تتناول موضوعاً وفق مذهب واحد . وفي ذلك محصور لبعض الكتابين وخارج نطاق الجامعات ، ولم يعد دور هؤلاء . في الغالب – غير محاولة كتابة بعض المواضيع الفقهية بأسلوب عصري مبسط لا غير .

كما أن الذي يتطلع لبثوث رتبة الاجتهاد في الشرع لا يستغني عن معرفة آراء فقهاء المذاهب في كل مسألة ، ليعرف مواطن الإجماع ، وموارد الاختلاف لئلا يحدث قولاً يخرج به إجماعاً ، فيعرف آراء السلف في المسألة ، ورأي علماء الألفاق ممن رزاه المذاهب الكبرى في تلك المسألة ، ليكون على بينة من أمره عندما يعطي رأياً في أمثاله .

الالتزام بمذهب واحد

إلا أن الدراسة المقارنة - كما نرى - أخرج ما يكون إليها ، واليقين ما تكون بالتصدي لإعداد تشريع معين ، لينقله قانوناً على العباد . فيدرس الآراء المتعددة ، ويختار منها ما هو أصح للجماعة وأتقن للعصر ، وذلك باعتبار أن إمام المسلمين ، يحق له تخصيص العمل بقول من المسائل المجتهد فيها ، بحيث يتعين العمل بقوله ، وهذا ما حدا بالثلاثين في إلزام الحاكم بالعمل بالمذهب الحق ، ووضعوا مجلة الأحكام العدلية - وهي قانون مدني إسلامي - مستقاة من هذا المذهب وحده ، وإن جازوا إلى غيره يعتدل في تعديلات لها لاحقة .

وانطلاقاً من نفس القاعدة ومن أجل هذا فقد كثرت أمثال هذه الدراسات في كليات الحقوق في العالم الإسلامي ففتحت هذه الكليات صدها لفقهاء هذه الأمة، بعد أن اتجهت غالب تشريعات دول المسلمين إلى الأخذ من المصادر الغربية، فلم تكن تلك الدراسات عقيمة الفائدة، بل نجد آثارها قد انعكست في بعض القوانين المدنية خاصة لبعض الدول العربية، والتي جمعت بين مصدرين في أصولها هما الفقه الإسلامي والفقه الغربي، كالقانون المدني العراقي.

لما إذا كنا نحيي النفس بدفع الفقه الإسلامي إلى الأمام ، ليستوعب الحوادث الجديدة والتأويل الحادثة ، والواقعات المتحولة ، فسوف لن نجد ضاللتنا في تلك الطريقة من الدراسة إضافة إلى بعض عفاطر قد تضر بهذا النبأ الشائع ضرراً عظيماً .

فما أشك هذه الدراسات لا تدفع عجلة الفقه الإسلامي إلى
الامام، فلأن الدارس لا يعدو دوره نقل أقوال الأئمة في
المسألة ليرتبها متسلسلة، فلا يعمد - في غالب الأحوال -
إلى الوقوف على مأخذ هذا القول أو ذاك فهي حكاية آراء
لا غير، وهذه الحكاية المعروفة للأراء لا تعطي الدارس ملكة في استنباط
كيفية التوصل إلى هذا الرأي أو ذاك، وهو بالتالي يصحح باحثاً عن قول
الأفريقيين في المسألة، فإن لم يجد وقف حائراً، بل قد يعمد إلى

وهنا تكمن خطورة عظمى بأن الشريعة الإسلامية لم تعرف العنصرية القبلية، أو لم يكن لها رأي في المسألة القبلية. إذن ستكون هذه الدراسات - من هذه الجهة - إضافة لهذه الشريعة الغراء، فضلاً عن إيقاظ الدائرس مكتوف اليدين تجاه المسألة الحديثة التي لم تكن قد وقعت

من قبل ، ولم يكن للأقربين فيها رأي . وكانهم قد غاب عن ذهنهم أن الوقائع والحوادث لا تتناهى ، وأن أقوال الفقهاء تتناهى معها كثرت - (وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى) فهذه النتيجة تستلزم بنا إلى الوقوف بالعلم الإسلامي إلى حد لا تتعداه ، ونقف بسيرة عند هذه النقطة ، وقد تخرج بحكم خطي عليه لا ليرتضيه وذلك بوصفه بالعجز ، وهذا ما يدعيه الخصوم .

ومن ناحية أخرى فإن في كل مذهب الكثير من الأقوال في المسألة الواحدة وقد يعتمد أحد المرححين إلى اختيار قول يرجحه ، ويعتمد الآخر إلى ترجيح غيره ، فيذكر الأول ما تبناه في كتاب يؤلفه ، والآخر في متن يوصغه ، وقد باتت ثالث **مُتَّبِعٌ** على قواعد مذهبه قولا ، فيُتَّبِعُ بتوجيهه في مسألة ، وقد بقى يقول للضرورة ويتأخر لتغير الزمان ، وشالت مراعاة حال المستفتي فكل هذه مسائل دقيقة يندر عارفوها بين مقلدي المذهب نفسه ، فكيف سيميز بينها أدارس حسانهم لم يبلغ درجة التخصص بذلك !

والذي يعمل - حينئذ - أن يتناول الدارس أي كتاب تقع عليه يده في المذهب المعين، فينقل رأي ذلك المذهب منه، وقد يظلم المذهب كله، وحتى فقه الشريعة الإسلامية كلها بهذا النقل إذ قد يكون المنقول رأياً شاذاً لأحد الفقهاء ممن لم يقتضيه، ولم يؤخذ برأيه ذاك.

ويؤيد ما مذبح إليه من وقوع هذا الخلط أو الاعتداء على الضعيف من الأقوال ما استدل به محمد طلعت حرب ، مثلاً ، بخوارج تأسس البولك التي تتعامل بالربا - عند بدء دعواته لتأسيس بنك مصري وطني - ، بتقوى محمد بن سلمة البلخي كما أوضح ذلك بكتابه علاج مصر الاقتصادي ومشروع بنك الضعيفين أو بنك الأمة^(١) - وهما الفتوى تقيد - إن الذي يريد أن يصيب نفعاً من فرضه ، فعليه أولاً أن يبيع الذي ينوي الاستقراض منه شيئاً قيمته عشرون درهماً مثلاً بأربعين ، ثم يضمنه ستين فيحصل الربح مائة ، ويحصل للمستقرض ثمانين ، ويدعته دة^(٢) ، - ولفضيلة الإمام الأكبر الأسبق الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر - رحمه الله - رد يفتق وجهته لسطرنا في هذه المسألة .

أما إذا كانت الفقرة بين القوسين الوضعية وأحكام الشريعة الإسلامية، فنرى الخلط أكثر، إذ يعتمد الدارسون إلى نقل رأي ما من أي مذهب إسلامي ليعمموا في إشارتهم عند النقل بنسبته إلى الشريعة الإسلامية مع أنه رأي أحد فقهاء مذهب من المذاهب، وقد يكون هذا الرأي معتمداً في ذلك المذهب.

وكثيراً ما يتلقى المحققون سبب تعميم من هذا النوع ، أو سبب
حكم تعويضي يتناقض مع أصول البحث العلمي الذي يجب أن يتم
بالدقة ، نعم هناك كثير من الآراء الغريبة وحتى غير المعقولة نجدها في
عظم الآراء الكثيرة في المذاهب الإسلامية المتعددة ، وإن افحش

فقههاء المذهب الحنفي

وحيثما يمكننا أن ندفع عجلة الفقه الإسلامي إلى الأمام ونسبر به في رحلته الطويلة المباركة بدلاً من الوقوف إلى الحسد الذي وصل إليه الأقدمون ، إن وجدنا لهم قولاً فهو منتهى الطلب ، وإن لم نجد كنا أعجز من أن نحاول تلمس الطريق ، أو معرفة الجهة التي لا بد أن تسير نحوها ، لكي تصل إلى المطلوب أو إلى الحد الأدنى منه .

إن هذا الذي نهدف إليه من دراسة الفقه الإسلامي بهذه الطريقة لا يكون على طريقة الدراسات التي تحكي أقوالاً من غير معرفة درجة كل قول ، أو منزلة بين الأقوال الواردة في المسألة . بل الهدف منها فتح الباب إلى دراسة أوسع وأشمل ، وذلك بالسعي إلى أن يتجه الدارسون بدراساتهم ، لكي يعددوا أنفسهم إلى درجة التخرج - على الأقل - بعد أن تقاصرت الحسم عن بلوغ رتبة الاجتهاد ، فالوصول إلى درجة التخرج أسهل وأيسر ، وسيبدأ الدارس من حيث انتهى سابقوه في هذا المذهب أو ذلك بعد أن يقف على أرائهم ، وطريقهم في معالجة المسائل ، ثم يحاول دراسة المسائل المستحدثة والحديثة وفق طريقة معينة ، ويستبدل طريقة السابقين ممن بلغوا هذه الرتبة في تحصيل المسائل الجديدة والحديثة ، والتي لم يسبق إبداء الرأي فيها للفقهائين الثقات . وقد اتضح لنا من دراسة تطبيقية في المذهب الحنفي ، أن فقهاء هذا المذهب للتأخرين عن مؤسسي المذهب ، لم يفتوا عاجزين حيال المسائل الجديدة رغم عدم بلوغهم رتبة الاجتهاد ، بل لجأوا إلى التخرج ، فأبوا بأراء معتبرة أصبحت مفتياً بها في المذهب ، وأخوفاً بها من أتباعه .

وعلى هذا فإن هناك ضرورة في سير الدراسات المقارنة والمذهبية أو النهائية جنباً إلى جنب فتعبد الحياة إلى الثانية ، لكي نلجأ بالأراء الجديدة للمشاكل الحديثة ، ثم يأتي دور صاحب الدراسة المقارنة ، ليختار ما يشاء من الأراء المتعددة ، وفقاً لما تتطلبه دراسته ، كأعداد تشريع أو إجراء مقارنة بالمذاهب الفقهية غير الإسلامية

ضرورة التخرج .. لا يعني الأمة من الاجتهاد

وقد اتضحت لنا من تلك الدراسة أيضاً أمور هامة هي :
(١) أن الثروة الفقهية في كل مذهب من المذاهب الإسلامية ، هي حصيلة جهود الجهد العفري من علماء وفقهاء ذلك المذهب ، وشتى طريقتهم . فليس كل ما في مذهب أو مدرسة معينة ، هو من وضع مؤسسي المذهب ، أو زعيم المدرسة الفقهية المسماة باسمه ، فكل مذهب فقهي هو بيان شامخ ، تقاصرت جهود جبهة علماءه على تطويره ورفعته ..
(٢) أن الواقع المتكرر يحتاج إلى متسكنين بالدراسات الفقهية



* حسن حرب *

الخطأ أن يكون رأي فقيه ما هو رأي الشريعة الإسلامية ، فهناك آراء لا يمكن اعتبارها آراء للمذهب الذي ينسب إليه هذا الفقيه أو ذلك ، فكيف يجوز لنا أن نعتبرها رأي الشريعة الإسلامية ؟
هذه بعض نماذج هذه الدراسة ، وينبغي إذا كان الدارس متمكناً من أصول الفقه ، ومن طبقات المسائل والكتب وكذلك طبقات العلماء . وذلك في كل مذهب من المذاهب الإسلامية جمعا ، ليعرف له نسبة الرأي الذي يستند إليه إلى ذلك المذهب ، أو ليتسنى له الاعتماد به . وهذا أمر صعب جداً على فرد واحد وقد يستحيل ، اللهم إلا إذا كان البحث في مسألة واحدة فرعية أو يضع مسائل فقط ، ويتوافر على تلك الدراسات مجموعة من المختصين . وهذا ما يحصل في اللجان التي تعد التشريعات ، أو لجان إعداد التوسوعات الفقهية .
وعلى هذا فكل دراسة للفقه الإسلامي يجب أن تتم وفق أسس منهجية وعلمية متقنة يرتضيها أهل هذا العلم ، وذلك ابتعاداً عن المزالق التي ذكرناها . هذه الأسس المنهجية تكون بتقييم الرأي أو القول وفق أسس المذهب الفقهي الذي ينسب إليه الفاعل فلذا نوفر لنا دارسون أو باحثون يستطيعون تقييم الأقوال الفقهية الواردة في كل مذهب فقهي ، وتقييمهم هذا يكون عن معرفة وإطلاع لدروب ومسالك هذه المدرسة الفقهية أو تلك ، نكون حينئذ قد ابتعدنا عن المزالق ، وسلكنا السبيل العلمي القويم في عدم التجني على المذهب الفقهي المعين ، إذا ما قلنا : هذا الرأي أو القول هو رأيه أم لا ، أو هو رأي فيه أم لا .
وحيثما يمكننا أن تلمس الوصول إلى الرأي المتعدد والمصحح والمصيب في كل مذهب فإن لم نجد رأياً لمسألة حادثة ، أو لازلة جديدة ، أمكننا أن نعتد أدلة المذهب المعين وأساليبه في البحث للوصول إلى الحكم في الجديد من الوقائع ، والحادث من التوازل .
إن هذه الطريقة من البحث ضرورية جداً من أجل أن يتسنى فهم الطلاب إلى رتبة الاجتهاد ، فلا أقل من وصولهم إلى رتبة القدرة على التخرج على الأقوال العتمدة الواردة في المذاهب التي تمكن منها الباحث .

المنهجية (أي المنهجية) التي تكون وفق أسس مدروسة فقهية معينة. فإن ضرورة أن يكون هناك حل لكل معضلة أو تازلة، واستحالة وجود إجابة للمتقدمين في كل التوازل المحتلة، يجعلنا ملزمين بالبحث، الذي يجب أن يتم وفق أسس وقواعد معينة ليكون بحثاً عقلانياً، لا بحثاً تحسبياً عشوائياً.

والبحت العقلاني يكون إما وفق أسس وقواعد يضعها الباحث لنفسه، وإما وفق أسس كان قد وضعها غيره، فبالتصديق هو على ألا يتحول إلى الثانية إلا إذا وجد المعجز في نفسه عن تحقيق الأولى.

إن المعجز عن الأول قائم وعقود، والغالب في علماء الطائفة التي تلت أصحاب مؤسسي المذهب هو المعجز عن استعمال حتى قواعد مؤسس المذهب في الرجوع إلى النصوص الأصلية، فضلاً عن وضع أسس وقواعد خاصة بهم. فمنحت الحاجة إلى قياس الوقائع على مسائل سبق لإمام المذهب أو لأحد أصحابه الإجابة عنها. فكان هذا عمل المخرجين. فلزمنا الحاجة إلى إيجاد المخرجين في كل زمن لملاحقة الوقائع المتتالية، ويكون لمخرجهم وفق قواعد معينة، بعيدة عن الهوى، أو القول بالتهنئة.

والقول بضرورة وجود المخرجين في كل مذهب، لا يعنى الأمة عن واجبها بالسعي إلى إيجاد المجتهدين الذين إن لم يكونوا مجتهدين مطلقين، فلا أقل من كونهم مجتهدين في المسائل. وذلك هو الطريق الصواب، والمهج المستقيم، وما رصنا بالمخرجين، إلا بعد أن قصرت المقدم، وتكاسلت الأمة عن واجبها في تهيئة المجتهدين، لا بل ندر حتى وجود المخرجين.

(٣) أن حياة كل مذهب واستمراره مرهون بكثرة المخرجين فيه. فالذي توصلت إليه نتيجة تلك الدراسة، أن كثرة وجود المخرجين في المذاهب الإسلامية الكبرى، قد أعطاهم الحياة إلى يومنا هذا. فإن الناس مشغولون في الأفق، ووقائع الحياة متشابكة معقدة، وغير متناهية. فإذا لم يجد الفرد جواباً لوقائعه لدى علماء مذهبه، تحول إلى غيرهم. وقد تولى تطمين رغبات الناس خلال العصور للتتالية المخرجون، فكسبوا ثقة الناس وأبقوهم على علاقتهم بمدارسهم الفقهية. إذن المخرجون هم عنصر ديمومة المدرسة الواحدة. وسر بقائها.

(٤) أن التخرج قد يغني عن الاجتهاد المطلق، فإن عجز الأمة عن إيجاد مجتهدين، وحتى المتسيين، يجعلنا أمام فراغ كبير. فالمطلوب من الفقه ملاحقة الوقائع بأحكامه، والحكم لا يكون اضيقاً فإذا لم يكن للمتقدمين من مجتهدى الأمة قول في المسألة، وذلك بسبب عدم وقوعها في أزمانهم، وإذا لم يكن في زماننا من يستطيع الرجوع إلى المصادر الأصلية للتشريع، فلا معنى أن نقف أمام المسائل عاجزين ونسجل على فقهاء الإسلام، وبالتالي على الإسلام كدين وشرعة، وصمة طالما حاول كل شخص دفعها عنه، وهي وصمة المعجز عن مسايرة الزمان.

فالتفكير من دراسة المدارس الإسلامية، وتلاوي فقهائها والوقوف على ضوابط أوقافهم، وقواعدهم العامة، وطريقتهم في الإجابة في المسائل، مع التحكم من كل هذا، سيجعل في الأمة طبقة من المخرجين يقتنون وفق قواعد المذاهب الإسلامية، وسيغني ذلك الفقه الإسلامي بحلول كثيراً جداً، لكثير من التوازل والواقعات.

معالجة المسائل الجديدة

فإن من سبقنا من الأجيال اللاحقة لعصر أئمة المذاهب، لم يلق من التوازل موقفاً سليماً، كما لقف اليوم من كثير منها. بل أفتوا على قدر علمهم وتكثرتهم. ووفق أصول أقوال مذهب إسلامي معين على أننا نلاحظ اليوم، أن معالجة المسائل الجديدة في العصور المتأخرة جداً اتخذت اشكالاً شتى، في مسألة واحدة وهي (التسليم التجاري). نرى ثلاثة اتجاهات:

● **الأول - التحريم مطلقاً،** وذلك بعرض هذه المعاملة الجديدة على القواعد الفقهية والأصول العامة. وهذا ما يتبادر إلى ذهن كل مستغل بالفقه لأول وهلة. وهو الذي توصل إليه آئمة عابدين الشامي (رحمه الله) الذي سنة التسعين وخمسين ومائتين وألف هجرية^(١).

● **الثاني - الجواز مطلقاً،** وذلك بالنظر إلى ظاهر منافع هذه المعاملة الجديدة، والقول بالحل إما لعدم انعدام النظر في حقيقتها، أو لأجل أن يدفع الفائل بذلك عن فقه الشريعة الإسلامية ما قد توصم به من جود أو ابتعاد عن الأحكام بالنظم والاعتبارات الجديدة الفقيهية. من هذا القبيل فتوى الشيخ محمد عبيد (رحمه الله) عندما كان مفتياً للديار المصرية، حين أفتى بالحل وقد أثير سببها نقاش وجدال طويلين لا نريد هنا الخوض في تفاصيله^(٢).

● **الثالث - التأني والبحث الحثيث،** للوصول إلى حكم لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية من جهة، مع عدم التطريط بالمنافع التي قد تنطوي عليها هذه المعاملة الجديدة وأعمالها. وهذا الاتجاه يتمثل واضحاً في بحوث دورات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، وكذلك مما يصدر عن بعض الباحثين هنا وهناك من جهات العالم الإسلامي. وهنا نؤكد مرة جديدة على ضرورة الدراسة المنهجية لكي نتصل إلى الحل الأسلم بما يرضي الله، ويحقق المنافع للعامة.

المواش

(١) راجع بذلك بلا فائدة، د. حبيب عبيد، ص ٢٤، من ١٠٣.

(٢) راجع كتابنا مشايخ بلغ من الخفية وما أقرروا به من المسائل الفقهية.

ج ٢، ص ٧٩٥ مسألة رقم ٥٥٢.

(٣) راجع رد المحتار، ١٧/٤ وما بعدها.

(٤) راجع كتابنا مشايخ بلغ، ج ٢، ص ٨٥٣ - ٨٥٤.

حماية الشيك

في نظام التجارة السعودي

بِقِطَاع : د. إِيَّاس حُدَّاد

نظراً للدور الكبير الذي يتعاظم به استعمال الشيك في الحياة المدنية والتجارية ، رأينا من المفيد أن نستجلي بعض الأحكام التي تتعلق به ، وبخاصة منها تلك التي تعمل على تعزيز الثقة به ، وحماية حقوق حامله باستيفاء قيمته حين تقديمه للوفاء . وقد ابتغينا أن نسبع على هذه الدراسة طابعاً سعودياً بارزاً فلا نعرض للأوضاع والأحكام في الأنظمة الأجنبية الأخرى إلا بالقدر الذي تقتضيه طبيعة المقارنة . علماً أن القواعد التي تنظم الشيك في البلاد العربية تتغارب فيها بينها تفارياً أعلته وحدة المصدر الذي استقت منه هذه القواعد وهو اتفاقيات جنيف الثلاث لعام ١٩٣١ م .

تعريف الشيك وتعيينه

ذكر نظام الأوراق التجارية السعودي ثلاثة أنواع من الأوراق التجارية^(١) هي : الكبيالة ، والسند الأمر ، والشيك .
فال**كبيالة**^(٢) هي صك يمرر وفق شك معين حدده النظام ، بأمر موجه شخص يسمى الممرر أو الساحب ، شخصاً آخر يسمى المسحوب عليه ، بأن يدفع مبلغاً معيناً من النقود في تاريخ معين ، أو قابل للتعيين أو بمجرد الاطلاع ، أو قابل

للتعيين ، أو بمجرد الاطلاع ، لأمر شخص ثالث يسمى المستفيد .
وال**سند الأمر**^(٣) هو صك يمرر وفق شكل معين حدده النظام ، يتضمن تعهد شخص يسمى الممرر أو الساحب ، بأن يدفع مبلغاً معيناً من النقود في تاريخ معين ، أو قابل للتعيين أو بمجرد الاطلاع ، لأمر شخص آخر يسمى المستفيد .
أما **الشيك**^(٤) فهو صك يمرر وفق شكل معين حدده النظام ، بأمر موجه شخص يسمى الممرر أو الساحب ، شخصاً آخر يسمى المسحوب

عليه ، ويكون في العادة مصرفاً ، بأن يدفع مبلغاً معيناً من النقود بمجرد الاطلاع لأمره أو لأمر شخص ثالث يسمى المستفيد .

يتضح من هذه التعاريف أن السند لأمر يختلف عن الكيالة والشيك في أنه لا يتضمن عند تحريره سوى شخصين هما الساحب والمستفيد ، بينما تتضمن الكيالة والشيك وجود ثلاثة أشخاص هم الساحب والمسحوب عليه والمستفيد .

لكن إذا كان الشيك يقترب في شكله من الكيالة من حيث أنه يتضمن مثلها ثلاثة أطراف هم الساحب والمسحوب عليه والمستفيد ، ويفترض مثلها وجود علاقتين أساسيتين سابقتين : الأولى بين الساحب والمسحوب عليه وتسمى بـ «مقابل الوفاء» ، والثانية بين الساحب والمستفيد وتسمى بـ «القيمة الواصلة» ، فإنه يظل متميزاً عنها من وجوه عديدة أهمها :

١ - يجب أن يكون المسحوب عليه في الشيك دائماً مصرفاً بينما يجوز أن يكون المسحوب عليه في الكيالة مصرفاً أو فرداً عادياً ، أو شخصاً اعتبارياً غير مصرف . ولزوم كون المسحوب عليه في الشيك مصرفاً شره ضرورة أجزاء الثقة بالشيك وثقته من أداء وظيفته كأداة ولاء يقبل الناس على اقتنائه والتعامل به . فالساحب وهو الأمر بالدفع لا بد أن يكون مطمئناً لأمانة من أودع لديه نقوده وملازمته ليسد قيمة الشيكات التي يسحبها فور عرضها عليه . وكذلك الأمر بالنسبة للمحال ، إذ لا بد أن تتوفر له الثقة والطمأنينة في استيفاء قيمة الشيك حال تقديمه للوفاء . وهذه الطمأنينة لكلا الطرفين أكثر ما تتوافر في المصارف التي تسبق مليحة على وجه العموم .

٢ - يجب أن يكون الشيك دائماً مستحق الوفاء لدى الاطلاع لأنه أداة ولاء فحسب ، بينما تسحب الكيالة لتدفع لدى الاطلاع أو بعد أجل معين فهي أداة ولاء وأداة الثأن أيضاً .

٣ - يجب أن يكون للشيك مقبض وفائه عند إصداره ، بينما لا يشترط وجود مقابل الوفاء في الكيالة إلا في تاريخ استحقاقها .

٤ - لا يخضع الشيك لإجراءات القبول فهو حين يقدم للمسحوب عليه يكون ذلك بقرص استيفاء قيمته لأنه يستحق الدفع لدى الاطلاع ، بينما يجوز تقديم الكيالة إلى المسحوب عليه لقبولها قبل وفائها .

أهمية الشيك

يقوم الشيك في وقتنا الحاضر بخدمات اقتصادية جليلة إذ يعمل على تسير المعاملات التي تنشأ بين الأفراد ، وإثراء النشاط التجاري في البلاد . لقد ظهر الشيك في الأصل كأداة لاسترداد النقود التي أودعها الساحب لدى المصرف بسحب الشيك لأمر نفسه وقبض قيمته بالذات من المصرف المحسوب عليه . إلا أنه أصبح على ممر الزمن أداة لوفاء الديون بحيث يحل في ذلك محل النقود . فالشخص الذي أودع نقوده لدى مصرف ما

وأصبح له رصيد دائن عنده ، بدلاً من أن يقي دائته مباشرة بتقديم مبلغ من النقود ، فإنه يسحب شيكاً بمقدار الدين على مصرفه باسم هذا الدائن ولاء للدائن . وقد يحدث أن يقوم الشيك الواحد بالوفاء بقيمة الديون عدة مرات وإذا ما تم تداوله عن طريق التظهير من مستفيد إلى آخر بحيث يصبح في النهاية شيئاً بالنقود .

وللوفاء بطريق الشيك مزايا أخرى : فهو من جهة يجعل الناس على إيداع أموالهم لدى المصارف بدلاً من تحميدها في جيوبهم ، أو في خزائهم الخاصة ، فيقل بذلك تداول واستعمال النقود الورقية والمعدنية ، ويتم بالتالي تفادي مخاطر ضياعها أو سرقتها . وهو من جهة أخرى يوفر للساحب وسيلة لإثبات وفاء دينه إذ جرت العادة في المصارف على القيد في دفاترها بأن الشيك قد أوفى لقفلان من الناس .

حياة الشيك

لكي يستطيع الشيك تأدية وظيفته كأداة ولاء تقوم مقام النقود كان لا بد لنظام الأوراق التجارية من تأمين الحياة لحامله بحيث يطمئن إليه ويتقن بأن حصوله عليه مقابل حقه عند الساحب أو المظهر يعادل الوفاء النقدي . وكلما زادت الثقة بالشيك ودبت الطمأنينة في نفوس المتعاملين به انتشر استعماله وعمت الفائدة المرجوة منه . ومن أجل إشاعة هذه الثقة فقد تضمن قانون المصرف^(١) عدة قواعد تهدف مجتموعها إلى تدعيم حق حامل الشيك وإحاطته بعدد من الضمانات التي تؤكد الوفاء به . وأهم هذه القواعد :

١ - انتقال ملكية مقابل الوفاء . ٢ - جريمة إصدار شيك بدون رصيد . ٣ - استغلال التوقيع . ٤ - تطهير الدفوع . ٥ - تضامن الموقعين . ٦ - حماية خاصة لبعض أنواع الشيكات .

١ - انتقال ملكية مقابل الوفاء

مقابل الوفاء^(٢) في الشيك هو دين نقدي مساو على الأقل لقيمة الشيك ، يكون للساحب عند المصرف المسحوب عليه بتاريخ السحب ، وقابل للتصرف بموجب شيك . وقد جرى العرف لدى المصارف على تسمية مقابل الوفاء في الشيك بعبارة «رصيد» .

قد يكون مصدر مقابل الوفاء نقوداً أودعها الساحب عند المسحوب عليه ، أو قرصاً منحه الساحب للمسحوب عليه ، أو لمن بضائع باعها الأول للثاني أو أوكل إليه بيعها لحسابه .

وقد يمثل مقابل الوفاء أيضاً قيمة أوراق تجارية أوكل الساحب إلى المسحوب عليه مهمة قبضها لحسابه بنظيرها إليه نظهيراً توكليلاً . كما يمكن أن يكون مقابل الوفاء قيمة اعتماد فتحه المسحوب عليه لصالح الساحب وأجاز له سحب شيكات لقبضه .

إن وجود مقابل الوفاء ليس شرطاً لصحة الشيك . فلا يترتب على تخلف مقابل الوفاء حين إصدار الشيك بطلانه بل يقع هذا الإصدار صحيحاً . وفي هذا تقول المادة (٩٤) من نظام الأوراق التجارية السعودي : « لا يجوز إصدار الشيك ما لم يكن للساحب لدى المحسوب عليه وقت إنشاء الشيك نفقة يستطيع التصرف فيها بموجب شيك عتيقاً لاتفاق صريح أو ضمني . . . ولا يترتب على عدم وجود مقابل الوفاء أو عدم كفايته بطلان الشيك » .

هذا ويلعب مقابل الوفاء في الشيك دوراً بالغ الأهمية بالنسبة لمراكز أصحاب الشأن فيه :

- فللتصرف المحسوب عليه إذا أذعن للأمر الصادر إليه من الساحب وأوفى الحامل قيمة الشيك تكون قد انقضت علاقة الساتنية والمديونية التي نشأت بين الساحب والمحسوب عليه .
- كما يترتب على تنازل الساحب إلى المستفيد عن مقابل الوفاء الذي له بذمة المحسوب عليه واستلام المستفيد هذا المقابل (أي قبضه قيمة الشيك) ، انقضاء العلاقة الأصلية (القيمة الواصلة) التي نشأت بين الساحب والمستفيد والتي حرر الشيك لوقاها
- ثم يختلف مركز الحامل تجاه الساحب بحسب ما إذا كان الساحب قد قدم مقابل الوفاء إلى المحسوب عليه أم لم يقدمه . فإذا كان الساحب قد قدم مقابل الوفاء وظل هذا المقابل موجوداً عند المحسوب عليه حتى انقضاء مهلة تقديم الشيك ، جاز له أن يدفع مطالبة الحامل المهمل الذي لم يقدم الشيك للوفاء أو لم ينظم الاحتجاج لعدم الوفاء ضمن المواعيد المحددة لذلك ، يسقط حقه في الرجوع عليه . أما إذا كان الساحب لم يقدم مقابل الوفاء أو أنه قد قدمه ثم انقضى أو انتقص قبل انقضاء مهلة تقديم الشيك للوفاء ، فلا يقبل منه الاحتجاج بسقوط حق الحامل المهمل بالرجوع عليه (مادة ١١٥) .

لكن الدور الكبير الذي يلعبه مقابل الوفاء في الشيك هو أن النظام قد أقر حقاً خاصاً للمستفيد ومن ثم للحامل عليه . فقد نصت المادة (٣١) على ما يلي :

« تنتقل ملكية مقابل الوفاء بحكم النظام إلى حملة الكيالة المتعاقبين ، وإذا كان مقابل الوفاء أقل من قيمة الكيالة كان للحامل على هذا المقابل الناقص جميع الحقوق المقررة له على المقابل الكامل » . ويسري حكم هذه المادة على الشيك بدلالة المادة (١١٧) من النظام .

ينصح من هذا النص أن مقابل الوفاء في الشيك لا يظل ملكاً للساحب ، بل إن ملكيته تنتقل إلى المستفيد والحاملة المتعاقبين تبعاً لسحب الشيك وظهوره . ومما لا شك فيه أن هذه الرعاية التي أسبقها النظام على حامل الشيك بتسليمه مقابل وفاته تعتبر من أهم أوجه الحماية التي تقرر لحامل الشيك وبالتالي لسلامة تداوله وضمان تحقيق دوره كوسيلة للوفاء .

يلحظ أن تعبير « ملكية مقابل الوفاء » السوار في نظام التجارة السعودي وغيره من الأنظمة الأجنبية الأخرى ، هو تعبير غير دقيق من الناحية القانونية^(١٢) لتجاهله طبيعة مقابل الوفاء . فالملكية حق عيني لا يرد إلا على عين مادية ، بينما مقابل الوفاء هو حق شخصي كما ذكرنا ، أو دين نقدي للساحب في ذمة المحسوب عليه .

هذا ويترتب على انتقال الحق في مقابل الوفاء إلى حملة الشيك المتعاقبين الآثار القانونية التالية :

١ - إذا أقبل الساحب بعد إصدار الشيك فإن مقابل الوفاء ينتقل سلباً بالحامل الذي اكتسب حقاً عليه قبل إقلامه من نقل إليه هذا الحق . وهذه حالة امتياز خاص النظام بها الحامل إذ يتقدم فيها على غيره من دائي الساحب فديراً بذلك قسمة العرفاء ، وعلى ذلك لا يجوز لأمين مجلس الشفيلة وأمناء الدبابة استرداد مقابل الوفاء من المحسوب عليه إذا كان الشيك قد صدر عن الساحب قبل إعلان إفلاسه (المادتان ٣٤ و ١١٧) من النظام .

٢ - يمتنع على الساحب استرداد مقابل الوفاء من المحسوب عليه ، أو المعارضة في وفاء الشيك ويعبر عن هذا الحكم بأن الشيك لا يجوز الرجوع فيه^(١٣) متى سل إلى المستفيد .

٣ - لا يجوز لدائي الساحب توقيع حجز ما للمدين لدى الغير تحت بد المحسوب عليه . فظالما أن الحق في مقابل الوفاء قد انتقل من الساحب إلى المستفيد بمجرد إصدار الشيك ، فالحجز يقع عندئذ على مال خارج ذمة المدين ويكون بالتالي باطلاً .

٤ - إذا أصدر الساحب عدة شيكات ولم يكن مقابل الوفاء كافياً للوفاء بها جميعاً ، فإنه يجب الوفاء بها حسب تواريخ سحبها . وإذا كانت الشيكات المقدمة مفعولة من دفتر واحد ولحمل تاريخ إصدار واحد فضل وفاء الشيك الأسبق رافاً (المادة ١٠٦) .

٥ - نصت (المادة ١٠٠) من نظام الأوراق التجارية السعودي بأنه لا يجوز للمحسوب عليه أن يتوقع على شيك بالتقريب وكل قبول مكتوب يعتبر كأنه لم يكن . ومبرر هذا الحكم هو أن الشيك واجب الأداء فور تقديمه للمصرف المحسوب عليه ، إلا أن المادة نفسها قد أحضرت للمحسوب عليه أن يؤثر على الشيك بإعاده ، كأن يكتب مثلاً « يعتمد » ويوقع . وأوضح أن هذه العبارة تفيد وجود مقابل الوفاء في تاريخ التأشير .

وفي رأينا أن التأشير على الشيك يجعل نياً إصدار الشيك إلى المحسوب عليه ، وهذا يلزم الأخير بالاحتفاظ بالرصيد الذي يقابله أي بتجديده^(١٤) ، لاستعماله في وفاء الحامل حينما يقدم الشيك إليه . وليس ذلك إلا لأن رصيد هذا الشيك (أي مقابل وفاته) قد انتقل بحكم النظام إلى حامل الشيك .

تشير بالنسبة إلى أنه يقبل استعمال الشيكات المعتمدة من قبل الأفراد والمؤسسات الذين يتعاملون مع الجهات الحكومية لتنفيذ بعض عقود التوريد أو الأشغال معها ، أو لتسديد الرسوم المتوجبة للدولة .

٢ - جريمة سحب شيك بدون رصيد

نظراً لانتشار استعمال الشيك كأداة للسقاة في الحياة المدنية والتجارية ، ودعماً للثقة الشامة لدى المتعاملين به ، وإعداداً للخوف من لجوء بعض الأفراد إلى التهرب من الوفاء بالتزاماتهم بإصدار شيكات لا رصيد لها ، فقد حددت معظم أنظمة التجارة في العالم الساحب بإزالة العقاب الرادع عنه إذا أصدر شيكاً دون أن يقابله رصيد كاف لتغطية قيمته . وقد أسبغت هذه الأنظمة على فعل الساحب الذي يصدر شيكاً دون رصيد وصف الجريمة وفرضت بشأه عقوبة الحبس والغرامة .
وبالنسبة لنظام الأوراق التجارية السعودي فقد نصت (المادة ١١٨) منه بهذا الشأن على ما يلي :

« كل من سحب بسوء نية شيكاً لا يكون له مقابل وفاء قائم وقابل للسحب ، أو يكون له مقابل وفاء أقل من قيمة الشيك ، وكل من استرد بسوء نية بعد إعطاء الشيك مقابل الوفاء أو بعضه بحيث أصبح الباقي لا يقي بقيمة الشيك ، أو أمر وهو مميء التبة المسحوب عليه بعدم دفع قيمته يعاقب بغرامة من مائة ريال إلى ألفي ريال والسجن مدة لا تقل عن خمسة عشر يوماً ولا تزيد عن ستة أشهر أو بإحدى هاتين العقوبتين » .

يتضح من هذا النص ، أن جريمة إصدار شيك بدون رصيد ورصيد أركاناً ثلاثة :

أ - سحب الشيك .

ب - عدم وجود رصيد .

ج - القصد الجرمي .

أ - سحب الشيك : يقصد بسحب الشيك تحريره وطرحه في التداول بتسليمه إلى المستفيد أو إرساله إليه . لهذا فإن من حرر شيكاً ولم يكن له رصيد لوفائه ثم احتفظ به أو أخرج من حيازته رغماً عنه كما في حالة السرقة ، لا ينطبق^(١١٠) على فعله وصف الجريمة ولا يعاقب بأحكام (١١٨) المذكورة أعلاه . كذلك لا يعاقب من ظهر شيكاً دون أن يكون له رصيد لأن نطاق الجريمة المنصوص عنها يقتصر على واقعة سحب شيك دون تظهيره^(١١١) .

تشير أيضاً إلى أن جريمة سحب شيك بدونه رصيد لا تستحقق إلا إذا كان الصك المسحوب تنطبق عليه أحكام الشيك الصحيح الذي يجب أن تتوافر فيه جميع البيانات الإلزامية الواردة في (المادة ٩١) من النظام بدءاً من ذكر كلمة شيك في متن هذا الصك وانتهاء بتوقيع الساحب عليه .

ب - عدم وجود مقابل وفاء (رصيد) : إن المقصود بانتفاء مقابل الوفاء هو الحالات التي لا يستطيع الحامل فيها الحصول على قيمة الشيك من المسحوب عليه إذا كان ذلك يعود لأسباب تتعلق بالساحب . وبالرجوع إلى نص (المادة ١١٨) المشار إليه أعلاه نجد أن الحالات التي يتحقق فيها انتفاء المقابل هي ثلاث :

★ الحالة الأولى : عدم وجود مقابل وفاء وقت سحب الشيك أو عدم كفايته : يشترط لتطبيق أحكام العقوبة المنصوص عنها في (المادة ١١٨) أن يكون الشيك الذي سحبه الساحب بدون رصيد وقت سحب الشيك كما لو كان الساحب غير دائن بشيء للمسحوب عليه . ويترتب على ذلك أن الجريمة تستحقق ويتعرض الساحب للعقاب حتى ولو توافر المقابل أو الرصيد فيما بعد وقبل تقديم الشيك للمسحوب عليه الوفاء . ذلك أن العبرة في وجود الرصيد هو تاريخ سحب الشيك لا تاريخ عرضه لللاحق على المسحوب عليه للوفاء . فإذا فإن الحالات التي يقوم فيها بعض الساحبين بتأخير تاريخ الشيك ، أي يذكرون تاريخاً له لاحقاً لسحبه لتوقيعه إيجاد مقابل الوفاء لدى المسحوب عليه في التاريخ المذكور في الشيك ، لا تؤثر بشيء على تحقق الجريمة وتعريضهم للعقاب ، طالما يحق للمستفيد تقديم الشيك للمسحوب عليه للوفاء فور استلامه له لكونه قابلاً للوفاء لدى الإطلاع كما نعلم .

هذا ويقصد أيضاً بعدم وجود مقابل وفاء ليس فقط حالة انعدام وجود الرصيد كلياً بل الحالة التي يوجد فيها رصيد أيضاً لكنه غير قابل للسحب ، كأن يكون الرصيد محجوزاً عليه أو كان الساحب تاجراً قد شهر إفلاسه .

وتستحقق كذلك جريمة إصدار شيك بدون رصيد ولا يعفى الساحب من المسؤولية الجنائية إذا كان مبلغ الرصيد غير كاف للوفاء بقيمة الشيك .

★ الحالة الثانية : استرداد مقابل الوفاء أو بعضه : لا يكفي أن يكون للساحب لدى المسحوب عليه وقت سحب الشيك رصيداً ، بل يجب أن يظل هذا الرصيد قائماً إلى أن يتم الوفاء للحامل . لهذا يتمتع على الساحب بعد سحب الشيك أن يعتمد إلى استرداد مقابل وفائه كله أو بعضه .

★ الحالة الثالثة : إصدار أمر من الساحب إلى المسحوب عليه بعدم الدفع : إن الأهمية التي يعوها الحامل على وجود مقابل وفاء كاف لتغطية قيمة الشيك تستند إلى أملة في الحصول على حقه بالوفاء حين تقديم الشيك للمسحوب عليه . لذلك فإن هذه الأهمية تنتهي فيما إذا تعطل حق الحامل على هذا المقابل بسبب يرجع إلى الساحب كما لو أصدر أمراً للمسحوب عليه بمنعه من وفاء الشيك إلى الحامل . وعلى هذا إذا امتنع المصرف المسحوب عليه عن دفع قيمة الشيك نتيجة أمر الساحب فإنه يترتب على ذلك انتفاء المقابل وتحقق الجريمة . ولا عبرة

للاسياب التي دفعت الساحب إلى إصدار مثل هذا الأمر حتى ولو كانت مشروعة، لأنها من قبيل البواعث التي لا تتغير لها في قيسام المسؤولية الجنائية^(١١).

ج - **القصد الجنائي** : يشترط أخيراً لقيام جريمة سحب شيك بدون رصيد توافر القصد الجرمي لدى الساحب. وإلى ذلك أشارت (المادة ١١٨) من النظام حين قالت : « كل من سحب بسوه نية ... أو كل من استرد بسوه نية ... أو أمر وهو سيء النية المسحوب عليه بعدم دفع قيمة الشيك ... » وقد ثار الخلاف حول ما يقصده النص سوء النية في هذا الشأن. فهل يقتضي سوء النية أن يتوفر لدى الساحب نية الإضرار بال حامل أم يكفي مجرد علم الساحب وقت سحب الشيك بعدم وجود مقابل الوفاء أو عدم كفايته، أو علمه عند استرداده للمقابل بأن الشيك لم يدفع بعد، أو علمه أيضاً عند إصدار الأمر للمسحوب عليه بتعريضه إلى دفعه بأنه يترتب على ذلك عدم دفع قيمة الشيك، ففي حين استقر الفقه والقضاء الأجنبيان على تبني المفهوم الثاني، أي أن المقصود بعبارة سوء النية هو أن يتوافر مجرد علم الساحب بعدم وجود السعيد أو كفايته ... لكي يقوم الركن الثالث (القصد الجرمي) بجريمة سحب شيك بدون رصيد. فإن نظام الأوراق التجارية السعودي قد اعتمد المفهوم الأول حين رأى أنه لا يتوافر عنصر سوء النية بمجرد علم الساحب بعدم وجود مقابل الوفاء أو بعدم كفايته، أو علمه عند استرداده مقابل الوفاء بأن الشيك لم يدفع بعد، أو علمه بمذلول الأمر الصادر منه بعدم الدفع، بل يلزم أن يقصد الساحب في هذه الأحوال الثلاثة إلى الإضرار بمفوق الحامل، على أنه يفترض في الساحب سوء النية متى ثبتت واقعة من الوقائع الثلاث التي عدها (المادة ١١٨)، ويكفي عليه هو أن يدفع عن نفسه سوء النية بالتدليل على أنه لم يقصد الإضرار بمفوق الحامل. هذا ولا ينفي سوء نية الساحب وبالتالي لا يقلل من وقوع الجريمة كون المستفيد على بينة وقت سحب الشيك بعدم وجود مقابل وفاء له، إذ لم يقصد النظام حماية المستفيد بذاته وإنما تعزيز الثقة بالشيك وتحسينه من أداء رسالته كأداة وفاء. إضافة إلى ذلك، فقد عاقبت الفقرة الثانية من (المادة ١١٨) المستفيد، في حال تسلمه الشيك مع علمه بدون وجود مقابل وفاء له، بنفس العقوبات التي تطبق بحق الساحب، أي بالغرامة من مائة ريال إلى ألفي ريال وبالسجن مدة لا تقل عن (١٥) يوماً ولا تزيد عن (٦) أشهر، أو بإحدى هاتين العقوبتين مع مراعاة ما قد نص عليه أحكام الشريعة الإسلامية.

٣ - استقلال التوقيعات

نصت (المادة ٩) من نظام الأوراق التجارية السعودي على أنه : « إذا حملت الكيالة توقيعات أشخاص ليست لهم أهلية الالتزام

بها، أو توقيعات مزورة، أو توقيعات لأشخاص وهميين، أو توقيعات لا تلزم لأي سبب آخر الأشخاص الذين وقعوا الكيالة، أو السذين وقعت بأحالتهم، فإن التزامات غيرهم من الموقعين عليها تنقل مع ذلك صحيحة كما قضت (المادة ١١٧) من هذا النظام بريان أحكام هذا النص على الشيك.

يقصد بهذا استقلال التوقيعات أن كل من وقع على الشيك سواء كان الساحب أو المظهر أو الضامن يعتبر توقيعه مستقلاً عن التوقيعات الأخرى. بتعبير آخر ليس للالتزام الضمني لكل موقع علاقة بالالتزام الضمني لموقع آخر. فإذا تضمن الشيك بطلان التزام الساحب لعدم مشروعية السبب (وفاء دين قار للمستفيد مثلاً) فإن أثر هذا البطلان يقتصر على علاقة الساحب بالمستفيد ولا يترتب على الالتزامات الأخرى الناشئة عن التوقيع على الشيك، لأن لكل منها كياناً قائماً بذاته. وبناء على ذلك إذا قام المستفيد بتظهير الشيك إلى شخص آخر فإن التزام المستفيد يكون صحيحاً بالنسبة إلى المظهر إليه الجديد.

من الواضح أن هذا المبدأ يعتبر عروفاً على القواعد العامة التي تقضي بالبطلان المطلق لإصدار الشيك لعدم مشروعية سببه. لكن هذا الخروج يبرز حماية النظام التجاري لحامل الشيك وتشجيعاً له على التعامل به دون التخوف من بطلان التوقيعات الموجودة عليه. ويتفرع عن قاعدة استقلال التوقيعات قاعدة صرفة هامة أخرى هي قاعدة تطهير الدفع.

٤ - تطهير الدفع

تعتبر قاعدة تطهير الدفع من أهم القواعد التي تضمها قانون الصرف، ومن أهم آثار تطهير الأوراق التجارية. ويقصد بتطهير الدفع أنه لا يجوز للمدين في الشيك سواء أكان المسحوب عليه أو الساحب أو أحد المظهرين أن يمتنع عن الوفاء للحامل حسن النية مستنداً إلى الدفع التي كان بإمكانه أن يتمسك بها قبل أحد الموقعين السابقين. بعبارة أخرى أن تطهير الشيك ينقل الحق الثابت به من المظهر إلى المظهر له خالياً مطهر من جميع الدفع. ولذا يقال إن « التطهير يطهر الدفع ». والمقصود بالدفع في هذا المجال هو أوجه الرد التي يلجأ إليها المدين للتوصل من التزاماته كأدعائه بطلان التزامه لعدم مشروعية السبب.

لقد تبني نظام الأوراق التجارية السعودي قاعدة تطهير الدفع في (المادة ١٧) منه التي تنص على ما يلي : « ليس لمن أقيمت عليه دعوى الكيالة أن يمتنع على حاملها بالدفع المبينة على علاقته الشخصية بساحبها أو بحاملها السابقين ما لم يكن قصد الحامل وقت حصوله على الكيالة الإضرار بالمدين ». وسري حكم هذه المادة على الشيك بدلالة (المادة ١١٧) من نظام الأوراق التجارية نفسه.

وبناء على ذلك إذا افترضنا أن المظهر قد امتنع عن الوفاء لعدم

٥ - تضامن الموقعين

تشكل قاعدة تضامن الموقعين ، ويطلق عليها بالتضامن الصرفي ، حامية أخرى هامة لحامل الشيك أراد النظام إصفاها إلى سياح الضمانات السابقة التي أحاطت بها . وجاء ذكر هذه القاعدة في (المادة ٥٨) من نظام الأوراق التجارية ، المطبقة على الشيك بدلالة (المادة ١١٧) من نفس النظام . وهي تقضي بأن صاحب الشيك ومظهره وضامنه الاحتياطي مسؤولون جميعاً بالتضامن نحو حامله . وللحامل مطالبته منفرداً أو مجتمعين دون مراعاة أي ترتيب . ويثبت هذا الحق لكل موقع على الشيك وفي قيمته تجاه المسؤول نحوه . والدعوى المقامة على أحد الملتزمين به لا تحول دون مطالبة الباقيين ولو كان التزامهم لاحقاً لمن وجهت إليه الدعوى ابتداء .

ينص من هذا النص أن الحامل الذي لم يتمكن من استيفاء قيمة الشيك من المصرف المسحوب عليه باستطاعته الرجوع على أي من الموقعين السابقين علىفراد بكامل مبلغ الشيك إذا اعتقد أنه مسوس وأقدر من غيره على الوفاء ، أو أن يجمعهم كلهم في مطالبة واحدة ليشدروا وفاء قيمة الشيك فيما بينهم ، كما له الرجوع على أي موقع سابق أو لاحق للموقع الذي بدأ برفع الدعوى عليه لمطالبته بقيمة الشيك .

وقد أجاز النص أيضاً لأي موقع على الشيك قام بوفائه بأن يرجع على سائر الموقعين الآخرين وبكامل قيمة الشيك الذي أوفاه . ويلاحظ هنا أن هذه القاعدة تتعارض مع أحكام القواعد العامة في التضامن التي تقضي بتقسام الدين بين التضامنين ، أي أنه ليس للمدين للتضامن الذي أوفى كامل قيمة الدين الرجوع على المدينين الآخرين إلا بمقدار حصته فقط من الدين الموفى .

لكن لكي يتمكن حامل الشيك من الاستفادة من أحكام قاعدة التضامن الصرفي والرجوع على الملتزمين بالشيك ، أوجبت عليه (المادة ١٠٨) من النظام تقديم الشيك أولاً للمسحوب عليه ضمن البعاد النظامي وثبوت امتناعه عن الوفاء باحتجاج رسمي لدى الكاتب بالعدل . هذا ومن المفروض أن تقدم الشيكات المسحوبة في الملكية والمستحقة الوفاء فيها خلال مدة شهر من تاريخ إصدارها ، أما المسحوبة خارج الملكية والمستحقة الوفاء فيها فخلال مدة ثلاثة أشهر (المادة ١٠٣) .

مع ذلك للمسحوب عليه أن يوفي قيمة الشيك ولو بعد انقضاء ميعاد تقديمه طالما يتوفر لساحبه رصيده بزمته (المادة ١٠٥ من النظام) .

٦ - حماية خاصة لبعض أنواع الشيكات

أ - الشيك المسطر : الشيك المسطر هو شيك محدد وفق شكل

وجود رصيده لساحب الشيك عنده فإنه يحق للحامل ، كما سترى بعد قليل ، الرجوع على الموقعين السابقين من صاحب ومظهرين وضامين للمطالبة بقيمة الشيك . فإذا كان الشيك قد ظهر عدة مرات لكن الحامل رجع على صاحب دون غيره ومطالبه بالوفاء ، وكان التزام الساحب قبل الاستيفاء الأول باطلاً لعدم مشروعية السبب (وفاء صفة غدرات) ، فإن الساحب لا يستطيع التمسك في مواجهة الحامل ببطلان التزامه الأصلي ، ويجبر على الوفاء ، طالما كان الأخير حسن النية ويجعل ما يشوب العلاقة التي كانت تربط الساحب بالاستيفاء ، وهكذا ترى أن الساحب قد نقل إلى الآخرين ، نتيجة سحب الشيك ومن ثم تظهيره ، حقاً ما كان يملكه هو بلدات مطالبة الاستيفاء فيه لعدم شرعيته .

من هنا تعتبر قاعدة تظهير الدفع خروجاً على القواعد العامة التي تقضي بأن فائده الشيء لا يعطيه ، وأنه لا يجوز لشخص أن ينتقل إلى غيره من الحقوق أكثر مما يملك . فاقبل في حوالة الحق للمدنية لا ينتقل للمحالة له إلا ذات الحق الذي كان له قبل المحال عليه بكل ما يلحق به من مزايا وعيوب . لذا فلمحال عليه أن يتسكك في مواجهة المحال له بكافة الدفع التي كان يستطيع التمسك بها في مواجهة المجهل وقت نقاذ الحوالة في حقه . لكن يلاحظ أنه رغم سلامة القواعد العامة من الساحة القانونية ، فإن تطبيقها على الأوراق التجارية أمر لا يبرره ضرورات الحياة التجارية والاقتصادية . فلو جاز للمدين في الشيك أن يتسكك في مواجهة حامله بالدفع التي كان يستطيع التمسك بها تجاه حامل سابق لما أقدم أحد على التعامل بالشيك قبل أن يجري تحريات عن الظروف التي التزم من خلالها كل موقع ليتأكد من خلوه هذا الشيك من العيوب التي قد تنخر فيه . وهذا ما قد يفضي إلى إجحاف الناس عن التعامل بالأوراق التجارية ومنها الشيك وشلتها بالتالي عن أداء وظيفتها كأداة للوفاء بالديون تقوم مقام الدفع النقدي . لهذه الأسباب خالف النظام التجاري القواعد العامة وأحاط حامل الورقة التجارية برعايته حين أقر قاعدة تظهير الدفع .

لكن لكي تشمل هذه الرعاية والحماية حامل الشيك ويستفيد من التمسك بقاعدة تظهير الدفع أوجب النظام أن لا يكون سيء النية . ولا يكفي مجرد علم حامل الشيك في مثالي السابق بأن العلاقة التي تربط الساحب بالاستيفاء هي باطللة للدلالة على سوء نية ، إنما يجب أن يتوافر لديه قصد الإصرار بالمدن الساحب عن طريق حرمائه من التمسك بالدفع التي كانت له تجاه المستفيد . والغيرة بوجود سوء نية الحامل هو

في وقت إجراء تظهير الشيك . فإذا كان جاهلاً بوجود العيب في هذا الوقت اعتبر حسن النية ولو عر به بعد ذلك . ووفقاً للقواعد العامة يعتبر حامل الشيك حسن النية إلى أن يثبت صاحبه النقص الدليل على عكس ذلك .

الشيك العادي، لكنه يتميز بوجود خطين متوازيين - عادة مائلين - على صدر الشيك موضوعين بخط اليد أو بواسطة ختم. ويترتب على هذا التطوير وجوب امتناع المصرف المسحوب عليه عن الوفاء بقيمة الشيك إلا إلى أحد عملائه أو إلى بنك (مادة ١١٢ من النظام)، ولا تعرض لمسؤولية التعويض عن الضرر الحاصل بما لا يجاوز قيمة الشيك (مادة ١١٤).

إن الحكمة من التطوير هي تفادي خطر تزوير الشيك أو ضياعه أو سرقة، إذ لا يستطيع المزور أو السارق أن يقبض قيمة الشيك إلا إذا كان عميلًا للمصرف المسحوب عليه أو ظهر الشيك إلى مصرف آخر. وفي الحالة الأولى قد يصعب على المزور أو السارق أن يتقدم إلى مصرفه الذي يتعامل معه لتحصيل قيمة الشيك خوفًا من اكتشاف الأمر مستغلًا واختلال ثقة المصرف به. وفي الحالة الثانية لا تقلل المصارف عادة خصم الشيكات المسطرة التي تقدم إليها إلا بعد التحقق جيدًا من شخصية الحامل ومن كيفية حصوله عليه.

يجوز تسطير الشيك من الساحب ومن الحامل (مادة ١١١) وسواء أكان الشيك صادراً للأمر أم للحامل أم كان الشيك أصحاً.

والتسطير على نوعين: تسطير عام وتسطير خاص. فالتسطير العام هو الذي يترك فيه الفراغ بين الخططين المتوازيين على بياض دون كتابة أية كلمة، أو إذا كتب لفظ (مصرف) من غير تعيين اسم مصرف بالذات، وفي هذه الحالة يجوز للمصرف المسحوب عليه وفاء قيمة الشيك إلى أحد عملائه أو لأي مصرف يتقدم به. أما التسطير الخاص فهو الذي يذكر فيه اسم مصرف معين فيما بين الخططين، وعندئذ ينتج عن المصرف المسحوب عليه وفاء قيمة الشيك إلا إلى هذا المصرف بالذات ولا تعرض للمسؤولية بالتعويض عن الضرر بما لا يجاوز قيمة الشيك (مادة ١١٤ من النظام). هذا ويجوز تحويل التسطير العام إلى تسطير خاص بذكر اسم مصرف معين بين الخططين، أما التسطير الخاص فلا يتحول إلى تسطير عام.

وقد حظر النظام شطب التسطير العام أو التسطير الخاص بقصد تحويل الشيك المسطر إلى شيك عادي، وإذا حصل الشطب فلا يعتد به، إذ متى وضع التسطير على شيك وجب أن تظل له هذه الصفة حتى تنقضي قيمته (مادة ١١١ من النظام).

ب- الشيك المقيد في الحساب: هو عبارة عن شيك عادي يضيف إليه الساحب أو الحامل عبارة تفيد عدم جواز الوفاء بقيمته نقداً بل عن طريق القبول الكتابية، كأن يكتب على صدر الشيك عبارة «للقيد في الحساب» أو أية عبارة أخرى تفيد نفس المعنى (مادة ١١٣). وفي هذه الحالة لا يكون للمسحوب عليه تسوية قيمة الشيك إلا بطريق قبول كتابية كالقبول في الحساب أو النقل المصرفي أو المقاصة، وتقوم هذه القبول مقام النقود - لا يجوز شطب بيان «للقيد في الحساب» وإذا

حصل هذا الشطب فلا يعتد به. ثم إذا أوفى المصرف المسحوب عليه قيمة الشيك نقداً على الرغم من وجود عبارة «للقيد في الحساب» كان مسؤولاً عن تعويض الضرر الحاصل بما لا يجاوز مبلغ الشيك (مادة ١١٤).

إن الغرض من وفاء هذه الشيكات عن طريق قبضها في سجلات المصارف هو الاستغناء عن استعمال النقود والتقليل من مخاطر ضياع الشيكات أو سرقتها أو تزويرها، لكن يفترض في هذه الحالة وجود حسابات لدى المصارف للمتعاملين بهذه الشيكات.

الهوامش

- (١) يطلق على الأوراق التجارية في التشريعات السوري واللبناني والاستناد التجارية.
- (٢) الكبيالة كلمة مأخوذة عن الإيطالية Cambiale ويطلق عليها «سفتجة» في بعض تشريعات البلدان العربية كسورية ولبنان والعراق.
- (٣) يطلق على السند لأمر في التشريع المصري «السند الإجمالي».
- (٤) يقال إن كلمة شيك تعود إلى أصلها إلى الكلمة العربية «شك» وهو الرقاع الذي كان يحصل عليه العميل من المصرف لقاء إيداعه أمواله لديه. انظر في ذلك: د. هشام فرعون: الحقوق التجارية البرية، دمشق ١٩٧٣ م، ص ٤٥٦.
- د. عمود محمد باطلي: الأوراق التجارية في المملكة العربية السعودية ١٩٩٧ م، ص ٦٦٢.
- (٥) يقصد بذات المصرف بمجموع القواعد التي تضمنها نظام التجارة وتحكم الأوراق التجارية. وترجع التسمية «المصرف» إلى أن نشأة الشيكات - إحدى الأوراق التجارية - قد ارتبطت تاريخياً بتنفيذ عقد الصرف المسحوب الذي يقوم على مبادلة النقود بين مكاتب مختلفين.
- (٦) يطلق على مقابل الوفاء في التشريع اللبناني «الموالة».
- (٧) انظر: د. جاك الحكيم: الاستناد التجارية، دمشق ١٩٧٣ م، ص ١٢٣.
- د. علي البارودي: الأوراق التجارية، القاهرة ١٩٦٢ م، ص ٩٤.
- (٨) د. مصطفى كمال طه: التوجيه في القانون التجاري، القاهرة ١٩٧٣ م، ص ٢٠٩.
- (٩) د. حسن شفيق: القانون التجاري الكويتي، ١٩٧٢ م، ص ١٣٤.
- يمكن ذلك رأي الدكتور هشام فرعون، نفس المرجع السابق، ص ٤٧٣.
- (١٠) د. سميرة القليوبي: الموجز في القانون التجاري، القاهرة ١٩٧٨ م، ص ٢٠٢.
- (١١) د. مصطفى كمال طه: نفس المرجع السابق، ص ٢١١.
- (١٢) د. مصطفى كمال طه: نفس المرجع السابق، ص ٢١٥.
- (١٣) نفس جيسال مصري ١٩٥١/١/١٥ م، محكمة الكويت السكنية ١٩٧٠/١٢/٣٠ م، تشير إلى القرار الأخير من قبل الدكتور محمد حسني عباس في مؤلفه: الأوراق التجارية في التشريع الكويتي، ص ٢٦٩، انظر أيضاً الدكتور علي حسن بونس: الأوراق التجارية، القاهرة ١٩٧٦ م، ص ١٩٣.
- (١٤) انظر في ذلك المذكرة التفسيرية لهذا النظام من ٦٢، والدكتور عمود باطلي: نفس المرجع السابق، ص ٣٢٨.

يرجع كثير من علماء النفس الغربيين الأمراض النفسية إلى أسباب ومسببات وعمل ومعلولات وظروف بيئية ونواحي وراثية ، ويفترضون لذلك الفروض ويفرقون في التخمينات ويجمعون إرهاسات لا تستند إلى دليل عقلي ، ولا برهان علمي ، لذلك فإن كثيراً من تفسيرات الشخصية ، وتعليلات السلوك تحتاج إلى تفسير .. فهي غامضة أشد الغموض .



أسباب المرض لتفسي

فالإنسان متى اكتمل رشده ، وبلغ من العمر ما يؤهله أن يعرف الحق من الباطل ويميز بين الصحيح والفساد ، عليه أن يتجنب الشر ويقتل على الخير بما أودع فيه من موهبة العقل فلا يطغى هواه ولا سقط في براثن الشر والضللال .

كما أننا لا ننق مع علماء النفس الغربيين الذين يزعمون أن عقدي «أوديب» و «الكتر» إذا لم يتسام بها الشخص أو إذا لم يتخذ لنفسه طريقاً تحويلية في مقابلها ، عجز عن التكيف وأصيب بالكرس وظهرت عليه الأعراض المرضية .

فليست العلاقة بين الأم ولولدها علاقة جنسية كما يزعم فرويد ، كما أنه ليست العلاقة بين الأب وابنته من هذا النوع ، فكيف تدنس أظهر علاقة في الوجود ، وأعظم حب لا مصلحة فيه ولا منفعة ، ليصبح علاقة حيوانية تبيط بالإنسان إلى أسفل سافلين وقد خلقه تعالى في أحسن تقويم .

هناك أسباب أخرى أعمق وأصدق للمرض النفسي وإن نفرضها أو نجعلها كما يفعل علماء النفس الغربيون ، لكننا نرجع إلى القرآن الكريم ، ففي آياته البيانات خير مرشد ومعين ...

يقول تعالى : ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وجمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴾ (سورة النحل ، الآية ١٠٨) .

فالغفلة هي نسيان الحق ، وتجاهل الفطر السليمة ، وظلم للنفس ، واتباع للهوى ، وموافقة للمغربة الشيطانية :

﴿ يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين ﴾ (سورة الأنبياء ، الآية ٩٧) .

إذن ترتبط الغفلة بظلم النفس وهو الذي يقود إلى الشرك : ﴿ يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ﴾ (سورة لقمان ، الآية ١٣) .

فالغفلة تقود إلى الظلم ، والظلم للنفس يقود إلى الشرك ، ومن وصل

ومن تلكم الأسباب التي يفترضون أنها تلعب دوراً في (نشوء المرض النفسي ، وظهور السلوك الشاذ ، والتصرفات غير السوية ، والشعور بالنقص والاضطهاد والضعف وجنون العظمة ، والمزوخية ، والوسواس والهلوسة والهواجس والاكْتئاب النفسي والبأس والفتور إلى غير ذلك من الأشكال المرضية النفسية) .. من تلكم الأسباب التي يفترضون أنها تلعب دوراً في نشوء المرض النفسي ، عدم التكيف وعدم التوافق وضغوط البيئة وعقدنا «أوديب» و «الكتر» .

ويركز علماء النفس الغربيون أيضاً على فترة الطفولة المبكرة باعتبارها الفترة التي تتكون فيها الشخصية ، وأما فترة المراهقة والشباب فهي ثنائية طلاء لها ، فالتدليل الزائد للطفل يسبب فيها بعد شخصية متسببة وعناء ، كما أن التدليل في معاملة الطفل يجعله غير قادر على التعرف على السلوك الواجب الاندفاع ، ومن ثم إخفاقه في التكيف مع القيم والقواعد .. فتتكون هذا الطفل فيها بعد شخصية مترددة متشككة في كل شيء ، كما أن القسوة في معاملة الطفل تجعله شخصاً مكتئباً قاسي القلب .

وربما تكون هذه الأسباب عوامل مساعدة للمرض النفسي .. لكنها في واقع الأمر ليست الأسباب الحقيقية للمرض النفسي ، فكيف من أطفال نشأوا وترعرعوا في ظروف قاسية أو بيئات فاسدة لكنهم اتخذوا لأنفسهم خطاً مستقيماً وسلوكوا سلوكاً سليماً ، ورفضوا تقليد ذويهم في النواقص أو ارتكاب المعاصي ، والآيات القرآنية الكريمة شاهدة على صدق ما نقول ، فهذا إبراهيم عليه السلام كان والده كافراً يصنع الأصنام ، فحطم إبراهيم عندما شب عن الطوف الأصنام ، وهذا ابن نوح نشأ في بيت النبوة لكنه تبع هواه وظلم نفسه وكفر برب العالمين ،

والأمثلة كثيرة ومتعددة تظهر أن كل إنسان مسؤول عن عمله وإلا كان يلزم أن يكون ابن الغاسق فاسقاً ، وابن التي نقياً ، وفي هذا يقول عز من قائل : ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ﴾ (سورة الإسراء ، الآية ١٣) .

في النظرية الإسلامية

﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ﴾ (سورة

المجادلة ، الآية ١٩) .

وإذا ما استحوذ الشيطان على النفس فسدت ومرضت ، وأصبحت
لنفساً أخرى غير نفس صاحبها ، لأنها تقع في الأفكار الخاطئة
والدعاوى الغرضية ، فضلاً عن الهواجس والبواسير والخوف
والاكتئاب :

﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾ (سورة

الحشر ، الآية ١٩) .

وكما ترتبط الغفلة بالنسيان والنسيان بالتفاسد ، كانت التفاسد يرتبط
بالكذب :

﴿ والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ (سورة السافقون ،

الآية ١) .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

«ما زال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند
الله كذاباً»

وبالحكمة فإن أسباب المرض النفسي من وجهة النظر الإسلامية
يمكن إيرادها في النقاط الآتية :

- ١ - الكذب ٢ - التفاسد والرياء ٣ - النسيان
- ٤ - الغفلة ٥ - ظم النفس ٦ - الشرك .

وأما الظروف البيئية والاجتماعية والعوامل الوراثية والاضغوط النفسية
إلى آخر ذلك من العوامل ، فهي يمكن أن تلعب دوراً إيجابياً أو
سلبياً . بمعنى أنها ربما تقود إلى الصحة النفسية وذلك باستخدام
النفس معاملة كظم الغيظ أو الصبر ، أو ترتفع النفس إلى العفو والتسامح
ثم إلى الإحسان .

كما أن النفس الغافلة الكاذبة الناسية لأمر الله تنقاد إلى الأهواء وتظم
نفسها فتقع في اليأس والقنوط وتنهبها البواسير وتكدرها الهواجس . .
وتنزل بها الخوف والقلق الشديد .

الإنسان إلى هذا الحال غطيت نفسه وفسدت موازينه ، ووقع فريسة للرغبة
والشك والرجفة والوسوسة واليأس والقنوط ، وربما تظاهر تحيراً واعتزازاً
بالقدرة أو العبقرية فيقع في أمراض نفسية أكثر فتكاً به مثل جنون
العظمة أو «الترجسية» أو ما يسمونه «عبادة الذات» ، وكثيراً ما
يصل هؤلاء إلى القتل الدرع أو الاغتيال قبلجاؤون إلى الانتحار وهذا
أظم نهاية حياتهم .

وكما ترتبط الغفلة بظم النفس ، فإنها ترتبط من ناحية أخرى
بالنسيان ، وذلك النسيان هو الذي يفقد بدوره إلى الغفلة ، والنسيان بهذا
المعنى أول مراتب الغفلة ، لأنه ثمة ضعف الإرادة ، وقلة العزيمة :

﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً ﴾
(سورة طه ، الآية ١١٥) .

لكن استمرار النسيان ، كالتكاسل عن أداء الحقوق ، والخصوم في
القيام بالتكاليف يؤدي في نهاية الأمر إلى الغفلة والظم للنفس ، لأنه
أصبح رياء وتفاقاً ، فيستظهر الإنسان الطاعات ويعني في قلبه حب
المعصية والتهافتات :

﴿ نسوا الله فأنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون ﴾ (سورة
التوبة ، الآية ٦٧) .

إن المنافق مريض نفسي ، فهو المرآة المظلمة للقلب ، الكاذب الذي
يكذب على نفسه أولاً ثم يكذب على الآخرين ثانياً :

﴿ ومن أظم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي
ما قدمت يداه ﴾ (سورة الكهف ، الآية ٥٧) .

لذلك لكي تحقق الصحة النفسية للإنسان يجب عليه أن يذكر
الله تعالى كلما نسي :

﴿ واذكر ربك إذا نسيت ﴾ (سورة الكهف ، الآية ٢٤) .

ذلك أن الشيطان في حال النسيان يستولي على النفس فيهبول إليها
الامر ، ويلهبها عن الحق ، ويحسن لها الفحيح ويقبح لها الحسن ،
ويكدرها وبواسيرها حتى تظم ، وعند ذلك يتركها في الشرك العظيم :



البتترول في العالم

يشغل العالم الإسلامي مساحة هائلة من مساحة العالم تبلغ حوالي (١٢) مليون ميل مربع ، وهو بذلك يكون مكافئاً لقارة كبرى تبلغ مساحتها ما يزيد عن مساحة القارة الإفريقية ، كما أنها تكون أكبر من مساحة قارتي أوروبا وأمريكا الجنوبية معاً ، وأقل من مساحة آسيا التي تبلغ (١٥,٥) مليون ميل مربع .

المضيق يعم الاتصال بين المحيط الهادي والمحيط الهندي ، كما يوجد مضيق باب المندب في أراض إسلامية أيضاً حيث يتصل المحيط الهندي بالبحر الأحمر الذي يعد هو الآخر بحيرة إسلامية خالصة ، ولعل من نافلة القول أن نذكر أن مدخل المحيط الهندي بالناحية الشرقية والغربية هما الشحكان في خطوط التجارة والملاحة بين دول العالم شرقاً وغرباً .

وتتزايد أهمية العالم الإسلامي باحتوائه على أغلب حقول البترول الموجودة بالعالم ، التي تتركز في منطقة الخليج العربي ، وحول البحر الأسود الذي يقع في وسط الجمهوريات الإسلامية الموجودة بالاتحاد السوفيتي ، وفي منطقة السواحل الغربية لقارة إفريقيا .

وقيل أن تتناول بالتفصيل أهمية العالم الإسلامي من حيث تواجد البترول والغاز الطبيعي فيه لا بد من الإشارة أولاً إلى مائة البترول .

ماهية البترول

إن هناك العديد من النظريات التي تناولت بالتفسير كيف نشأ البترول والغاز الطبيعي بيد أنه إلى الآن ما زال عسيراً أن نحدد منشأ البترول بالضبط ، وذلك لعدم القدرة على تشخيص المكان أو المواد التي نشأت منها تجمعات بترولية معينة .

وعند العالم الإسلامي من نهاية العالم القديم في إفريقيا ، ابتداء من شواطئ المحيط الأطلسي غرباً ، حتى الباكستان وإقليم سيبيريا بالصين شرقاً ، في كتلة واحدة متصلة البتآن تنحصر بين خطي الطول : ١٨ غرباً و ٩٠ شرقاً ، وبين خطي العرض : ٥٧ درجة شمالاً إلى خط الاستواء ، وذلك بالإضافة إلى الدول الإسلامية الواقعة في جنوب شرقي آسيا (أندونيسيا واتحاد ماليزيا) ، والبتانيا الدولة الإسلامية الواقعة في قارة أوروبا ، وتبلغ مساحتها (١١٠٠٠) ميل مربع .

وتتحكم العالم الإسلامي في العالم القديم والحديث معاً ، حيث يمر من خلال بحاره خطوط الملاحة والتجارة العالمية ، مما يكسب أهمية اقتصادية واستراتيجية كبيرة على موقع العالم الإسلامي ، وإذا كانت السواحل الشرقية والجنوبية للبحر الأبيض المتوسط تقع في بلاد إسلامية ، فإن مدخلي هذا البحر يقعان أيضاً في أراض إسلامية ، إذ إن قناة السويس التي نتحكم في طرق التجارة بين الشرق والغرب تقع في جمهورية مصر الإسلامية ، وتعتبر القناة مدخلاً شرقياً للبحر المتوسط ، كما أن مضيق جبل طارق يقع أيضاً في الأراضي الإسلامية ، ويعتبر المدخل الغربي للبحر المتوسط ، وقدماً عندما كان العرب في الأندلس ، كان مضيق جبل طارق يعد كله واقعاً في المياه الإقليمية الإسلامية العربية ، كذلك فإن المحيط الهندي أيضاً مدخلاً يقعان في أراض إسلامية حيث يوجد مضيق ملقا في الشرق بين شبه جزيرة الملايو وجزيرة سومطرة إحدى جزر أندونيسيا ، ومن خلال هذا

تعرفها اليوم .

وعلى مدى ملايين السنين كانت الأنهار تنساب إلى البحار محملة بكميات هائلة من الطين والطفلة والرمال ، لتنتشر وتنتزع بفعل التيارات البحرية ، وبفعل المد والجزر على طول قاع البحر قريباً من الشواطئ التي كانت تتغير خطوطها تدريجياً ، وبمرور الآلاف من السنين تراكمت الطبقات على قاع البحر طبقة تعلو طبقة تعلو أخرى ، ونتيجة للثقل المتزايد هذه الطبقات والضغط الناتج عن هذا الثقل ، بالإضافة إلى الحرارة الناشئة من جراء الضغط ، فقد تحللت المواد الهيدروكربونية بمرور الزمن لتعطي الزيت والغاز ، وساعد على ذلك بعض أنواع البكتيريا والمواد المشعة .

أماكن تواجد البترول

إذا سلمنا بالنظرية العضوية لنشأ البترول ، فإنه من الجلي أن البحث عن البترول يجب أن ينحصر في المناطق التي تتواجد فيها تراكبات طبقية من الصخور الرسوبية ، وذلك لأنها الصخور التي دفنت فيها المواد الحيوانية والنباتية والبقايا البحرية التي تعتبر مصدراً للبترول . إن الأبحاث النظرية التي تمت في مناطق مختلفة في جميع أنحاء العالم ، ومن خلال بيوت الخبرة العالمية في أعمال البحث والتنقيب عن البترول والغاز ، تبين أن تكون البترول والغاز في القشرة الأرضية يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالصخور الرسوبية التي اكتشف فيها أكثر من ٩٩,٩٪ من تراكبات



بقلم : مهندس كمياني / محمد عبد القادر المنقي

ولقد ظهرت نظريتان علميتان لتفسير منشأ البترول ، وهما النظرية غير العضوية ، والنظرية العضوية ، فأما النظرية غير العضوية فإنها تفترض أنه قد تم اتحاد بين عنصري الهيدروجين والكربون تحت ضغط وحرارة عاليتين في أعماق الأرض مما أدى إلى تكون الهيدروكربونات المكونة لزيت البترول والغاز الطبيعي اللذين وجدنا طريقهما خلال الصخور المسامية ليتجمعا في المصائد الطبيعية في التكوينات الأرضية تحت سطح الأرض .

ولقد كان العالم الروسي الشهير (متدليف) أول من أعلن حقيقة الأصل غير العضوي للبترول ، وكان ذلك في عام ١٨٧٦ م ، معتمداً في ذلك على التجارب العملية التي أجريت آنذاك ، والتي أوضحت أن تمرير بخار الماء على كربيدات المعادن الثقيلة ينتج الهيدروكربونات ، وافترض متدليف على هذا الأساس أن الهيدروكربونات التي تدخل في تكوين البترول والغاز الطبيعي قد تكونت بنفس الطريقة ، وأما النظرية العضوية فإنها تفترض أن كلا من الهيدروجين والكربون المكونين للبترول قد جاءا من النباتات والحيوانات التي كانت تعيش منذ ملايين السنين على اليابسة ، وفي البحر ، ومن المعتقد أن هذه المادة العضوية كانت في أغلب الاحتمالات لكائنات ونباتات تعيش في مياه البحار والمستنقعات أكثر من كونها أحياء تعيش على الأرض ، هذه الكائنات والنباتات الدقيقة عندما ماتت نرسبت على قاع البحار القديمة التي كانت تغطي مساحات شاسعة من الأراضي اليابسة والبحار التي



البترول في العالم الإسلامي

إن الظروف الجيولوجية التي تكون فيها البترول في العالم الإسلامي هي كغيرها في أنحاء دول العالم الأخرى ، غير أن الشيء الملفت للانتباه أن الباحثين لا يهتمون إطلاقاً بموضوع الثروات المعدنية الهائلة الموجودة في شتى أنحاء العالم الإسلامي من بترول ، وغاز طبيعي ، وفحم ، وحديد ، وفوسفات ، وذهب ، وفضة ، وغير ذلك من المعادن الموجودة في أراضيه ، تلك الأراضي الغنية بثرواتها المعدنية ، وبسريتها الحسنة ، ومساحتها الشاسعة ، ولكن سكانها ما زالوا متخلفين كثيراً ، وكثيراً في مجال الحضارة والتقدم .

وإذا كان الدين الإسلامي يدعو إلى العلم والعزلة ، ويجعل للعلم منزلة عظيمة ، فإن من الواجب على علماء الأمة الإسلامية - وما أكثرهم - أن يهتموا بثروات العالم الإسلامي ، لقد اختص الله العالم الإسلامي بأكبر كميات من البترول مدفونة في باطن أراضيه ، ويكفي أن أشير إلى أن منطقة الشرق الأوسط تحتوي وحدها على ٥٥% من احتياطي بترول العالم كما يتضح في الجدول رقم (١) .

جدول رقم (١)

احتياطي دول العالم من مصادر الطاقة

النسبة المئوية	النسبة المئوية	
احتياطي البترول	احتياطي الغاز الطبيعي	
٥٥	٢٣	الشرق الأوسط
٤	٦	أوروبا
٣	٣	أستراليا
١٧	٤٤	آسيا
١٠	٨	إفريقيا
٦	١٢	أمريكا الشمالية
٥	٤	أمريكا الجنوبية
١٠٠	١٠٠	إجمالي العالم

وقبل أن نخوض في ذكر ما ينتجه العالم الإسلامي من البترول ، وما تحتويه أراضيه من مخزون احتياطي له ، أحب أن أشير في عجلة إلى الحقائق التالية :

(١) يتوزع المسلمون في جميع أنحاء دول العالم ، (٧٣% بقارة آسيا ، ٢٥,٣% بقارة إفريقيا ، وتنتشر النسبة القليلة الباقية على أوروبا

البترول والغاز ، والنسبة الضئيلة الباقية عثر فيها على هذه التراكيبات في الصخور البلورية ، إلا أن يرواسب البترول والغاز في المناطق هذه قد تكونت نتيجة هجرة البترول والغاز من الطبقات الرسوبية المناهضة للصخور البلورية ذات الشقوق .

وهناك شبه إجماع بين علماء البترول يؤكد ارتباط حقول البترول بالتضاريس الأرضية ، فكل ثمانينات القرن الماضي أعلن مندوب عن افتراسه ارتباط حقول البترول بالمناطق الواقعة أمام الجبال ، وكذلك بأطراف السلاسل الجبلية ، موضعاً الارتباط العضوي بين حقول البترول في هذه المناطق ، وبين حركات القشرة الأرضية عبر الصخور الجبلية ، كذلك لاحظ العالم الفرنسي (دي لوني) في عام ١٩١٣ م ، الارتباط بين تراكيب حقول البترول والمناطق الطرفية من السلاسل الجبلية ، وتفيد عمليات البحث الجيولوجي والجيوفيزيائي في معرفة هذه الأماكن ، وفي التنبؤ بإمكانية وجود البترول والغاز في الصخور الرسوبية بهذه الأماكن .

غير أنه لكي يكون هذا التنبؤ مبنياً على أساس علمي فإن الباحثين عن البترول والغاز ، لا يهتمهم فقط معرفة الأماكن التي يمكن أن يتواجد فيها البترول ، أو معرفة الظروف التي قد تكون فيها ، وإنما يهتمهم أيضاً معرفة الظروف التي تحفظ تراكيبات البترول والغاز التي تكونت في الصخور الرسوبية ، والتي لا تبلى في وضع ثابت ، وإنما تتعرض بمرور العصور الجيولوجية لتأثير عوامل فيزيائية وكيميائية وغير ذلك مما يسبب تغيرها .

إن الهيدروكربونات المكونة للبترول لها القدرة على الانتفاخ خلال المسامات الموجودة في الصخور الرسوبية ، وهذه القدرة يمكن أن تؤدي في ظروف كثيرة إلى بعثرة هذه الهيدروكربونات ، وكثيراً ما هاجر البترول من الصخور التي تكون فيها إلى صخور أخرى أحدث في تكوينها ، وإن أفضل الظروف لمنع هجرة البترول والغاز هو ما يعرف بالمصائد البترولية ، والتي تكون جنباتها مكونة من صخور غير مسامية لا تسمح بهجرة الزيت أو الغاز من خلالها .



والأميركتين وأستراليا) .

(٢) تكون الشعوب العربية والبكستانية والأندونيسية حوالي ٥٦,٣٪ من مجموع السكان المسلمين .

(٣) يمثل المسلمون المركز الثاني بين الديانات التي يعتنقها سكان العالم بعد المسيحيين .

(٤) تتمتع دول العالم الإسلامي بأعلى نسبة في الخصوبة ، فالعراق مثلاً سيتضاعف عدد سكانه في عشرين عاماً ، ومصر سيتضاعف عدد سكانها في ٢٦ عاماً ، وذلك يعني أنه لو استمرت معدلات الخصوبة في الارتفاع ، فإن المتوقع أن يحتل المسلمون المركز الأول بين معتنقي الديانات في غضون ثلاثة قرون ، إذ إن معدل الخصوبة ببال دول العالم تقل بكثير ، إن فرنسا يلزمها ١,٨٦ عاماً لكي يتضاعف عدد سكانها ، والولايات المتحدة يلزمها هي الأخرى ٩٩ عاماً ، أما السويد فهي تحتاج إلى ١٣٨٦ عاماً ، إذ إن معدل الخصوبة بها أقل معدل بالعالم .

وإذا كان البعض يحذر من خطر الانفجار السكاني ، فإن العالم الإسلامي يزرع بثرات هائلة ومساحات شاسعة في حاجة إلى الزراعة ، ولكن سوء التخطيط والتخلف لا يزال عائقاً أمام ذلك .

حقوق رقد (١٩)

المسلمون مؤلفون إلى قدرات العالم حسب تقدير عام ١٩٧٥ م .

آسيا	٤٦٩ مليوناً
إفريقيا	١٦٢ مليوناً
أوروبا	٧ ملايين
الأميركتين وأستراليا	٣/٤ المليون
مجموع المسلمين في العالم	٦٣٩ مليوناً

إنتاج العالم الإسلامي من البترول

إذا نظرنا إلى العالم ككتل دينية فسنجد أن الكتلة السني تشمل الأقطار التي تدعى بالإسلام أكبر الكتل إنتاجاً للبترول والغاز الطبيعي ، فقد بلغ متوسط إنتاج العالم الإسلامي عام ١٩٧٨ م ، وذلك دون الجمهوريات الإسلامية الموجودة في الاتحاد السوفيتي وأقليم سيكياك بالبحرين حوالي ٢٤,٤٧٪ من إجمالي الإنتاج العالمي ، وهذه النسبة تعادل ٢٨,١٣ مليون برميل يومياً . أنتجت المملكة العربية السعودية وحدها (٧٥١٩) ألف برميل يومياً ، أي بما يعادل ١٣٪ من إجمالي الإنتاج العالمي .

أما عن حقول البترول الموجودة بالاتحاد السوفيتي وإقليم سيكياك بالبحرين فإن الحصول على معلومات متكاملة عن هذه الحقول غير متاح ، ومن المعروف أن أشهر الجمهوريات الإسلامية المنتجة للبترول

في الاتحاد السوفيتي هي تلك التي تطل على بحر قزوين ، حيث يتم إنتاج أغلب البترول السوفيتي في أقاليم تركستان وأوزبكستان وباشكيريا وترستان ، وقازقستان ، وكلها جمهوريات إسلامية سوفيتية ، ولقد بلغ متوسط حقول جمهورية ترستان من الزيت الخام عام ١٩٧٥ م ، ما يعادل ٢,٠٧ مليون برميل يومياً ، وإن تضاعف هذا الإنتاج ليصل إلى ١,٠٩ مليون برميل يومياً عام ١٩٧٨ م .

كذلك فإن إقليم قازقستان قد أنتج عام ١٩٧٨ م ، أيضاً (٧٢٠٠٠) برميل يومياً ، وفي نفس العام فإن حقول أريان Anian باشكيريا وصل إنتاجه (١١٠) ملايين برميل في السنة ، كما بلغ إنتاج حقول روماشكينو Romashkino الموجود بين حدود ترستان وبشكيريا (٥٣٠) مليون برميل في السنة ، وهي نسبة عالية جداً ، وهناك بعض الحقول الأخرى الكثيرة تنتشر في أنحاء الجمهوريات الإسلامية السوفيتية ،

أما إقليم سيكياك بالبحرين فإن المعلومات عن إنتاج هذا الإقليم الإسلامي غير متوافرة أيضاً ، اللهم إلا حقول كولامي Kolamai الموجود بهذا الإقليم والذي ينتج وحده ما يزيد عن (٥١,٨) مليون برميل سنوياً حسب تقديرات عام ١٩٧٨ م . بناء على ذلك ، يمكن أن نقدر إنتاج الأقاليم الإسلامية بالاتحاد السوفيتي والصحراء بحوالي (٥) ملايين برميل يومياً ، وبذلك يصل إجمالي إنتاج العالم الإسلامي كله إلى (٣٣) مليون برميل في اليوم الواحد ، أي حوالي ٥٦٪ من إجمالي إنتاج العالم .

ولقد ارتفع إنتاج العالم الإسلامي من البترول عام ١٩٧٩ م ، ليصل إلى (٣٠٤١٢) ألف برميل يومياً ، وذلك دون قسم إنتاج جمهوريات الاتحاد السوفيتي الإسلامية وإقليم سيكياك ، والتي إذا قدر إنتاجها بنفس القيمة التي قدرناها لعام ١٩٧٨ م ، لوصول إنتاج العالم الإسلامي كله إلى ما يزيد عن ٥٦,٦٪ من إجمالي الإنتاج العالمي .

أما عن الغاز الطبيعي فقد وصل إنتاج العالم الإسلامي عام ١٩٧٨ م ، إلى حوالي ٧٪ من الإنتاج العالمي ، ولقد وجدنا نفس الصعوبات السابقة في الحصول على معلومات عن إنتاج الأقاليم الإسلامية السوفيتية ، والتي تحتوي على كميات هائلة من الغاز الطبيعي . وتجدر الإشارة هنا إلى أن أحد العوامل الرئيسية وراء التدخل الشيوعي السوفيتي في أفغانستان هو الطمع في السيطرة على حقول البترول والغاز الطبيعي ، وتنتج أفغانستان ما يزيد عن (٣٠٠) مليون قدم مكعب من الغاز الطبيعي ، بضع منها حوالي (٢٥٠) مليون قدم مكعب إلى الاتحاد السوفيتي ، ولقد قدر الجيولوجيون السوفيت احتياطي البترول الأفغاني بحوالي (٩٥) مليون برميل ، وقدروا احتياطي الغاز بحوالي (٥) ترليون قدم مكعب ، نصفها يقع على الأقل في منطقة شيرابان Shibrghan القريبة من الحدود الأفغانية - السوفيتية . (انظر الخريطة المنشورة لحقول الغاز بأفغانستان) .

جدول رقم (٣)
إنتاج العالم الإسلامي من البترول الخام والغاز الطبيعي

رقم الدولة الإسلامية	متوسط الإنتاج اليومي بالآلاف البرميل		إجمالي إنتاج الغاز عام ١٩٧٩ م
	١٩٧٨ م	١٩٧٩ م	
١ أبو ظبي	١٤٤٢	١٤٦٠	٣٨,١
٢ البحرين	٥٤	٥٠	٦١,٠
٣ دبي	٣٦٠	٣٥٤	٢١,٤
٤ إيران	٥٦١٦	٣١٥٢	٨٣٥,٣
٥ العراق	٢٣٩٨	٣٤٠٩	٤٧,٨
٦ فلسطين المحتلة	٧	٣٦	٢,٠
٧ الكويت	١٧٠٢	٢٢٣٧	١٩٠,٥
٨ المنطقة الحابدة	٣٨٣	٥٦٤	-
٩ عمان	٣١٨	٢٩٦	٣٤,٩
١٠ قطر	٤٥٧	٤٩٥	٢٥,١
١١ السعودية	٧٥١٩	٩٢٢٨	١٨٥,٦
١٢ الشارقة	٢٥	١٣	-
١٣ سورية	١٧١	١٦٣	٣١,١
١٤ تركيا	٥٠	٥٥	١٣,٨
١٥ أفغانستان	-	-	٧٦,٩
١٦ ماليزيا	٤٣٦	٤٩٩	٢٧٧,٧
١٧ أندونيسيا	١٦٦٥	١٥٩٨	٧٤٦,٣
١٨ باكستان	٩	١٠	١٦٥,٥
١٩ الجزائر	١٢٢٥	١١٢٢	٢٧٥,٥
٢٠ مصر	٤٧٢	٤٩١	٨٨,٤
٢١ ليبيا	١٨٩٦	٢٠٥٢	١٤٦,٠
٢٢ المغرب	١	١	٢,٨
٢٣ نيجيريا	١٧٠٧	٢٣٢٧	٣٢٧,٦
٢٤ تونس	١٠٠	١٠٠	٨٤,٠
إجمالي العالم الإسلامي	٢٨٠١٣	٣٠٤١٢	٣٦٧٧,٧
إجمالي دول العالم	٥٩٠٧٣	٦٢٧١٦	٥٢٣٧٣,٦

احتياطي العالم الإسلامي من البترول

تحتوي دول العالم الإسلامي على أكبر نسبة من احتياطي البترول المخزون في جوف الكرة الأرضية حيث تبلغ ٦٨,٤ ٪ من إجمالي احتياطي العالم كله وذلك حسب تقديرات عام ١٩٧٩ م، ولقد أغفلت في هذه النسبة ما تحتويه جمهوريات الاتحاد السوفيتي الإسلامية، وإقليم سينكيانج بالصين، إلا أن هناك بعض الحقول الشهيرة والرئيسية بالاتحاد السوفيتي

بهذه الجمهوريات، والتي يمكن معرفة المخزون الاحتياطي من الزيت الخام بها وهي:

● **حقل أريان** بباشكيريا ويبلغ احتياطي الزيت به ٢١٠٠ مليون برميل.

● **حقل نفتياني كاميني** Neftianye Kamini بمجمهورية أذربيجان ويبلغ احتياطي الزيت به ٩٢٥ مليون برميل.

● **حقل نوفو الخوفسكوي** Novo-Elkhovskoye بمجمهورية تترستان ويبلغ احتياطي الزيت به ١٧٠٠ مليون برميل.

● **حقل روماشكينو** Romashkino وهو يحتوي على أعلى نسبة من احتياطي الزيت بالاتحاد السوفيتي، والتي تبلغ (١١٢٥٠) مليون برميل، وهو يقع في أراض إسلامية.

وإذا نحن أخذنا أقل الافتراضات لاحتياطي البترول الموجود بالجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي واعتبرناها ٤٠ ٪ من احتياطي الاتحاد السوفيتي الذي يصل إلى (٧١٠٠٠) مليون برميل، فإن وصيد العالم الإسلامي يصل إلى حوالي ٧٣ ٪ من إجمالي مخزون العالم الاحتياطي من الزيت الخام وذلك حسب تقديرات عام ١٩٧٩ م، أي أن العالم الإسلامي وحده يتحكم في ثلاثة أرباع الطاقة المستهلكة غداً، وهي ثروة هائلة يجب أن نلتفت إليها وأن نوليها عنايتنا، ولو تم استغلالها على أتم وجه لاستطاع المسلمون في غضون السنوات القليلة القادمة أن يكونوا أقوى الكيانات السياسية والاقتصادية في العالم.

وتعتبر المملكة العربية السعودية أكبر دولة في العالم تحتوي على أعلى نسبة من مخزون البترول في أراضيها، حيث تحتوي وحدها على (١٦٥,٧٠٠,٠٠٠,٠٠٠) برميل حسب تقديرات عام ١٩٧٩ م، أي ما يعادل ٢٥,٢ ٪ من إجمالي مخزون العالم.

ويأتي الاتحاد السوفيتي في المرتبة التالية حيث يبلغ المخزون الاحتياطي للبترول به (٧١٠٠٠) مليون برميل، ثم تأتي الكويت في

المرتبة الثالثة حيث يبلغ احتياطي الزيت بها (٦٦٢٠٠) مليون برميل ،
ولقد أغفلنا في التقديرات السابقة مخزون الزيت الموجود بالمنطقة

جدول رقم (٤)

احتياطي دول العالم الإسلامي من البترول والغاز الطبيعي
حسب تقديرات يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩ م

رقم الدولة الإسلامية	مخزون زيت البترول		مخزون الغاز الطبيعي	
	مليون برميل	مليون طن	بليون متر مكعب	بليون قدم مكعب
١ أبو ظبي	٣٠٠٠٠	٤١١٠	٥٦٦	٢٠٠٠٠
٢ البحرين	٢٥٠	٣٤	١٩٨	٧٠٠٠
٣ دبي	١٣٠٠	١٧٨	٤٥	١٦٠٠
٤ إيران	٥٩٠٠٠	٨٠٨٣	١٤١٥٩	٥٠٠٠٠٠
٥ العراق	٣٢١٠٠	٤٣٩٨	٧٨٧	٢٧٨٠٠
٦ فلسطين المحتلة	١٠	١	٢	٦٠
٧ الكويت	٦٦٢٠٠	٩٠٧٠	٨٨٦	٣١٣٠٠
٨ المنطقة المغابدة	٦٤٨٠	٨٨٨	١٤٢	٥٠٠٠
٩ عمان	٢٥٠٠	٣٤٢	٥٧	٢٠٠٠
١٠ قطر	٤٠٠٠	٥٤٨	١١٣٣	٤٠٠٠٠
١١ السعودية	١٦٥٧٠٠	٢٢٧٠١	٢٦٥٩	٩٣٩٠٠
١٢ الشارقة	١٦	٢	-	-
١٣ سورية	٢٠٨٠	٢٨٥	٤٢	١٥٠٠
١٤ تركيا	٣٦٠	٤٩	١٤	٥٠٠
١٥ الجزائر	٦٣٠٠	٨٦٣	٢٩٧٣	١٠٥٠٠٠
١٦ مصر	٣٢٠٠	٢٧	٦٨	٢٤٠٠
١٧ ليبيا	٢٤٣٠٠	٣٣٢٩	٦٨٥	٢٤٢٠٠

١٨ المغرب	١	-	٨	٣٠
١٩ نيجيريا	١٨٢٠٠	٢٤٩٣	١١٨٩	٤٢٠٠٠
٢٠ السودان	-	-	٣	١٠٠
٢١ تونس	٢٣٠٠	٣١٥	١٧٠	٦٠٠٠
٢٢ بنجلاديش	-	-	٢٢٧	٨٠٠٠
٢٣ بورني	١٤٨٠	٢٠٣	٢٢٧	٨٠٠٠
٢٤ أندونيسيا	١٠٢٠٠	١٣٩٧	٦٨٠	٢٤٠٠٠
٢٥ ماليزيا	٢٨٠٠	٣٨٤	٤٨١	١٧٠٠٠
٢٦ باكستان	٢٠٠	٢٧	٤٥٣	١٦٠٠٠
إجمالي العالم الإسلامي	٤٣٨٩٧٦,١	٦٠١٣٨	٢٧٨٤٦,٨	٩٥٩١٩٠
إجمالي دول العالم	٦٤١٦٠٧,٨٢٥	٨٧٩٠٠	٧٠٨٤٩	٢٥٠٢٠١٠

المغابدة والذي يبلغ (٦٤٨٠) مليون طن ، وكما هو معروف فإن كلا من
المملكة العربية السعودية والكويت يتفاحمان إنتاج هذه المنطقة .

أما عن مخزون الغاز الطبيعي فيبلغ ٣٩,٣ ٪ من إجمالي المخزون
العالمي ، وهذه النسبة تنتجها دول العالم الإسلامي ما عدا الجمهوريات
الإسلامية بالاتحاد السوفيتي وقلم سينكيتج بالصين ، والتي إذا أضيفت
إلى هذه النسبة سترفعها كثيراً ، وما هو معروف في الأوساط العلمية
اقتصة بالبترول أن سيبريا تحتوي وحدها على حوالي ٥٥ ٪ من احتياطي
الغاز الطبيعي بالاتحاد السوفيتي ، وبأقي احتياطي الغاز يتواجد حول بحر
قزوين وفي مباحه ، وفي باقي أنحاء الاتحاد السوفيتي ، وإذا قدرنا احتياطي
الغاز الطبيعي بالجمهوريات الإسلامية السوفيتية بحوالي ٣٠ ٪ من إجمالي
احتياطي الغاز بالاتحاد السوفيتي ، والذي يعتبر أعلى احتياطي في العالم
(٢٥٧٦٨ بليون متر مكعب أي ما يعادل ٩١٠٠٠٠ بليون قدم
مكعب) ، لوصل احتياطي الغاز بالعالم الإسلامي إلى ١٣٢٢١٩٠ بليون
قدم مكعب ، أي ما يعادل ٤٩ ٪ من إجمالي احتياطي العالم .

مقارنة بين بعض الدول الإسلامية والدول الأخرى
في استهلاك البترول واستاجه

الدولة	عام ١٩٧٧ م	عام ١٩٧٧ م	النسبة المئوية للإنتاج من البترول استهلاك البترول
(ألف برميل يومياً)	(ألف برميل يومياً)	(ألف برميل يومياً)	(النسبة المئوية للإنتاج من البترول استهلاك البترول)
الولايات المتحدة	٨٢٤٠	١٧٩٤٥	٢٩,٥٦ %
اليابان	١٠	٥٣٤٥	٨,٨ %
الاتحاد السوفيتي	١٠٩٢٠	٨٠٢٥	١٣,٢٢ %
إيران	٥٦٥٠	٤٣٥	٧,٧١ %
العراق	٢١٥٠	١٥٥	٢,٢٥ %
السعودية	٨٩٥٠	١٨٠	٢,٢٩ %
البحرين	-	٢٠	٠,٣٣ %
إجمالي دول العالم	٦٠٧٠٠	٦٠٧٠٠	١٠٠ %

إن هذه الأرقام إن دلت على شيء، فإنما تدل على مدى ما نحن فيه من تخلف، ومدى ما وصل إليه العالم الغربي واليابان والولايات المتحدة من المستوى العالي للمعيشة، والذي لا يتناسب إطلاقاً مع الثروات الموجودة ببلادهم، فهذه البلاد تبني أخيرة المواد اللازمة لصناعة وإنتاج البترول بضعف التكاليف التي تبنيها للزيتان في بلادها.

إن الأرقام السابقة والمبينة بالجدول المرفقة إن تمت على شيء، فبقا
ثم عن التناقض الكبير في عالم إسلامي مترامي الأطراف يمثل عدد سكانه
١٦,٤٪ من سكان العالم - حسب تقديرات عام ١٩٧٥م - ويتجوزون
ما يزيد عن ٥٦٪ من خام البترول ويحتوي أراضيهم على حوالي ٧٣٪ من
احتياطي، وعلى حوالي نصف احتياطي العالم من الغاز الطبيعي، بينما
يستلكون أقل قدر من الطاقة، ويعيش معظم شعبه في فقر، ورجوع
معرض.

وقمص - وإذا كان جون كونلي حاكم ولاية تكساس السابق قد قال: «إن نطفة منطقة الشرق الأوسط يمثل دماء الحياة بالنسبة للمدينة الغريبة»، فربما اتفق أن يكون نطف العالم الإسلامي كله، يمثل الدماء التي تغذي النهضة الإسلامية الكبرى، والتي يجب علينا أن نسعى لها جاهدين متحدين من الآن، مع إطلاقة القرن الفجري الجديد.

أهم المراجع

- International Petroleum Encyclopedia; Vol. 12, 1979 - ١
World Oil, October 1979, Pages 107-111 - ٢
Oil & Gas Journal, September 1979 - ٣
Modern Petroleum, Berger & Anderson, U. S. A. - ٤
٥ - مجلة (نفت العرب) ، العدد (١٥) ، فبراير (شباط) ١٩٨٠ -
- جغرافية العالم الاسلامي ، دكتور محمود أبو سفيح ، جامعة

• **Control:** The process of monitoring and adjusting the project to ensure it stays on track.

استهلاك البترول في العالم الإسلامي

إذا انتقلنا من الجانب المضيء السابق ، الذي يشر بلخضر الوفير الذي ينتظر العالم الإسلامي لو أحس استغلال هذه الثروات الهائلة الموجودة بأعناق أراضيه ، إلى الجانب الآخر ، الذي يبين مدى استفادة المسلمين من هذه الكنوز والثروات ، ومعنى آخر : ما موقف المسلمين بالنسبة لبائعي شعوب دول العالم في استهلاك الطاقة التي تنتج من حرق البترول ومركباته المختلفة ؟

إن الأرقام - وما أصدقها - تصيب المرء بالدعوى، وهو يرى دولة كالولايات المتحدة الأمريكية يبلغ عدد سكانها (٢١٧) مليوناً يستهلكون وحدهم ٣٠٪ من طاقة العالم من البترول، بينما يبلغ إجمالي استهلاك دول العالم الإسلامي ٥٪ من الطاقة، وإذا أخذنا كشكاً دولة إيران التي تعتبر أكثر الدول الإسلامية استهلاكاً للطاقة، وجدنا أنها تستهلك ٧،١٪ من طاقة العالم.

إن ما ذكرناه منذ قليل عن مسألة استهلاك العالم الإسلامي من البترول ومنتجاته يتساوق مع طاقة التركيز اليومية لمجموع بلدانه ، التي تبلغ ٣٧ ٪ من إجمالي العالم .

حیات (۱۹۷۱ء)

استهلاك دول العالم الإسلامي من المنتجات البترولية عام ١٩٧٧ م

كل شيء سيلا، بدون الحسومات، إضافة مائة ألف دولار
وإنه سيكفيها

الدول الإسلامية	الاستهلاك ١٠٠٠ برميل كل يوم	الدول الإسلامية	الاستهلاك ١٠٠٠ برميل كل يوم
الشرق الأوسط :		آسيا الإسلامية :	
١ - البحرين	٥٠	١ - أندونيسيا	٢٥٠
٢ - إيران	٤٣٥	٢ - باكستان	١٢١
٣ - العراق	١٥٥	٣ - ماليزيا	
		ودول إسلامية أخرى	
٤ - فلسطين المحتلة	١٦٠	إفريقيا الإسلامية	٣٨٠
٥ - الكويت	٩٥	١ - الجزائر	٩٠
٦ - لبنان	٥٠	٢ - مصر	١٥٠
٧ - المنطقة المحيطة	٤٥	٣ - ليبيا	٥٦
٨ - السعودية	١٨٠	٤ - المغرب	٥٠
٩ - سورية	٨٠	٥ - نيجيريا	١١٥
١٠ - تركيا	٣٤٠	٦ - السودان	٢٢
١١ - اليمن الجنوبية	٢٠	٧ - تونس	٣٢
١٢ - دول إسلامية	٢٠	إجمالي استهلاك	
أخرى		هذه الدول	٢٨٩٦

تتكون بلاد اليابان من أربع جزر رئيسية (هونشو ، هوكايدو ، كيوشو ، شيكوكو) بالإضافة إلى (٣,٥٠٠) جزيرة أصغر مساحة ، وتمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي . ويقع الطرف الشمالي لجزيرة (هوكايدو) على نفس خط العرض الذي يمر بمدينتي مونتريال والبنديقية ، بينما يقع الطرف الجنوبي لجزيرة (كيوشو) على نفس خط العرض الذي تقع عليه نيو أورليانز والإسكندرية ، والمساحة الكلية لهذه الجزر صغيرة نسبياً ، وتقارب مساحة ولاية كاليفورنيا الأمريكية .



★ منظر طبيعي فريد ★



بلاد الشمس المشرقة

بمقام :

د. عبد اللطيف أبو السعود

إن سواحل اليابان طويلة للغاية . وقد حبا الله اليابان بالمنتجات البحرية العديدة ، والمناظر الطبيعية الخلابة ، بما في ذلك بحر اليابان الداخلي ، والشواطئ الجميلة ، والجبال ذوات القمم العالية ، والتكوينات الصخرية العجيبة .

واليابان بلاد جبلية ، تكثر فيها الجبال البركانية ، ومن أشهرها جبل فوجي الذي يشتهر بحمالة الأخاذ . وهناك الشاطئ الطبيعية الساحنة التي تنتظر زيارة أبناء المدينة والسياح الأجانب .



★ الخريف في اليابان ★

دولة قوية . وفي أثناء القرون الستة التالية أنتج اليابانيون القدماء أدباً وفناً رائعين ، وذلك بعد أن هضموا الثقافة الصينية . ثم تلا ذلك ستة قرون من الانقطاع .

وبعد ما يسمى بـ « استعادة الميجي » في عام ١٨٦٨م ، تطورت اليابان إلى دولة حديثة تحكمها ملكية دستورية . وكان التقدم الاقتصادي والثقافي سريعاً في ظل هذا النظام ، ثم تولى العسكريون مقاليد الحكم في الثلاثينات من القرن العشرين ، وقد

تاريخ اليابان

يعتبر الجنس الياباني الحالي مزيجاً من أجناس جنوب آسيا ، والجنس الصيني القديم ، والأجناس الشمالية ، وبعض القبائل غير الأصلية .

وتدلّ الاكتشاف الأثرية على أن اليابان كانت مسكونة ابتداءً من العصر الحجري المتأخر . والمعتقد أن أول دولة سياسية تكونت في القرن الرابع ، وفي القرن السابع أصبحت

إن مناظر اليابان الطبيعية ليست في خدمة وعظمة وادي جراندي كانيون الأمريكي ،

وجبال الألب السويسرية ، إلا أن اليابان غنية بالمناظر الطبيعية الجميلة صغيرة الحجم .

وتقع معظم بلاد اليابان في المنطقة المعتدلة ، ودرجة الحرارة فيها ليست شديدة كما هو الحال في بلاد جنوب آسيا ، إلا أن الجو فيها يتميز بالرطوبة العالية والأمطار الغزيرة .

نواح . ويجد الأجانب ، بلا شك ، شيئاً غريباً في العلاقات الإنسانية في العائلات والمنظمات ، وفي التجمعات الاجتماعية ، ولكن العادات والقسم القديمة تستبدل تدريجياً ببدائل تركز على القسم الديمقراطية والشخصية .

إن اليابان اليوم مزيج من القديم والحديث ، ومن الثقافة والمضارة اليابانية التقليدية ، ومثيلاتها الأوروبية والأميركية .

ودخلهم الكلي بعدد المستخدمين ودخلهم الكلي ، لوجدنا أن هذه النسبة تزيد كثيراً عن مثيلتها في الدول الغربية المتقدمة . والتضخم السكاني الحالي في المناطق الزراعية ، الذي يزيد من حجمه تلك الزيادة الطبيعية في عدد السكان والتي تبلغ حوالي مليون نسمة في العام ، بسبب مشكلة خطيرة .

إن العادات والتقاليد التي انتقلت من عهود الاقطاع ، والتي سادت في اليابان قبل الحرب ، ما زالت تؤثر في الحياة الاجتماعية من عدة

★ عروس للزينة ترتدي ثياب التقليدية ★



أدى هذا إلى هزيمة اليابان في حرب
الباسفيك .
وبعد الحرب العالمية الثانية ، عادت
الديمقراطية إلى اليابان .

الشعب الياباني

تجاوز عدد سكان اليابان ١٠٦ ملايين
نسمة . ويعمل حوالي ٤٠٪ من مجموع القوى
العاملة في الزراعة ، ويعمل حوالي ٢٠٪ في
الصناعة ، ولو قارنا عدد الملاك المستقلين



★ برغان ثشر ★

تقديس الأجداد ، وأهسة الطبيعية ،
والمعابد التي تنتشر في أنحاء البلاد خاصة بهذه
الديانة .

وللبوذية تاريخ طويل في اليابان منذ
انتقالها من الصين في القرن السادس . وفي
اليابان حوالي ألي كنيسة ، وما يقرب من
أربعمائة ألف مسيحي .

اللغة

إن اللغة اليابانية المكتوبة ما هي إلا

المعقدة

كثيراً ما نسمع أن أهل اليابان أقل تمسكاً
بالدين من غيرهم من الناس في مختلف
بلاد العالم . ففي بلاد اليابان ، لا نجد
الديانات في نفوس الناس ما نجده في غيرها من
البلدان .

وهناك ثلاث ديانات رئيسية في اليابان :
الشنتو ، والبوذية ، والمسيحية .

والشنتو ديانة يابانية نوعية ، تعتمد على

★ رياضة الجودو ★



مزيج من الحروف الصينية ، التي انتقلت
إلى اليابان من الصين القديمة ،
وصورتين لكل من الحاتية وأربعين حرفاً صوتياً
وضعها اليابانيون . إلا أن الفرق ملموس بين
لغة الصين الحالية ولغة اليابان .

وتعتبر اللغة اليابانية لغة يصعب إتقانها .
وبالرغم من أن نطقها سهل ، إلا أن
قواعد اللغة اليابانية تختلف اختلافاً
أساسياً عن اللغات الأخرى .

وتزخر هذه اللغة بالتعبيرات التي ترمز إلى

البنية السياسية

يجلس البوليس ، ويجلس الدفاع القومي ،
ومجلس التخطيط الاقتصادي ، وغيرها . أما
الوزارات فهي وزارة العدل ، والشؤون
الخارجية ، والمالية ، والتعليم ، والرقابية ،
والزراعة والغابات ، والتجارة الدولية
والصناعة ، والنقل ، والخدمات البريدية ،
والعمل والبناء .

وتشمل الأجهزة القضائية المحكمة العليا ،
ومحاكم متعددة من درجات أقل ، وهي مستقلة
تماماً عن الفروع التشريعية والتنفيذية للحكومة .

وطبقاً للدستور الجديد الذي بدأ تنفيذه في
عام ١٩٤٧ م ، يتكون (الديت Diet) من
مجلسين : مجلس ممثلي الشعب ، ومجلس
الشورى . والإمبراطور رمز للدولة
ولوحددة الأمة .

ويعين (الديت) رئيس الوزراء . وتتكون
الأجهزة التنفيذية من مكتب رئيس الوزراء ،
وأحد عشر وزيراً ، ويضم مكتب رئيس الوزراء

★ الأيكهانا - فن تسيل الزهور ★



الخاصة المميزة التقليدية للشعب الياباني ، ألا
وهي الاهتمام الفائق بأداب المعاملة ،
والاحترام المتبادل ، الأمر الذي يضاف إلى
صعوبة هذه اللغة ، كما أن الفروق الجزئية بين
الألفاظ الخاصة بكل من الجنسين تكون ملائمة
خاصة باللغة اليابانية .

كما أن الشعب الياباني يحب استخدام
كلمات وتعبيرات غامضة المعنى ، الأمر الذي
يضاف إلى صعوبة ترجمة اللغة اليابانية إلى
اللغات الأخرى .



★ ساحل نيبندان ، وتظهر الصخور التي تآكلت بفعل مياه البحر ★



★ درس في الجغرافيا ★

من ١١ مليوناً من التلاميذ .
وتكاد تكون الأمية غير معروفة في
اليابان ، ويرجع ذلك إلى نسبة انتظام
التلاميذ في الدراسة ، التي توصف بأنها
عالية للغاية .
وتعد اليابان من الدول المتقدمة في التعليم
الجامعي .

الاسكان

إن عدداً كبيراً من الياباني الحكومية والمكاتب

الابتدائية (٦ أعوام) ، والمدارس المتوسطة (٣
أعوام) ، والمدارس العليا (٣ أعوام) ،
والجامعة (٤ أعوام) ، ودراسات عليا
(علمين) . وهناك كليات تمتد الدراسة فيها
لفترة عامين .
وتتمتد الدراسة في كليات السطح إلى ٦
أعوام ، تليها دراسات عليا لأربعة أعوام لدرجة
الدكتوراه .

ويشمل التعليم الإلزامي المدارس الابتدائية
والمتوسطة . ويزيد عدد المدارس الابتدائية
في اليابان عن ٢٢ ألف مدرسة ، تضم أكثر

والخزبان السياسيان الرئيسيان هما حزب
الديمقراطيين الأحرار ، والاشتراكيين .
أما الحزب الشيوعي فهو حزب ضعيف
للعناية .

وقد قسمت البلاد إلى ٤٦ قسماً إدارياً
لكل منها حكومتها المحلية ، وحاكم ينتخبه
الجمهور .

التعليم

يتكون نظام التعليم الياباني من المدارس



★ صانع الأواني الخزفية ★



وترتدي السيدات مع الكيمونو، نعلا خاصة مميزة، وجوارب خاصة، كما يصففن شعورهن بطريقة يابانية قديمة ومميزة.

الغذاء

تعتمد الوجبة اليابانية أساساً على الأرز... وبينما يستخدم الأوروبيون والأميريكيون الشوك والسكاكين لتناول الغذاء، نجد أهل اليابان يأكلون الأرز من إثناء خاص يسمى بالتشاون، بدلاً من التطبيق، بمساعدة

وبصورة زيتية.. وتعمل الحكومات المركزية والحلابة على حل مشكلة المساكن. يبنوا العمارات السكنية.

الملابس

يمكن تقسيم الملابس اليابانية إلى نوعين: الملابس الغربية السطراز، والسطراز الياباني التقليدي المعروف بالكيمونو. ويلبس معظم اليابانيين الملابس ذات السطراز الاجنبي، إلا أن السيدات للتقدميات في السن يفضلن ارتداء الكيمونو.

العمامة ذات إطار حديدي، أو مبنية بالألمنت السليح. إلا أن كثيراً من أهل اليابان يعيشون في مساكن خشبية.

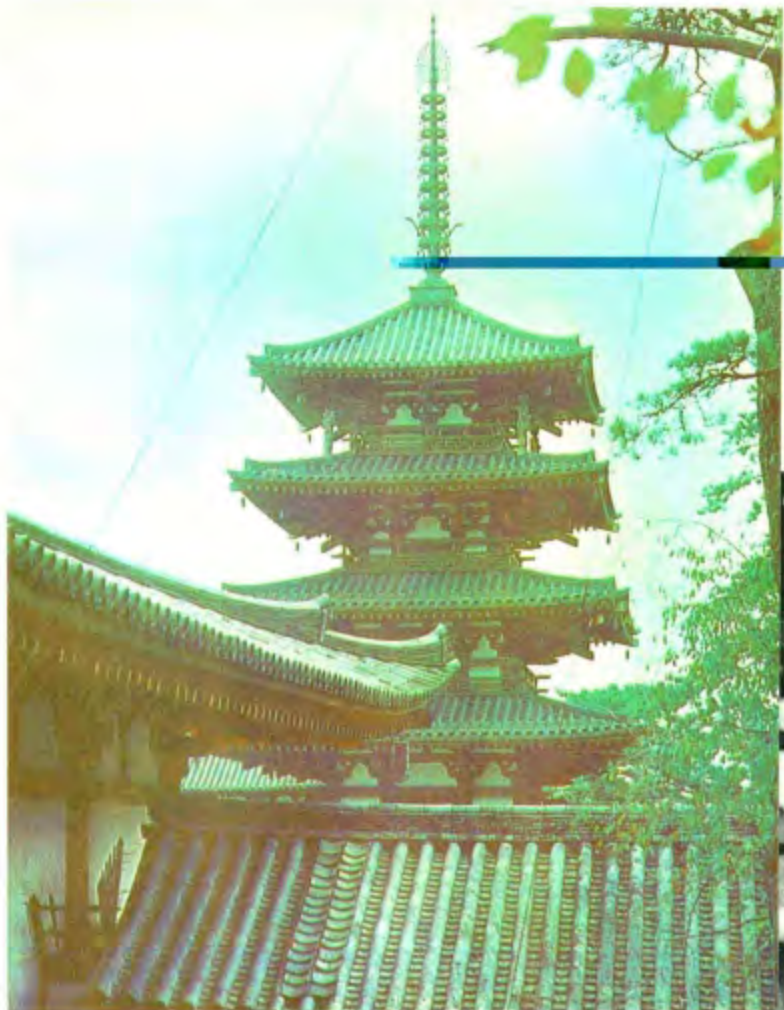
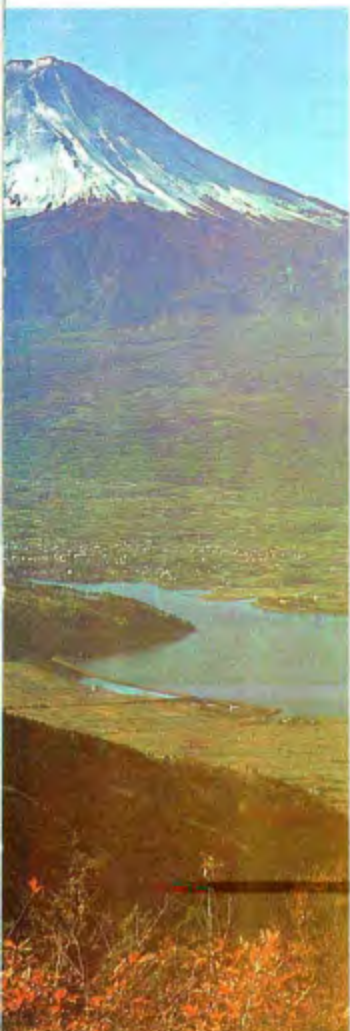
وعندما تدخل أحد هذه المساكن الخشبية اليابانية الطراز، فإن عليك أن تخلع نعليك، لأن أرضية المسكن مغطاة بسجاد مصنوع من القش وبعض الألياف النباتية. وهذه المساكن مجهزة بالأبواب المنزلقة، وستائر من الخشب أو الورق، تستخدم في تقسيم الغرف... وفي ركن غرفة الضيوف اليابانية الطراز، نجد المكان مزيناً بالزهور،

الدولة الثانية في العالم من حيث التوزيع
الكلّي للصحف اليومية .

ومن بين الصحف اليومية واسعة الانتشار
تذكر صحف « أساهي » ، « ماينيتشي » ،
« يومي أورو » . وهناك صحف اقتصادية ،
وصحف تصدر بالإنجليزية .

وفي اليابان عدة نظم للإرسال الإذاعي ،
منها هيئة الإذاعة اليابانية ، وهي منظمة عامة
تملك شبكة للإرسال تغطي جميع أنحاء
البلاد ، وتحصل على دخلها عن طريق رسوم

★ جبل فوجي ★



★ باغودا من حنة آتورا ★

السمي (ساشيمي) ، ويتكون من شرائح
السمك النيء الذي يقدم على طبق
صغير لفتح الشهية . كما أن هناك طبق
(تنبورا) ، وهو عبارة عن مقليات من طراز
ياباني يلقى إقبالا مدهلاً في المعارض
الدولية .

زوج من العصي الخشبية الصغيرة التي
تسمى (هاشي) . ومن بين الأطباق المكللة
العديدة ، نجد أن حساء فول الصويا
(ميسوشيو) من الأطباق المفضلة إلى
الكثيرين .

أما طبق السمك (سوكياكي) والذي
يجهز ببطيخ شرائح لحم البقر مع الخضروات فإنه
يزداد شعبية بين الأجانب .

وسائل الإعلام

يزيد توزيع الصحف اليومية في اليابان عن
٥٣ مليون نسخة ، وبذلك تكون اليابان

ومن بين الأطباق اليابانية الأصيلة ذلك



★ القصر الإمبراطوري ★

الاستماع المقروض على مالكي أجهزة الراديو .
وهناك أكثر من مائة محطة إذاعية
خاصة تعتمد على عائد الإعلان الإذاعي .
وتعد اليابان الدولة الثالثة في
العالم من حيث عدد أجهزة الراديو
المستخدمة في المنازل .

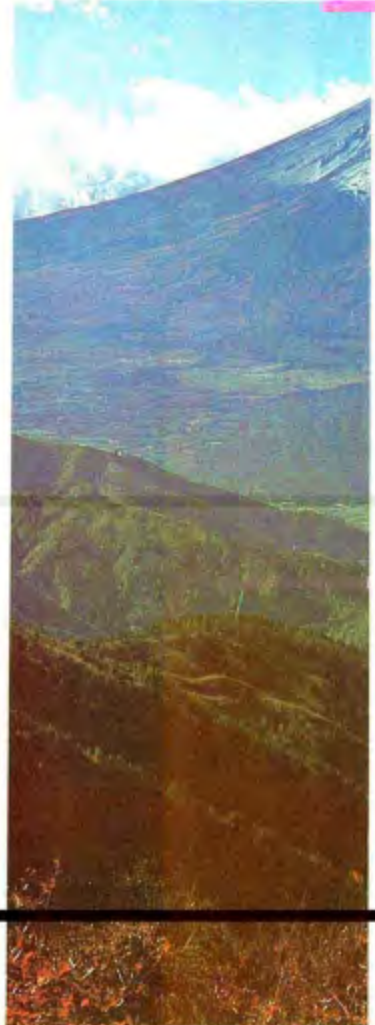
أما الإذاعة المرئية فتقوم بها هيئة إذاعة
اليابان وعدد من الشركات الخاصة ، وعدد
أجهزة الاستقبال في ازدياد مستمر .
وفي مدينة طوكيو عاصمة اليابان ، تجد

الجبالية . وهناك فرق عديدة لكرة القدم .
ومن بين الرياضات اليابانية المميزة نذكر
هنا لعبة « سومو » ولعبة « جودو » .
وتشبه لعبة « سومو » المصارعة ،
واللاعب الذي يدفع منافسه خارج الحلبة
المستديرة أو يطرحه أرضاً يكون هو الفائز .
كما أن رياضة الجودو تشبه
المصارعة ، ويرتدي اللاعبون ملابس
هذه الرياضة في عدد من
البلاد الأجنبية .

ست محطات إرسال للإذاعة السموعة ، وخمس
محطات للإذاعة المرئية .

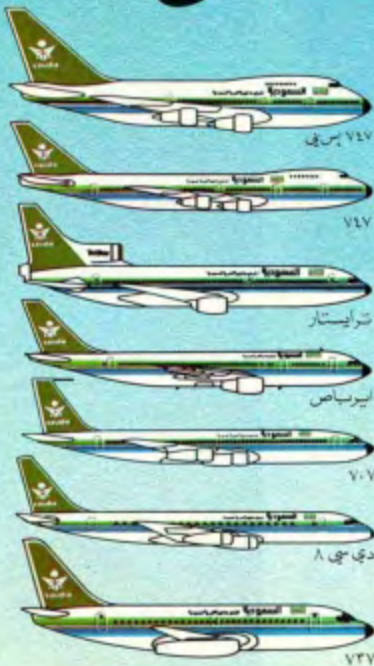
الرياضة

يمارس أهل اليابان جميع أنواع الرياضة ،
وتوجد ملاعب الجولف في ضواحي المدن
الكبيرة . وهناك عدد كبير من نوادي لعبة
التنس ، كما أن لبعض الشركات الكبيرة
الانزلاق على الجليد عديدة في المناطق





ننمو أسرع لنخدمكم أفضل



إن مشاريع "السعودية" للتوسع في السنوات القادمة تعني أن خدمتنا للركاب ستكون أفضل فأفضل .
إن إضافة ست طائرات ٧٤٧ وخمس طائرات تراكيبسار وإحدى عشرة طيارة إيرباص على أسطولنا الحالي تعني أيضاً أن باستطاعتنا الآن أن ننقل زكنا إلى أماكن أكثر ونؤمن لهم عدد أكبر من الرحلات ونوفر لهم مزيداً من الراحة .
وعند افتتاح المطار الجديد في جدة ، سيكون للسعودية نقطة وصول خاصة بها لتتيح للمسافرين القادمين من الخارج فرصة الانتقال إلى قسمنا الخاص للرحلات الداخلية دون الاضطرار إلى الانتقال من مبنى إلى مبنى آخر .
والدليل الأكبر على هذا التطور المستمر في خدمتنا للركاب هو أن السعودية هي الخطوط الوحيدة التي تؤمن المواصلات بين اثنين وعشرين مطاراً في المملكة .



السعودية

الخطوط الجوية العربية السعودية عضو في إياتا

للحجز والاستعلام ، جدة ٦٤٣٣٣٣٣ الرياض ٤٧٧٢٢٢٢ / ٤٧٧٢٢٢٣ الظهران ٨٦٤٤٠٠٠

متحف طوبيا في إسطنبول

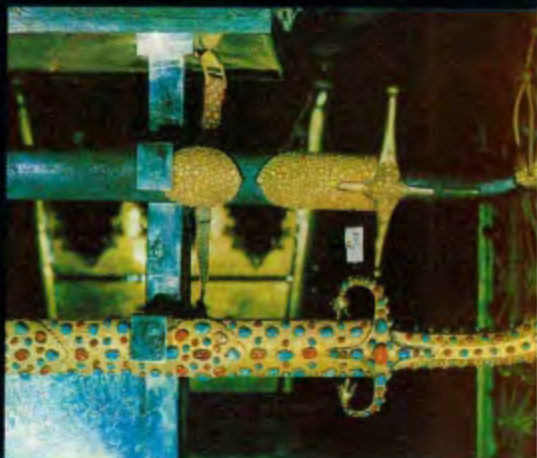


★ القرآن الكريم المحفوظ على جلد غزال ★

★ سيفان من السوف التاريخية الإسلامية ★

ويتألف القصر من عدة أجنحة، كل جناح يمثل مسكناً مستقلاً، ولكل جناح حديثه الخاصة، وتبلغ مساحة القصر ٨٢,٠٠٠ متر مربع، محاطة بسور نصفه محاذ للبحر، ولسور القصر سبعة أبواب... أربعة منها في اتجاه المدينة، وثلاثة تطل على البحر، وأحد تلك الأبواب يسمى «طوبياي» لذلك سمي القصر بقصر طوبياي، وأطلق

يعتبر «متحف طوبياي» في مدينة إسطنبول في تركيا واحداً من أكبر المتاحف الموجودة في العالم، وهو يقع في الجزء القديم من مدينة إسطنبول ويرجع تاريخ بنيانه إلى عام ١٦٤٧٨م، حيث كان في السابق قصراً خاصاً لإقامة السلطان محمد الفاتح بعد فتحه لمدينة إسطنبول.



الثالث عشر حتى الثامن عشر
البلادي .

●● بيت بغداد :

بني في عهد السلطان مراد
الرابع بمناسبة زيارته لمدينة
بغداد ، وقد زينت جدرانه
وسقوفه بالفسيفساء والعاج ،
وطليت أبوابه ونوافذه وخزائنه
بمرق اللؤلؤ مما جعله غاية في
الإبداع .



★ دغليز غرفة السعادة والأصدقاء الرخامية ★

▲ جالب من أحد حمام الخلف ★



نذكر منها على سبيل المثال لؤلؤة
كبيرة أهدت للسلطان
عبد العزيز من الهند عام
١٨٧٦ م ، وساعة ذهبية صنعت
في باريس عام ١٧٧٥ م .

●● قاعة التخت والخطوط :

وقد بنيت هذه القاعة في
عهد السلطان عبد المجيد عام
١٨٥٨ م ، وتحتوي على نماذج من
التخت والخطوط من القرن

أقسام ، كل قسم منها يحتوي على
مجموعة من الآثار .. وهذه
الأقسام هي :

●● غرفة الأرز :

وهي قاعة عروش السلاطين
العثمانيين المخصصة لاستقبال
سفراء الدول والشخصيات الهامة
من رجال الدولة العثمانية .

●● غرفة التفانيس :

وتحتوي على كل ملين وصال
من زمن السلاطين العثمانيين ،

الاسم نفسه فيما بعد على
المتحف .

وقد بقي القصر حتى عام
١٨٣٩ م عندما حاصره السلاطين
العثمانيين ومركزاً لإدارة شؤون
دولتهم ، فشهد مجموعة من
الاحتفالات والأحداث الهامة
لتلك الفترة .

أقسام المتحف

ينقسم المتحف إلى عدة

●● مكتبة أحمد

الثالث

تقع في وسط المدينة الثالثة للقصر، أُنشئت في عهد السلطان أحمد الثالث في القرن الثالث عشر الميلادي، وتحتوي على جميع مخطوطات القصر.

●● قاعة السلاح

وهي القاعة التي تحتوي على مختلف الأسلحة والدرع والحوذات، وفيها نماذج من

الأسلحة لأشهر المحاربين منذ القرن الأول الهجري حتى العصر العثماني، وتعلو هذه القاعة لماني قباب.

●● جناح الحرم

وهو السكن الخاص بسلطان العثمانيين منذ عهد السلطان مراد الثالث، تبلغ مساحته حوالي (٦٧٢٠) متراً مربعاً، وتتراوح مبانيه ما بين ٤ : ٣ طوابق، تحتوي على

(٢٥٩) غرفة، و ٢٦ حماماً، و ١٢ غرفة للخزين، و ٨ حمامات تركية، وقسم خاص بالمريض مع غرفتين للاستحمام،

هذا بالإضافة إلى ٤ مطابخ و ٦ غرف لتجفيف اللحوم، وحمام للسباحة. ويُبرز الجناح روعة الفن المعماري في تلك الفترة

حيث زينت جدرانه بالفسيفساء، وسقوفه على شكل قباب.

★ رسالة التي عمل الله عليه وسلم إلى القرويس ★

●● قاعة الملابس

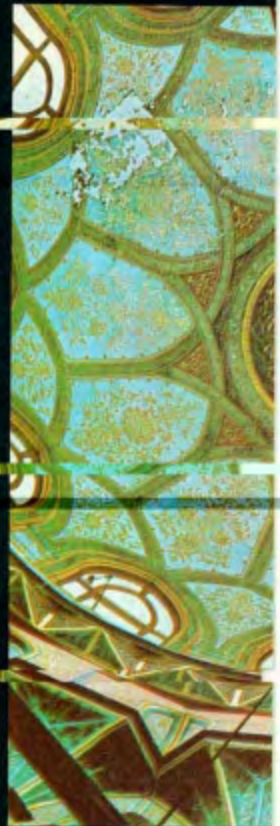
تضم الملابس التي كانت لأشهر السلاطين العثمانيين ابتداء من السلطان محمد الفاتح حتى السلطان مراد السابع، ويوجد في هذه القاعة العديد من القفاطين، من بينها قفطانين للسلطان محمد الفاتح أحدهما موشى بالذهب، وآخر موشى بالقفصة وهما مصنوعان من الخم أنواع الحرير. وتضم القاعة



★ مئذنة الكتبة الصنوعان من القاعة ★



★ غرفة السجدة والقبلة ★



السلطان محمد الثاني بتخصيص مكان للآثار الإسلامية، أطلق عليه اسم (الأمانات المقدسة).

ولول ما يشاهد الزائر في هذه القاعة اللوحة التي كتب عليها «لا إله إلا الله محمد رسول الله» وهي عفوفة باللاس كتبت بخط يد السلطان أحمد الثالث الذي اشتهر ببجودة خطه. وفي القاعة إطار من الذهب

القصر بشكله الأصلي فقد تأثر بفعل الزلازل والأحداث التي مرت عليه، وقد عمل على ترميمه أكثر من مرة. وعندما فتح السلطان سليم الأول مصر أمر بإرسال الآثار الإسلامية التي يجدها الباحثون إلى قصر طوباني. وقد حرص السلطان أحمد (١٦٠٧ - ١٦١٧ م) أن توضع جميع الآثار الإسلامية في هذا الجناح، إلى أن أضر

●● الجناح الإسلامي :
ويسمى جناح (الأمانات المقدسة) في القرن الخامس عشر الميلادي أمر السلطان محمد الفاتح بإنشاء قسم خاص للامانات المقدسة. في هذا القسم من القصر كان السلطان يقوم بإدارة أمور الدولة اليومية، ويستقبل الزائرين، ويقبل البيعات الخاصة. ولم يحفظ هذا الجناح من

أيضاً قفصاته الذي كان يرتديه حين فتح مدينة إسطنبول والذي قيل بأنه ارتداه لمدة (٥٣) يوماً حيث كان على رأس الجيوش وقفصاته الذي كان يرتديه حين توفي. وقياس ملابس السلطان محمد الفاتح يبدو أن طوله كان يبلغ ١,٧٠ سم إلى جانب أنه كان نحيفاً معتدل البنية.

★ إحدى اللوحات التي تزين جدران الصلح ★

★ مدخل الصلح ★



الحاصل وزن (١٤,٦٠٠) غرام
كان حول الحجر الأسود، ودرقة
قديمة لباب الكعبة المشرفة كانت
قد استبدلت بالخرى جديدة عام
١٥٩٢م، ومزاريب من الذهب
والفضة ومفتاحان من الفضة
كانت قد صنعت للكعبة
المشرقة، إلى جانب قطع من
لؤلؤة الشريف.

وهناك نسخة من
المصحف الشريف كتبت
على جلد الغزال عليها
بعض بقع من الدم يقال
بأنها النسخة التي كان يقرأ
فيها الخليفة عثمان بن عفان
رضي الله عنه حينما
استشهد. كذلك يشاهد الزائر
في هذه القاعة خيماً من العقيق
كتب عليه «محمد رسول
الله».

وفي ناحية أخرى من القاعة
يوجد (٢١) سيفاً أثرياً لأشهر
المحاربين المسلمين وهي موضوعة
في أغمدة مرصعة بالأحجار الكريمة
التي صنعت لها في عصر
المماليك، ويقال بأن من
بين تلك السيوف سيف
رسول الله صلى الله عليه
وسلم، وسيوف الخلفاء
الراشدين رضي الله عنهم.

ومن بين تلك الآثار
الموجودة في متحف طوباني رسالة
النبي صلى الله عليه وسلم التي
بعث بها إلى القسوس ملك
الاقباط داعياً إياه إلى الإسلام،
وقد وضعت في إطار من الذهب
ووضع إلى جانب الرسالة النص
الكامل الذي تضمنته الرسالة
وذلك لأن أجزاء منها قد تقادم



★ إحدى لوحات التي تعكس تطور الخط العربي والقدس ★

★ لوحة كتلة التوحيد ويروا الرثر معلقة على الجدار ★



★ قطعة من الستار المأخوذة من عطاء الكعبة ★



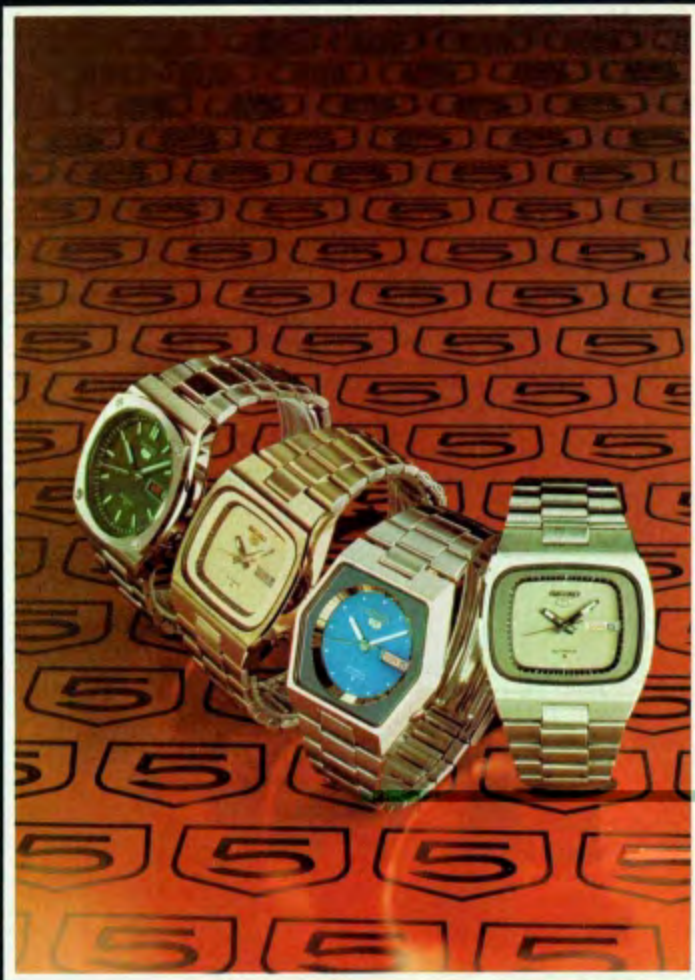
عليها الزمن.

هذه قاعة سريعة عن هذا
المتحف الزاخر بكثير من الآثار
الإسلامية والتاريخية التي لا توجد
في كثير من متاحف العالم.

والحديث عنه في شعور يتطلب
صفحات طويلة تتناسب
وصفحات التاريخ الكبيرة والحامة
التي تختصر آثارها داخل غرفه
العديدة... وقد لقي المتحف
عناية كبيرة من حيث التنسيق من
ناحية، والكتابة عنه من ناحية
أخرى، فقد صدرت مجموعة من

الكتب والنشرات المزودة
بالصور، مما يجعل الإحاطة بما
يحتويه في هذه السطور أسراً ليس
سهلاً.

ويرتاد المتحف الآن الزوار
في كل عام الذين يأتون من كل
بلاد العالم.. وهو من المعالم
الحامة والبارزة التي تعزّز بها مدينة
إسطنبول.



سيكو SEIKO
تقدم

الجديد من الساعات الميكانيكية

سيكو SEIKO 5

الحضنى
٠٠ ٠٠

تجدها لدى جميع مورعي الساعات
في المملكة العربية السعودية
الوكيل العام:

R



في هذا الحوار يحدثنا الشيخ محمد الغزالي عن الدين الإسلامي وقضايا المعاصرة ... عن المساواة والعدل الاجتماعي ، وما للمرأة المسلمة من حقوق وما عليها من واجبات ، وكيف يمكن للعرب أن يصلوا إلى قوتهم ومجدهم القديم ، والشيخ محمد الغزالي ، أحد الذين كرّسوا حياتهم من أجل الدين والعقيدة ، مجتهداً دؤوباً .. وله كثير من المؤلفات والبحوث الإسلامية ، بالإضافة إلى أنه رئيس لقسم الدعوة وأصول الدين بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .

الأئمة الإسلامية في وضع يفرض عليها اليقظة

وعندما جاء مندوب قريش ليستمع إلى ما عند النبي عليه الصلاة والسلام ، قرأ عليه فيما قرأ في وويل للمشركين ، الذين لا يؤثنون الزكاة وهم بالأخرة هم كافرون . فلما انتقل إلى المدينة المنورة ، قام المجتمع الإسلامي على الأخوة التكافؤ في السراء والضراء ، فليس هناك متخم وجائع .. بل الأمر كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم » .

ولما كانت المدينة بلداً زراعية ، فقد تدخل التشريع في عقد الإيجار ومعداه ، ورغب النبي عليه الصلاة والسلام ، الأنصار سلاك الأرض في أن يعطوا المهاجرين الفقراء الأرض يزرعونها ، دون أن يتدفعوا إيجاراً لها .

وعندما ملك النبي غنائم بني النضير ، جعل هذه الغنائم كلها للفقراء المهاجرين ، ولم يعط إلا اثنين من الأنصار كان بها فقر ، وعلى القرآن الكريم هذا التسميم بقوله سبحانه وتعالى في كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم . أي لا يكون المال حكراً على طبقة من الناس ، يتداول بين أفرادها ، لا يتجاوزهم إلى غيرهم ، أي أن النبي

المساواة والعدل الاجتماعي في الإسلام

●● الإسلام دين عالج كل قضايا العصر ، مليء بالجوانب المشرقة التي تتصل بالإنسان ، وتبحث أمور حياته ، نود أن تحدثنا عن المساواة والعدل الاجتماعي في الإسلام .

★ يتفق الباحثون جميعاً على أن الإسلام عبادات ومعاملات ... إيمان ونظام ، أو تعبير العصر ... دين ودولة . والدولة أو النظام في الإسلام تخدم النصوص والفوائد القيم التي تفرزت في هذا الدين العظيم ..

وقد بدأ الإسلام في مكة المكرمة ، فقرر بين الإيمان ، وبين إطعام الجائعين ، ومواساة المحرومين ، فمن أوائل ما نزل نقرأ قوله تعالى في وصف من يستحق العذاب في أنه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على طعام المسكين . وكذلك قوله جل شأنه في أرايت الذي يكذب بالدين ، فذلك الذي يدع اليتيم ، ولا يحض على طعام المسكين .



● أتمنى أن تعم الأمة العربية نهضة سريعة

لكن هناك مواهب تتفاوت ، ونشاطاً في الإنتاج لا يتساوى الناس فيه بذاهة ، ولا يقبل أحد أن يسوي بين خائن وأمين ، ولا بين متج وعاطل كسول . . .

المساواة أن يأخذ المتكافئان أجرأ واحداً ، وأن تتاح لها الفرص على سواء ، لما أن يأخذ الأذكى مرتباً أكبر ، فهذا لا حرج فيه ، ولا يوجد في الدنيا نظام يفرض المساواة بين المختلفين في قدراتهم وخبراتهم ،

والشكوى التي يجرى بها الناس ترجع إلى المساواة في الحقوق العامة غالباً ، وعدم التزام قواعد دقيقة في تطبيقها ، فربما تخرج اثنان من كلية واحدة ،

وأضعف الحظ أحدهما فيبلغ القمة وقعد بالآخر ، فبقي بضرب في السفوح ، وربما كانت الأمور فوق ما يتصور الخلق أي ربما كان الأغنى هو الذي صعد ، والأدنى هو الذي هبط .

إن هذا الاضطراب الخلقي هو الذي يجعل كثيراً من الناس يطلب المساواة ، ويسعى وراءها ، والإسلام ظهره في هذا السطلب ، وذلك السعي ، فإن الناس في الحقوق العامة سواسية كلسنان المشط ، وما يتفاضلون إلا بالتقوى والعمل الصالح .

عليه الصلاة والسلام ، بهذا العطاء للمهاجرين ، أقام توازناً اجتماعياً في المدينة المنورة ، هو من أهداف الإسلام كما بينا .

ونصوص الدين وقواعده العامة ، توجب على المسلمين جميعاً العمل في أرض الله ، واكتساب الرزق من الكسب فيها ، والضرب في جنباتها ، وهذا هو المصدر الأول لدخل الفرد ، لما يجوز أن تمتد إلى الزكاة يد قادر على العمل ، متسكع في دروب الحياة ، وفي الحديث : « لا تجوز الصدقة على غني ، ولا على ذي مرة سوى » أي صاحب قوة سليم الأعضاء والحواس ، وكان الزكاة بهذا التوجيه ، إنما تحمي إعالة لمن أرغم على التعطل بسبب معقول .

وتعاليم الإسلام في هذا الفعل تحترم وأسس المال وتعطيه حتى التكون وإتمامه ، ولكنها تثقله بالحقوق الاجتماعية ، التي تسد كل ثغرة في الحياة العامة .

أما ما يتصل بالمساواة فأريد أن أفرق بين أمرين : هناك حقوق عامة يمكن أن نفهم فيها معنى المساواة ونحققها . . مثل حق الحياة ، وحق التملك ، وحق التعليم وما أشبه ذلك . والناس في هذه الحقوق العامة سواء ، فلو أن عيسياً قتل كائناً طريق لقتل فيه قصاصاً عدلاً ، لما يعرف الإسلام في هذه المساواة نسباً ولا امتيازاً .

● العودة إلى الإسلام
نصاً وروحاً
هي العلاج الأمثل
لكل ما نعاين!





تعودبها إلى الإسلام وأصوله السمحة وشرائعه العادلة

تعاليم الإسلام ضمان كامل للمرأة

● ما دمنا نتحدث هنا عن العدل الاجتماعي والمساواة في المجتمع الإسلامي ، فما الذي تقوله عن حقوق المرأة في الإسلام ، وما واجباتها تجاه دينها الحنيف ؟

★ النساء شقائق الرجال ، كما جاء في الحديث الشريف ، وحقوقهن هي حقوق الرجال ، لا خلاف بين الجنتين إلا فيما تضرر ، واتصل بطبيعة المرأة . أما في الحقوق العامة فهي والرجل سواء في كل شيء ، كما قال تعالى ﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض ﴾ .

وإذا كان الإسلام قد جعل نصيب المرأة في الميراث ، هو في الغالب على النصف من نصيب الرجل ، فلذلك لأن المرأة في النظام الإسلامي لا تكلف بتفقه ولا مهر ، بينما يكلف الرجل بذلك . فالتصيب الكامل الذي أخذه الرجل لم يبق له ، أما النصف المقرر للمرأة ، فهو باق لها .

وإذا كان الإسلام قد جعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل ، فإن السبب في ذلك أن طبيعة الدورة الشهرية التي تنظم في حياتها تسبب لها مضايقات نفسية وفكرية ، وقد قرأت لأحد علماء الطب في هذا المجال أن المرأة تُصاب في أثناء الدورة بعمى الألوان ، وبمجموعة من العلل الأخرى ، فإذا احتشأت الشارع لضمان العدل ، فضم إلى المرأة امرأة أخرى ، فلا لوم عليه في هذا ولا تجرّس للمرأة ... أما ما عدا ذلك ، فإن المرأة والرجل في الحقوق الدينية والدنية سواء .

إن أوروبا ورثت مجتمعاً غير المجتمع الإسلامي ، أوروبا كانت بها جماع تناقش هل المرأة إنسان له روح كالرجل ، وكان القانون الروماني ولا يزال منع تصرفها في ماله الخاص ، ويجعل الزوج هو القيم على تصرفاته المالية .

صحيح أن المرأة في العصر الحديث أخذت حق العمل في المجتمع ، وخرجت لتشارك الرجال في كل شيء ، فإذا كسبت المرأة من هذا المسلك إلا الشقاء ؟

أنا أظن أن تكون المرأة مدرسة أو طيبة ، لكن ما معنى أن تكون سكرتيرة أو كاتبة في بعض الدواوين ؟

إن كل اللجان التي درست العلاقات الجنسية في الحضارة الحديثة انتهت إلى أن الحيات الزوجية والاتصالات المنحرفة تجاوزت الحد في الملة في العلاقات بين الجنسين ...

هل يلام الإسلام ، إذا أقام نظامه على عدم تشكيل المرأة بالانزلاق ، وجعل الزوج أو الأب مسؤولاً عن زوجته أو ابنته ! . هل يلام الإسلام إذا عرف أن المرأة ستفقد عرضها في طريق لقمة الخبز ، فوضع نظامه على أساس توفير اللقمة لها واستبقاء عرضها مصوناً ؟

ونستطيع أن نتساءل : هل المعري والرقص والتبذل واستثارة الغرائز المهاجمة .. هل هذه حقوق رفيعة كسبتها المرأة ، فدعمت بها جانبها في المجتمع ، أم أن هذه نزعات حيوانية فرضها الرجال الأشرار لكي يتبذلوا المرأة ، ويجعلوها طوع شهواتهم ؟

إن تعاليم الإسلام بالنسبة إلى النساء ، فيها ضمان كامل للمكرامة المالية والأدبية ، لكنني أعرف بأن هناك أشخاصاً اتسبوا للإسلام ، وباسمه ظلموا المرأة ومنعوا حق العيادة في السجدة ، وحق التعلم في الجامعة ، بل منعوها حظها الطبيعي في الزواج ، إذا لم يأخذ الأب أعداداً كثيفة من الريلات ... أسف لأنه باسم الإسلام أنشئت تقاليد ظلمت المرأة ، وأضعفتها مادياً وأدبياً ، ولكن علاج هذا الانحراف الديني ، لا يكون بإثارة الانحراف الحضاري الحديث ، وإلا كنا كاللجج من الرمضاء بالنار .

العودة إلى الإسلام نصاً وروحاً ، هي السبيل الوحيد لكل ما نعالج ...

بدع دخيلة على الإسلام

● هناك بدع كثيرة دخلت الإسلام .. كيف يمكننا أن نتخلص من دعاوى الضعف والوهن .. فالإسلام هو دين القوة والإرادة والعزيمة ، دين التشريع والأحكام السليمة حددها القرآن الكريم .. ناموس هذه الأمة ؟ ..



● ابن عربي يزعم أن كتابه "الفتوحات" تلفته

لا يجدي على أمثنا قليلاً . . . ولذلك فإن أرجو أن تعسا نبضة سريعة تعود بنا إلى الإسلام وأصوله السمحة وشرائعه العادلة .

ابن عربي

●● حدثت محاولة لمنع كتاب ابن عربي «الفتوحات المكية» . . ما هي في نظركم حدود المنع والإباحة بالنسبة للفكر من وجهة نظر الإسلام ؟

★ أنا عن يحرمون حرية الرأي . . ومن يرون أن الحق يملك من الأدلة ما يرجع كفته ، ويزينه في آئين الناس ، ولذلك فإن مبدأ المصادرة يحتاج إلى تحفظ في إقراره ، وما أقبله عندما يكون ما تشي هدماً للوحدات الأمة ، وخدمة لأعدائها ، أو نوعاً من التزيق العقلي . لا يقدم مثلاً أعلى ولا غرضاً شريعياً .

ومن حق الأمم في هذه اللحظة أن تحمي نفسها وشبابها ، وأن تضع سندواً أمام من يتعنون لها الدمار .

أما في الأمور الأخرى ، أي حيث تتفاوت وجهات النظر من التواحي السياسية أو الشرعية أو الاجتماعية ، فالرأي عندي أن نسمع كل ما يُقال على شرط أن يتمكن حلة الحق من إبداء رأيهم وسوق أفكارهم . . وأنا حسن الظن بالفكر الإنساني ، وبالفكر الإسلامي .

إن الإنسانية لا تنجح إلى باطل إذا عرفت الحق مصروقة شاملة مستوعبة ، وعندي أنه إذا عين أهل الحق عن خدمة قيمهم بالطريق العقلي ، والإقناع الحر فليسوا أعداء للحياة .

وأضاف الشيخ محمد الغزالي :

بعد هذا التقديم أقول : إن كتاب ابن عربي «الفتوحات المكية» . وكتابه الآخر «الفصوص» مليتان بمزعجيات ما أنزل الله بها من سلطان ، وليست الرؤى في المنام مصدراً للمعارف الدينية ، وابن عربي يزعم أن كتاب الفتوحات تلفاه في الرؤى ، فهل يترك الناس الحقائق التي تلقوها عن القضاة لأحلام تائم ؟! . . وهل يترك الناس الحقائق التي وصلت بهم إلى غزو القضاء لمنطق نظري يتجهج للادلة الحسية والمعنوية المتيرة ؟! .

★ الأمة الإسلامية أصابها أمراض الأمم التي سبقتها ، فاندخلت في دينها ما ليس منه ، ونقصت منه ما هو من صميمه ، وتوجد تحذيرات وتحذيرات تنسب إلى الإسلام ، والإسلام منها يبري .

لقد رأيت أحد الحكام في يوم من الأيام يدخل المسجد بعد صلاة المغرب ليحضر حفلاً دينياً مبتدعاً ، ويخرج قبل صلاة العشاء . أي أنه أهمل ركبتين ، وأهملها ، وأحيا خرافة وشذوذاً فيها . . فأي تشدين هذا ! . .

والمسلمون الآن مصابون بشدين الشكل ، لا تشدين الموضوع . والدين عندما يتحول إلى طقوس ومراسم يفقد قيمته . . لأن الدين قبل كل شيء ، قلب حي ، وضمير يقظ ، وسريسة نظيفة .

وأرى أن الأمة الإسلامية في وضع يفرض عليها سرعة اليقظة ، فإذ اللثاب تتعاضد من كل ناحية كي تهشها ، ويحود كل فئسب يشلو منها . . والعودة إلى الإسلام في هذه الحال هي ضمان حياة وسياج وجود .

أي أن الدين ، والحالة هذه ليس كسباً للجنة ، وبعداً عن النار فقط ، بل هو قبل الأخيرة وقدمها كسب ليومنا الحاضر ، وضمان لغضائنا المهددة .

إن أمثنا إلى الآن تنال من نفسها أكثر مما ينسب أعداؤها منها . . والسبب أن الناس إذا لم يجمعهم الحق ففرقهم الباطل . . وإذا لم يشتدوا على الصراط المستقيم ، تفرقوا في عشرات الطرق ، وعندئذ تكون الفرض مواتية لأعداء مترصين كثيرين .

لقد نجح المسلمون الأوائل في توسيع رقعة الدولة الإسلامية ، فهذا هي تشمل المعمور من ثلاث قارات . كان البحر الأبيض والأحمر والأسود بحيرات إسلامية ، فما الذي جعل المسلمون الآن يدفعون بعجز عن تراثهم ، ويسطعم كل عدو في التيسل منهم ؟ . .

لا أمل إلا بعد العودة إلى الإسلام الحقيقي . . أما الخرافات التي ليست ثوب الدين ، والبدع والخرافات التي ينجح إليها العوام ، والخييل والمهازيل التي يرتكبها بعض المستبين إلى الفكر الساذج ، فهذا كله



في الرؤية وهونائم، فكيف لنا أن نصدق أحلام نائم؟!

جاءت بدعة القومية العربية ، فإذا هذه القومية تكفر بالإسلام ، وتتجهم للأجناس الداخلة فيه ، وتخلق أعداءاً للفصل بين المسلمين والعرب ، وهم أكثر من تسعة أعشار الجنس العربي ، وبين المسلمين والهنود والأعاجم والأتراك وغيرهم .

وهذا الذي صنعه القومية العربية اضرباً ، وأسقط قضايها العائلية والمهلية .

لقد اعتبر العرب قضية فلسطين عربية لا إسلامية ، فنادوا كسوا ، وأرادوا أن يعيشوا بلا دين ولا عقيدة ، بينما يتحرك اليهود خوفاً بدينهم وعقيدتهم ، ويسمون دولتهم تسمية دينية خالصة «إسرائيل» فإذا جئنا من هذا السلك ؟..

إن العرب أكثر قليلاً من مائة مليون ، والمسلمون يبلغون الآن ملياراً من الأنفس ، فإذا يكسبه العرب عندما يصنعون فجوات عميقة بينهم وبين إخوان العقيدة في القارات الخمس ؟..

إن العروبة بلا إسلام مهولة يجب أن تنتهي .. وإذا رجعت العروبة إلى أصلها الديني الذي شرفها الله به ، التقت مع الأمة الإسلامية الكبرى في وحدة تعطي العرب القيادة .. إذا أرادوا الزعامة ، وتجعل لهم ظهيراً من أجناس تزيد عليهم بتسعة أضعاف .

ولذلك فإن الوحدة العربية تم على الوجه الصحيح ، يوم تنبض على دعائها العقيدة ، وتلتقي مع الوحدة الإسلامية في صف واحد وهدف واحد .

كلمة أخيرة :

دعني أقول في البداية موجهاً حديثي لعلماء اليوم : القوا الله في أنتم ، واعلموا أن الله غاب علماء اليهود قديماً ، لما أخذ عليهم الميثاق أن يقولوا الحق ، فكتبوا الحق حرصاً على الدنيا ، قال تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمناً قليلاً فَبَيَسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ .

إن المتصورين أنفسهم ، والغريب أن ابن عربي من بين هؤلاء ، يتكبرون وحدة الوجود ، ومع هذا الإنكار ، فإن كتابات ابن عربي تدور على محور واحد ، هو وحدة الوجود . وقد قرأت لابن عربي بحثاً يقوم على أن فرعون من أهل الجنة !.. وأن الله قبل لونه وغفر له ، وعقل يصل إلى مثل هذه النتيجة ، لا ثقة في أحكامه !..

كيف نسمع له ، أليس ، والله يقول في فرعون ﴿ يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار ويؤس الورد المورود ﴾ .

والأستاذ الحظي يدايعون عن كتاب ابن عربي : « إنهم يعطون حرية الرأي للفلاح وحده كي يقول ما عنده ، فإذا تحرك الحق لدفع الشهوات ، بدأت المصادرة والكابرة ، فأين هذه الحرية ، وما مذهبها ؟

والذين غصبوا لمصادرة كتاب ابن عربي ، لماذا لم يغصبوا مصادرة كتبنا نحن ، ويطلبوا بتركها تأخذ مكانها بين أيدي القراء ؟

لقد تبين لي أنه في المجتمعات المحتلة ، يكون لكلمة الحرية وزن العملة المزيفة ، فهي حرية موجهة تقبيل إذا تفتت فلاناً ، وترفض إذا وقفت دونه .

الوحدة الإسلامية

● وكيف يمكن في نظركم التقاء الوحدة العربية والإسلامية ؟

★ إن الوحدة التي قامت عليها أمتنا خلال القرون الأربعة عشر التي غلغلت تاريخها ، هي الوحدة الإسلامية ، والمسلمون على اختلاف أجناسهم كانوا يعطون العرب فضلاً زائداً ، ومصادرة ملحوظة ، لأن العرب ، كما عرفت في بعض كتبي ، هم دماغ الإسلام وقبضه ..

فالقرآن عربي اللسان ، والنبي عربي الجنس ، وقبلة المسلمين في الصلوات تقع في أرض عربية ، والثقافة الإسلامية في جميع ميادينها عربية النبع ..

أي أن الوحدة العربية أعزت العروبة وكرمتها ، حتى

سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

في كتابات

أول من صنف كتاباً في غزوات الرسول عليه الصلاة والسلام هو إمام المغازي (موسى بن عقبة بن أبي العباس الأسدي) الذي عاش في زمن خلافة بني أمية، وتوفي سنة ١٤١هـ. ثم سلك طريقه محمد بن إسحق الذي توفي في بغداد سنة ١٥٠هـ. وقد اشتهر ابن إسحق شهرة كبيرة بسبب كتابه في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وينقسم كتابه إلى ثلاثة أقسام:

- ١ - كتاب المبتدأ وقصص الأنبياء، وقد احتفظ الطبري بقول كثيرة منها في كتابيه الكبيرين: التاريخ، وتفسير القرآن الكريم.
- ٢ - كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
- ٣ - كتاب المغازي.



التلميذ هو: أبو عبد الله محمد بن سعد بن ميثع الزهري، صاحب الكتاب الشهير (الطبقات الكبرى) أو (طبقات ابن سعد)، وفي هذا الكتاب سيرة مطولة للرسول صلى الله عليه وسلم، ويضم تراجم مقسمة إلى طبقات مختلفة للصحاباء والتابعين وتلاميذ التابعين حتى سنة ٢٢٠هـ، وهي سنة وفاة ابن سعد. ولذلك أصبحت مصادر السيرة الشريفة تكاد تجتمع في (سيرة ابن هشام) و (طبقات ابن سعد)، ويعتمد عليها كل كتاب السيرة من القدماء والمعاصرين على السواء.

هذه نعمة سريعة عن السيرة النبوية الشريفة التي سجلها القدماء في دقة بالغة، وحرص شديد، وقد ظلت كتاباتهم تتناقلها الأجيال عبر القرون من هذه التصوص التي ذكرت لك أهمها، ولم يحاول الكتّاب والباحثون منذ القرن الثاني الهجري حتى القرن الثالث عشر أن يتعسوا أنفسهم بالدراسة والتحليل، بل كانت كتابات الواقدي تنسخ - وخاصة ما كتبه في الفتوح الإسلامية - وكثر انتشارها في أيام الحروب الصليبية لبث الشجاعة والحمية في نفوس المجاهدين.

ولم يكن المسلمون يعلمون شيئاً عما كان يكتبه الأوروبيون في سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام حتى مطلع العصر الحديث، وقد دهش

ولكن ما كتبه ابن إسحق عن السيرة الشريفة رواه لنا عبد الملك ابن هشام الذي توفي في مدينة القسطنطينية يوم ١٣ من ربيع الآخر سنة ٢١٨هـ. وداعت شهرة ابن هشام أكثر من ابن إسحق، وأصبحت تعرف (سيرة ابن هشام) كمصدر أساسي في كتب السيرة، وقد ترجمها إلى الألمانية المستشرق ج. فايل (سنة ١٨٩٤م)، ونشرت نسخها العربية في ألمانيا (١٨٩٩م)، ونشرت في مصر صورات متعددة، كما ترجمت إلى اللغة الفارسية.

ومن كتاب السيرة القدماء: أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي، وكان بالغ حطة في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد فسدت تجارته، وكثر عليه الدين، عندما حج هارون الرشيد وزار المدينة المنورة، فقام الواقدي بعمل الدليل للرشيد ودله على كل المشاهد، فأعجب به، وأمر له بعشرة آلاف درهم، لكنه أنفقها وضاعت به الدنيا، فرحل إلى بغداد، وعيّن الرشيد قاضياً في الجانب الشرقي لعاصمة العباسيين، وهناك ألّف كتاب (المغازي) عن غزوات الرسول عليه الصلاة والسلام.

وكان للواقدي تلميذ يساعده، ويقلب نفسه بقلب (كاتب الواقدي) .. وقد أصبح التلميذ أكثر شهرة من الأستاذ، وهذا

●● إن الكتاب والمفكرين المسلمين لم يتفصلوا عن الفكرة الإسلامية المعاصرة ، وهي : تجديد الفكر في الإسلام ، وكانت فكرة إعادة كتابة السيرة النبوية الشريفة ، في مقدمة هذه الاتجاهات التجديدية .

●● الملاحظ في تاريخ الفكر الإسلامي المعاصر ، أنه كان ولا يزال يتجه إلى الأساسين الراسخين في الإسلام ، وهما :
● القرآن الكريم .
● السنة النبوية الشريفة .

المقدماء والمحدثين

بقلم : عبد المتعم شمس

أما جبهة القراء من عامة المسلمين فقد كان علمهم يأتي عن طريق هؤلاء العلماء ، وليس بين أيدي عامة القراء كتاب سهل يسر يستطيعون قراءته وفهمه .

ثم أصبحت الحاجة ملحة عند عامة القراء للحصول على كتاب مختصر مفيد في سيرة سيد المرسلين ، بعد أن انتشرت الطباعة ، وأصبح العلم ميسراً بين أيدي الناس . كما أن كثيرين من المثقفين المسلمين كانوا ولا زالوا غير قادرين على قراءة الكتب القديمة وفهمها ، حتى أصبحت هذه الكتب من عمل المتخصصين .

نور اليقين

ثم أراد الله جلّت قدرته أن يلتقي عالم من علماء الإسلام كان يعمل قاضياً شرعياً في مدينة المتصورة بزميل له من قضائى المحاكم المختلطة التي كانت تنطق أحكامها باللغة الفرنسية ، وحاول قاضي المحكمة المختلطة أن يعرف من صاحبه الشيخ محمد الحصري القاضي الشرعي شيئاً عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ورأى الشيخ الحصري أن يؤلف كتاباً جديداً بأسلوب جديد عن سيرة سيد المرسلين حتى يعرفها من لا يستطيعون قراءة سيرة ابن هشام أو غيرها من كتب السيرة .

وكان كتاب (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) أول محاولة لإعادة كتابة السيرة الشريفة . . . وبسبب هذا الكتاب عين الشيخ الحصري استاذاً للتاريخ الإسلامي في الجامعة المصرية القديمة ، ثم بدأ الأهتمام بدراسة التاريخ الإسلامي بصفة عامة ، ودراسة السيرة النبوية بصفة خاصة .

لم يكن كتاب (نور اليقين) دراسة جديدة للسيرة النبوية ، لكنه



★ هارون الرشيد ★



★ هارون الرشيد ★

الشيخ عبد الرحمن الجبرتي المؤرخ الشهير عندما شاهد عند الفرنسيين القادمين مع حملة نابليون بونابرت إلى مصر كتاباً فرنسياً عن السيرة ، وفي أول صفحة منه صورة مرسومة للنبي صلوات الله وسلامه عليه ، فأنكر عليهم ذلك واستكره ، لكن الشيخ لم يعرف ماذا تحوي صفحات الكتاب .

ورغم قيام النهضة الحديثة في مصر وغيرها من بلاد الإسلام بعد خروج الحملة الفرنسية من القاهرة ، فإن الكتاب لم يفكروا في كتابة سيرة جديدة بأسلوب عصري يتلاءم مع روح العصر ، ورغبات القراء ، وظلت الكتب القديمة للسيرة الشريفة هي للشدائفة بين أيدي الناس ، وخاصة سيرة ابن هشام التي طبعت لأول مرة في مصر سنة ١٢٥٩ هـ ، كما طبعت كتب أخرى تتناول بعض جوانب السيرة ، لكنها لا ترقى إلى أهمية سيرة ابن هشام .

بل إن كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد لم يطبع في مصر إلا في سنة ١٣٨٨ هـ (نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٦٨ م) ، وكان قد سبق نشره في ليدن بهولندا بين عامي ١٩٠٤ و ١٩٢٨ من تاريخ الميلاد .

لكن علماء الإسلام عبر كل العصور كانوا يهتمون بالسيرة الشريفة اهتماماً خاصاً ، ويعرفون مصادرها ومراجعها .

كان اختصاراً مقيداً، جمع مؤلفه مادته من الكتب القديمة، وأسعفته دراسته الإسلامية على تحقيق هدفه من تصنيف كتاب جديد مختصر مقروء لكل المثقفين بغیر عناء أو متعة، وقد استفاد منه القراء طوال خمسين عاماً، ولا يزال يعاد طبعه.

أجانب يكتبون عن السيرة

ولكن القضية الخلت الجاهل آخر بعد ذلك، فقد عرف المسلمون بعد النهضة الحديثة، وتعلم الشباب للغات الأجنبية، ودراساتهم في جامعات أوروبا وأمريكا... عرفوا كتابات كثيرة ألّفها مؤلفون من الأجانب عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت بعض هذه الكتابات خطيرة، وقد أراد أصحابها هدم الإسلام، وهي قضية معروفة منذ نشوء الاستعمار الأوروبي في العصور الحديثة. فإن هذا الاستعمار كان يواجه قوة الإسلام فحارب الإسلام، وأذاع المشرق الفرنسي (إرنست رينان) مستشار وزارة المستعمرات الفرنسية نظريته التي تقول: إن الإسلام هو مسبب تخلف المسلمين. وقد تصدى له الشيخ جمال الدين الأفغاني، وقد أقواله، وإجابه إلى التراجع، حتى قال (رينان) بعد أن قابل (الأفغاني) إنه شعر كأنه كان يجلس مع ابن سينا أو ابن رشد.

وفي خضم الاندفاع الأوروبي نحو مهاجمة الإسلام، كتب كثيرون من المشرقين عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان لا بد من وجود مفكر باحث مسلم للرد على مقتنيات هؤلاء القوم. وكان هذا المفكر المسلم هو (الدكتور محمد حسين هيكل) صاحب كتاب (حياة محمد صلى الله عليه وسلم) الذي يعتبر أهم كتاب علمي في السيرة الشريفة صدر في عصرنا. وقد رجع الدكتور إلى الكتب الإنجليزية والفرنسية المشهورة التي ألّفَت عن (حياة محمد صلى الله عليه وسلم) وأهمها ما كتبه واشنطن أرفنج وسير وليام موير ومرجليوث وتوماس كارليل وإميل درمتجم والاب لامانس الفرنسي، كما رجع إلى ما كتبه دائرة المعارف البريطانية ومعجم لاروس الفرنسي، ولكنه لم يرجع إلى كتب المشرقين الألمان مع أهميتها في الموضوع وأهمها كتاب محمد للمشتري الألماني الشهير نولدكه، لأنه لم يتيسر للدكتور هيكل معرفة اللغة الألمانية، وهذا من نواحي النقص في كتاب حياة

محمد. لكن هذا النقص لا يقلل من قيمة الكتاب، فإن آراء المشرقين الأوروبيين والأميركيين تكاد تكون متفقة، وقد تعرض لها الدكتور هيكل في قوة حجة، ونصاعة بيان. لأنه كان من رجال القانون وأصحاب الفلسفة والمنطق في وقت واحد، كما كان كاتباً راسخاً القدم، مشرق القلب. وكانت معرفته بمصادر السيرة في اللغة العربية والفقه كافية. ولذلك جاء كتابه كما وصفه الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر:

«وقد وفق الدكتور في تنسيق الحوادث وربط بعضها ببعض، فجاء كتابه عذماً متصداً وسلسلة متينة بحكمة الخلفاء. وقد أبدع في بيان الأسباب والأغراض والحكم بياناً قوياً واضحاً يجعل القارئ مطمئن النفس، رخي القلب يستمتع بما يقرأ ويطلع صدره بره اليقين، فيملك عليه أمره، ويجبره على متابعة القراءة حتى يوفي على آخر ما بيده من البحث».

كان الدكتور محمد حسين هيكل هو الذي فتح الباب للكتاب الجديدة حول السيرة الشريفة، لأن الكتاب المحدثين الذين سبقوه ومنهم الشيخ محمد الحصري كما أشرنا، ومنهم أيضاً الشيخ رشيد رضا صاحب كتاب (محمد المثل الكامل) كانوا لا يتعدون كثيراً عن الكتابات القديمة مثل سيرة ابن هشام وطبقات ابن سعد وتاريخ ابن جرير الطبري وأمثالها من مصادر السيرة.

على هامش السيرة

ثم جاء الدكتور طه حسين ليكتب السيرة بأسلوب آخر غير أسلوب صاحبه الدكتور هيكل واستخدم طه حسين براعته الأدبية وأسلوبه الشيق في كتابه (على هامش السيرة) وبذلك خرج من الأسلوب العلمي إلى الأسلوب الأدبي، فلفت الأنظار وجذب الأفكار، ويتر لأجيال الجديدة من الشباب معرفة السيرة الشريفة في سهولة ويسر مما يتناسب روح العصر.

إن كتاب (على هامش السيرة) من أمتع الكتب التي أملاها طه حسين، وقد اختزن قبل إملائه الأحداث التاريخية، وعصها وحققها ثم صدر الكتاب البديع.

وكانت طريقة طه حسين ومنهجه في كتابة السيرة الشريفة تعتمد على أمرين:

١ - المعلومات التاريخية الصادقة المحققة، وهذا هو منهج طه حسين في الدراسة، وكان يملك قدرة عظيمة ساهرة من هذه الناحية، فيطابق بين الروايات المختلفة حول الخبر الواحد حتى يصل إلى الحق والصدق مما يرضي عقله وتفكيره وبقيته... وأنت ترى ذلك في كل الأحداث التي استخدمها في كتابه (على هامش السيرة)، فهو لا يستخدم خياله في وقائع التاريخ، ولا يحاول أن يفعل ذلك حتى فيما سبق من أحداث قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم.

٢ - إفراغ الحدث التاريخي في أسلوب أدبي جديد يضفي

* طه حسين *

* محمد حسين هيكل *





★ الشيخ الرامحي ★



★ عبد الرحمن الحرابي ★

على الحدث أضواء من نور الكلمة وبراعة اللفظ.

وكان طه حسين يتأثر بالأحداث المرتبطة بالسيرة وما سبقها وما دار حولها تأثيراً عاطفياً شديداً ، وفي نفس الوقت يرتبط أشد ارتباط بجوهر العقيدة النقية ، وأحب أن أذكر أن طه حسين كان من أوائل كتّاب الإسلام في مصر ممن كتبوا عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودافعوا عن دعوته دفاعاً علمياً يستند إلى جوهر القرآن الكريم ومبادئ الإسلام ، وعندما حج طه حسين وكان معه الشيخ أمين الحنولي ، استلم الحجير الأسود وبكى بكي من معه هو يشق بصوته الشقم :
— الله .. الله .. لا إله إلا الله محمد رسول الله .

الوعد الحق

وبعد أن طاف (طه حسين) وسعى ، لم تريح خياله السيرة النبوية الشريفة وما حولها من أحداث فالتفت كتابه : **الوعد الحق** ، وتدور أحداثه في نطاق مكة الشرقية عندما كان المشركون يعذبون المسلمين عذاباً شديداً ، وكان المسلمون يقاومون العذاب بالعقيدة ، وترتفع أصواتهم بالكلمة التي مزقت قلوب الكافرين :
— أحد .. أحد .. أحد .

إن كتاب (**الوعد الحق**) يتصل بالسيرة الشريفة من قريب ، فقد كان هؤلاء المستضعفون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين كان يشتري حريتهم صحابة الرسول وعلى رأسهم الصديق أبو بكر من أشرف المجاهدين في سبيل الله ، وقد أعطاهم الله وأعطى أمّة محمد صلوات الله وسلامه عليه الوعد الحق بظهور الإسلام وانتصار الإسلام .
ومدة أربعة عشر عاماً محيرة وسيرة نبوية لا تسقط في زينة شعور عبادة ، وصور انتصار العقيدة على أعداء العقيدة تصويراً يمتد عبر الزمان ويحطم الطغيان في كل مكان .

كانت كلمة محمد صلى الله عليه وسلم إلى آل ياسر :

— « صبراً .. صبراً آل ياسر موعدكم الجنة » .

أعظم وأشرف كلمة قيلت في معارك الدفاع عن دعوات المؤمنين ضد الكافرين .

وإنّ تسمع صداها في أفغانستان بعد أربعة عشر قرناً من الزمان .. وهي الكلمة التي ردها عمار بن ياسر :

— أحد .. أحد .. أحد .

مسرحة للحكيم

ثم أسرت هذه الأفكار كاتب المسرح الأستاذ **توفيق الحكيم** فلم يستطع الفكّك منها ، أو البعد عنها ، فأشرق فكره ، ولغ قلمه ، بعد أن وجد نفسه داخل هذه الأضواء التي تشمّد النور من نوز محمد صلى الله عليه وسلم .

وكتب **توفيق الحكيم** مسرحية (محمد صلى الله عليه وسلم) كتابية

مقروءة ، لا يجوز تمثيلها على خشبة المسرح .

وكان الحكيم في تأليفه لهذه المسرحية يمثل المجاهد فكراً منسجماً بين كتّاب المسلمين في عصرنا ، فقد كانت المحاولات مستمرة لإعادة كتابة السيرة الشريفة بأقلام كبار الكتّاب .

وتعتبر مسرحية الحكيم أهم كتاباته المسرحية لسبب واحد هو أن مؤلفها لم يلم بتقليدها على خشبة المسرح ، بل إنها المسرحية الوحيدة التي كتبها **توفيق الحكيم** هدف غير تمثيلها مسرحياً .

ولكن ... لماذا كتب الحكيم مسرحية لا تمثل على خشبة

المسرح ؟

اعتقد أن **توفيق الحكيم** أراد في تلك الفترة التعبير عن قدرته الفنية بالأسلوب المسرحي على تصوير السيرة ، وهو إحساس إسلامي متفتح مشرق ، ظهر واضحاً بعد سنوات عندما فاجأنا الحكيم بتلخيصه لتفسير القرطبي للقرآن الكريم ، ولذلك فإن اتجاهات الحكيم الإسلامية يمكن تفسيرها على هدي النظرة الشاملة التي تضم كتّاب الإسلام في عللنا المتضمنة .. من منطلق تركيزه المسالي .. بلغة .. حذر السحر .. الشريفة كما أوضحت .

إن الكتّاب والمفكرين المسلمين لم ينفصلوا عن الفكرة الإسلامية المعاصرة وهي : تجسيد الفكر في الإسلام .

وكانت فكرة إعادة كتابة السيرة الشريفة في مقدمة هذه الاتجاهات التجديدية . ومن الملاحظ في تاريخ الفكر الإسلامي المعاصر أنه كان يتجه إلى الأساليب الراسخين في الإسلام وهما :

● القرآن الكريم .

● السنة النبوية الشريفة .

وقد ظهر ذلك واضحاً منذ دعوة محمد بن عبد الوهاب وما تلاها من دعوات عند الشيخين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ، أو في دعوة السنوسية في المغرب الإسلامي ، ودعوة المهديّة في السودان ، ودعوة عبد الحميد بن باديس في الجزائر ، وكلها دعوات متلاحقة في العودة إلى منابع الإسلام في الكتاب والسنة .

ثم جاء عباس محمود العقاد فبدأ كتاباته الإسلامية أثناء الحرب العالمية الثانية عندما هاجر من القاهرة إلى الخرطوم وألّف أول كتب العقديات الإسلامية ، وهو كتاب : **عبقريّة عمر** .

طفولته ، ومنهم من تحدث عن (محمد القائد) في حياته العسكرية ، وآخرون كثيرون تحدثوا عن الهدي النبوي في مختلف مظاهر حياته صلى الله عليه وسلم ؟

هل انتهى المطاف ؟

إن الأجيال الجديدة من المسلمون الذين تحدثت ثقافتهم ، وتعددت مصادر علمهم وتعلمهم ، وهم أصحاب لغات متعددة ، أصبحوا في حاجة إلى صياغة أو صياغات جديدة للسيرة النبوية الشريفة .

والمسلمون الذين يتحدثون بالإنجليزية أو الفرنسية أو الأوروسية أو الصينية إلى غير ذلك من لغات يجدون بين أيديهم ترجمات لمعالي القرآن الكريم ، لكنهم لا يجدون كتاباً عصرياً محمداً عن سيرة نبي الإسلام ، ومن حقهم أن يجدوا هذا الكتاب الذي يحسدونهم عن نبيهم في سر ووضوح منذ ولادته حتى وفاته عليه الصلاة والسلام .

لقد أصبح القارئ في عالمنا المعاصر على ثلاث طبقات أو درجات :

- الكبار .
- الشباب .
- الأطفال .

وأنت ترى أصحاب الذبائح الأخرى يتسوق بهذه التوعيات من الكتب لتبث دعواتهم ، وإفهام مريدتهم بأصول عقائدهم وما حولها من آراء .

هل يجد المسلم في تيجيريا أو اليابان كتاباً مبسطاً عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟

بل .. هل يجد الشاب العربي المسلم كتاباً مبسطاً في مائة صفحة عن السيرة الشريفة ؟ .. هل يجد الطفل العربي المسلم كتاباً في عشرين صفحة عن سيرة محمد صلى الله عليه وسلم ؟

لقد كنا في طفولتنا نحفظ في الكتاتيب السب الشريف **محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن عبد مناف** ، وكنا نعرف قداسه النبوية الشريفة ولا نعرف شيئاً بعد ذلك حتى نكبر وتعلم ، ولكن طفل اليوم يجب أن يتعلم قبل أن يكبر .. وشباب اليوم يجب أن يعرفوا سيرة نبيهم قبل أن يستطيع بعضهم قراءة كتب **هيكل وطه حسين والحكيم** والعقاد وغيرهم إذا تيسر لبعضهم قراءة بعض هذه الكتب .

إن حياتنا اليوم ، وما نتعرض له دار الإسلام من هجرات وغزوات تحم علينا تأصيل العقيدة الإسلامية في نفوس الكبار والشباب والأطفال ، وليس عندنا أشرف من إعادة كتابة السيرة النبوية الشريفة هؤلاء جميعاً بكل لغة مقروءة في كتاب .

إنني لم أكتب هذه السطور لأعرف القارئ بما كان ، ولكن لأدعوه إلى ما يجب أن يكون ، ونحن نعيش الآن في نهضة إسلامية ، فكيف لا يكون عندنا هذه الكتب الجديدة في سيرة محمد صلى الله عليه وسلم ؟

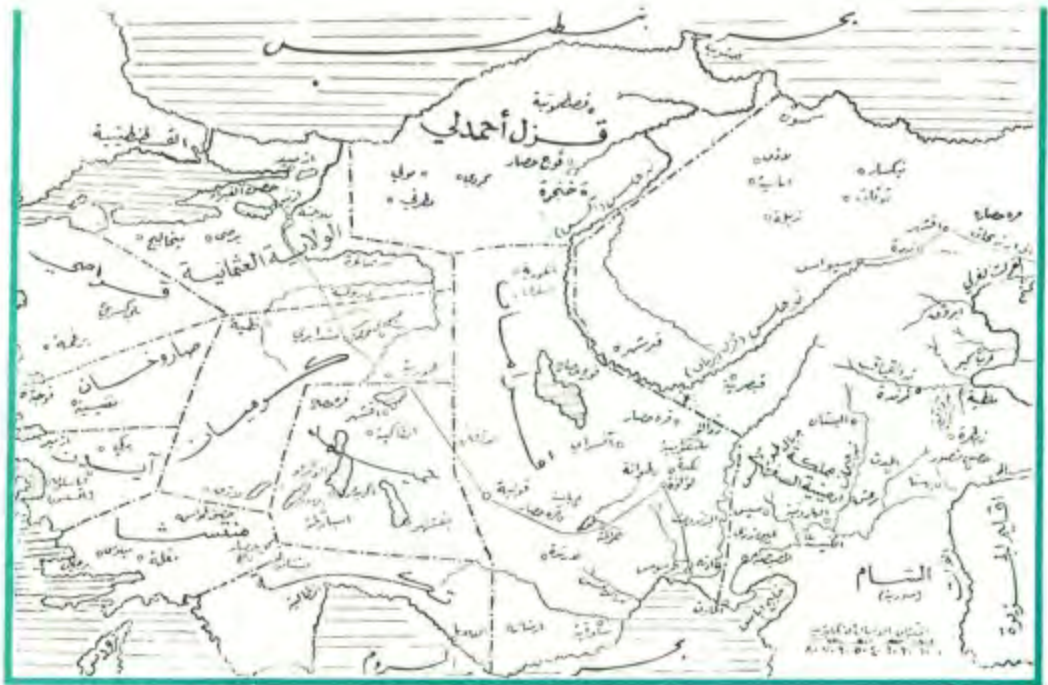
ثم كان كتابه **(عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم)** على نفس المنهج الذي اتخذه لنفسه ، وهو ما سماه مفتاح الشخصية ، وكانت شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام مفتاحها الإنسانية الكاملة الشاملة ، وقد سبقه إلى ذلك الأستاذ **محمد أحمد جاد المولى** في كتابه **(محمد المثل الكامل)** من ناحية فكرة الإنسانية الكاملة ، ولكن **جاد المولى** الذي كان كبيراً لفتني اللغة العربية في وزارة المعارف المصرية ، لم يكن في قدرة العقاد الفكرية والتحليلية مع أنه كان سابقاً للعقاد في الزمن وفي فكرة **(محمد المثل الكامل)** ... والثالثة عند الكاتبين مثالية بشرية ، تعرف أن محمداً صلى الله عليه وسلم بشر رسول ، ولا خلاف حول هذه النظرة منذ نزل الوحي على النبي صلوات الله وسلامه عليه وحتى نهاية الزمان ، لأن هذا الوصف للنبي إنما هو من أوصاف القرآن الكريم لحاتم المرسلين .

ولذلك فإن كتابة السيرة بأي أسلوب إنما تعتمد على المصادر الأساسية وهي القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ثم كتب السيرة التي ذكرنا أهمها ، وقد جمعها **العقاد** في إطار واحد داخل فكرة الإنسان الكامل وهي فكرة البشرية الثالثة العبدية عن الألوهية أو التالية ، وصنّفك أصبح كتاب **(عبقرية محمد)** من كتب السيرة الشريفة في ثوب عصري جديد ، يتميز بالتحليل العقلي المفكر الذي يصل بالعقل إلى اليقين ، وهو يلتقي مع العائفة من معاصره : **هيكل وطه حسين والحكيم** في الهدف مع اختلاف طرائقهم وطرقهم في الأسلوب .

الدكتور هيكل له منهج علمي منطقي في عرض السيرة الشريفة ، **والدكتور طه حسين** له نهج أدبي يبني يعتمد على المصادر الصحيحة للسيرة ، **وتوفيق الحكيم** له أسلوب مسرحي حواري يعرض من خلاله ثغرات باهرة من السيرة ، **والعقاد** له أسلوب تحليلي يعتمد على نقطة ارتكاز واحدة يدور من حولها كل ما يقدمه من تعريف بشخصية الرسول البشر صلوات الله وسلامه عليه .

وتبقى بعد ذلك قضية ..

هل انتهى المطاف عند هؤلاء الكتاب أو غيرهم ممن تناولوا بعض جوانب السيرة .. ومنهم من تحدث عن محمد صلى الله عليه وسلم في



★ بلاد الروم ★

فاتح شطر بلاد الروم

نسبه وإيامه الأولى

ومستعيد فتح
شطر إرمينية

يقام : اللواء الركن محمود شيت خطاب

هو محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي^(١).
أبوه : أمير المؤمنين مروان بن الحكم ، وأنه من أنهار الأولاد^(٢) ، ويريدون بتعبير : (أمهات الأولاد) ، الجوازي والإسماء اللواتي ولدت كمواهب ذكراً.

نشأ محمد وترعرع في ظروف قاسية شديدة أيام أبيه مروان ، لكثرة الفتن والقلاقل التي عشت أرجاء الدولة ، فقاتل أبوه ليستعيد الأمن والاستقرار ، ويقضي على الفتن والقلاقل ، فبات قبل أن يحقق جميع



أعداده . وتولى الخلافة بعده **عبد الملك بن مروان** أخو محمد ، فواصل الكفاح الدائب لاستعادة الوحدة الشاملة إلى الدولة الإسلامية ، حتى تحقق له ما أراد سنة ثلاث وسبعين هجرية^(١٢) ، (٦٩٤م) ، وكان محمد نصيب في كفاح أبيه مروان ، وأخيه عبد الملك في القضاء على الفوضى ، واستعادة النظام ، وإقرار الوحدة الشاملة كما سيرة ذكره وشيكاً .

وكانت ظروف والده القاسية وظروف أخيه عبد الملك الصعبة حتى سنة الوحدة الشاملة ، شعين على التعلم النظري والتدريب العملي بالنسبة لـ محمد الذي عاش تلك الأحداث وعانها واكتوى بها .

وتربى تربية أبناء الخلفاء ، فولده مروان خليفة ، وأخوه عبد الملك بن مروان خليفة ، فلا بد أنه تلقى علوم القرآن الكريم وأحدث الشريف وعلوم الدين والتاريخ واللغة والأدب على جهازة العلماء في أيامه ، كما تلقى العلوم العسكرية النظرية والعملية على المبرزين في تلك العلوم .

كما مارس الأعمال الإدارية والسياسية عن كثب ، وشهد كيف تعالج أمور الدولة المختلفة ، وتمضى القرارات ، وتصدر الأوامر ، ويجري تنفيذها في محيط الخلفاء والأمراء والعادة في أعلى المستويات السياسية والعسكرية والإدارية .

ومن الواضح أنه أصبح موضع ثقة والده ، فسيّر إلى جزيرة **ابن عمر** قبل موته سنة خمس وستين هجرية^(١٣) ، (٦٨٤م) . قبل سير مروان إلى مصر^(١٤) ، وكانت الجزيرة حينذاك تحت حكم **عبد الله بن الزبير**^(١٥) ، فحجج محمد في مهمته لحاجاً محدوداً في السيطرة على الجزيرة .

وأصبحت بعد حين تحت حكم الدولة الأموية ، وهذا دليل على أنه أصبح من أبرز أبناء مروان بن الحكم ، وأن العلوم النظرية والعملية والتدريب النظري والعمل التي تعلمها ، وتدريب عليها في أيامه الأولى أثرت كفايته ، فأصبح قادراً على تحمل المسؤوليات السياسية والإدارية ، والعسكرية ، وهو في ريعان الشباب .

لقد كانت أيامه الأولى تعلمياً وتدريباً وتجارب عملية لشابه أجداده من إخوته : **عبد الملك بن مروان**^(١٦) ، و**عبد العزيز بن مروان**^(١٧) وأخوته الآخرين .

توطيد الأمن الداخلي

١ - إخماد ثورة ابن الزبير :

عفا الشام سنة إحدى وسبعين هجرية (٦٩٠م) ، لعبد الملك بن

مروان بعد قتل **عمرو بن سعيد الأشتق** سنة سبع وستين هجرية^(١٨) ، (٦٨٨م) فوضع عبد الملك السيف وقتل من خلفه ، فلما لم يسق مخالف في الشام ، أجمع السير إلى **مصعب بن الزبير** في العراق ، وكان مصعب على العراق لأخيه **عبد الله بن الزبير** ، واستشار عبد الملك في سيره إلى العراق أصحابه ، فأشار **عنه يحيى بن الحكم** : بأن يفتح بالشام ، ويترك ابن الزبير والعراق ، وقال بعضهم إن العام جدد ، وقد غزوت ستين فلم تنظر ، فأمر **عنه** هذا ، فقال عبد الملك : « الشام بلد قليل المال ولا آمن نقاده ، وقد كتب كثير من أشراق العراق يدعوني إليهم » ، وقال أخوه **محمد بن مروان** : « الرأي أن تطلب حقل ونسير إلى العراق فإني أرجو أن الله يصرك » .

وسار عبد الملك إلى العراق ، وعلى مقدمته أخوه **محمد بن مروان** ، و**خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد** ، فبرزوا **بقرقيسيا**^(١٩) ، فصالح أميرها الذي بعث الله مع عبد الملك .

وسار عبد الملك حتى لزل (هشكن)^(٢٠) ، قريبا من **مُعسكر** مصعب ، وكان بين المعسكرين ثلاثة فراسخ ويقال فرسخان . وكتب عبد الملك إلى أهل العراق من كتبه ومن لم يكتبه ، وأمرهم بالنصيب والأموال . فعزم كثير منهم على التفرغ لمصعب بن الزبير .

ونادى العسكران ، فقدم عبد الملك أخاه **محمد** ، وقدم **مصعب إبراهيم بن الأشتر** . والتقا فتناوش القريظان ، فقتل صاحب نسوة محمد ، وجعل مصعب يمد إبراهيم ، فأزال **محمد** عن موقفه ، ولكنه استعاد مواقعه ثانية .

واشتد القتال فقتل **قسلم بن عمرو الباهلي** والد **قتيبة بن قسلم**^(٢١) ، وهو من أصحاب مصعب .

ولمدم مصعب إبراهيم بن الأشتر **بعتاب بن ورقاء** ، فساء ذلك إبراهيم وقال : « قد قلت له لا تخدني بعثاب وضرباته ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ! » فاهزم عتاب بالناس وكان قد كاتب عبد الملك وسأجه ، فلما انهزم صرّ إبراهيم بن الأشتر قتل ومحل رأسه إلى عبد الملك . وتقدم أهل الشام ، فقاتلهم مصعب ، ولكن رجاله عدلوه ، فكان يقول لقائده واحداً بعد واحد : تقدم يا فلان ! فلا يبلد أمره ويعتذر عن التقدم بأعداء وأهبة .

وقفا **محمد بن مروان بن مصعب** وناداه : أنا ابن عمك **محمد بن مروان** . فأقبل إمام أمير المؤمنين ، فأجابه مصعب : « أمير المؤمنين بمكة » يعني أخاه **عبد الله بن الزبير** . فقال **محمد** : « إن القوم خذلقوك » ، فأمر مصعب ما عرض عليه .

ونادى **محمد بن مروان عيسى بن مصعب بن الزبير** ، فقال مصعب لأبيه : « انظر ما يريد منك » فدنا منه ، فقال له : « إني لك

ولأبيك ناصح ، ولكنا الأمان ، فرجع إلى أبيه فأخبره ، فقال : « إلى أين القوم يقول لك ، فإن أصبحت أن تأتيهم فاقبل » . فقال : « لا نتحدث لساء قريش إلى جملتك ودرجت بنفسك عنك ! » . فقال : « فادعهم إلى عمك بمكة فأخبره بما صنع أهل العراق ودعني فإني مقتول » . فقال : « لا أخبر عنك قريشاً أبداً ، ولكن يا أبا ! الحق يسألهم عن الطاعة أو الحق بأمر المؤمنين » . فقال مصعب : « لا نتحدث قريش أبى فروت » .

ولم يبق مع مصعب ممن معه يطعم أسره ويتغذاه ، فقال لأبيه عيسى : « تقدم إذن أخشيتك » فتقدم معه ناس ، فقتل وقتلوا ، وجاء رجل من أهل الشام ليحدث رأس عيسى ، فحمل عليه مصعب وقتله ، ثم شد على الناس فانتفروا له ، ثم عاد ثانية فانتفروا له .

وبذل عبد الملك لمصعب الأمان قائلاً : « إنه يعز علي أن تقتل » فاقبل أماني ولك حكت في المال والعمل فاني ، وجعل يضارب ، فقال عبد الملك : « هذا والله كما قال القتال » .

ومذبح مكة الكعبة ليؤله
لا تملحاً قريشاً ولا تملحاً
ودخل مصعب شراقه ، فتحط وخرج فقتل ، وترك الناس مصعباً وعذله ، حتى بقي في سبعة نفر .

ولكن مصعب بالرمي ، وكثرت الخراجات فيه ، ولكنه بقي يقتل حتى قُتل^(١١٠) بطلاً عليه رحمة الله .
وكان قتل مصعب بدير الخليل عند نهر (دجيل) سنة اثنين وسبعين هجرية^(١١١) ، (٦٩١ م) .

لقد كانت معركة هائلة ، جازا مصعباً بعض جيشه ، والتحق قسم من قاده عبد الملك بن مروان لأنه كتب إليهم يعلمهم ويصلحهم حتى أنفسهم^(١١٢) ، وكان ذلك هو سبب انتصار عبد الملك على مصعب .

وتكبد الجانبان في هذه المعركة الهائلة آلاف القتلى والجرحى من العرب المسلمين والفاتحين الذين كانت سيوفهم على عدوهم المشتركين والكفار في البلاد الفتوحة ، فأصبحت سيوفهم عليهم في قلب البلاد العربية ، وفي قواعدها الرئيسية التي تنطلق منها الفاتحون ويعودون إليها ثانية بفتح جديد .

وكان من نتيجة هذا الاقتتال بين الإخوة ، أن الروم انتهزوا هذه الفرصة السالفة فوثبوا على المسلمين ، فصالح عبد الملك ملك الروم على أن يؤدي إليه كل جمعة ألف دينار خوفاً منه على المسلمين^(١١٣) .

وهكذا أصبح الطالب مطبوعاً ، والرئيس مرؤوساً ، والسيد عبداً ، نتيجة للاقتتال وتفارق الكلمة وغياب الوحدة ، وخسر المسلمون كثيراً من قادة الفتح وجنوده .

وكان محمد بن مروان الرجل الثاني في هذه المعركة بعد عبد الملك بن مروان ، وكان له فضل كبير في إخراج النصر .

٢ - إخماد ثورة ابن الأشعث :

كان من أهم واجبات الحجاج بن يوسف الثقفي بعد أن تولى (العراق) : « العراق والشرق الإسلامي سنة خمس وسبعين هجرية^(١١٤) » (٦٩٤ م) ، هو القضاء على الفتنة الداخلية في العراق وسلاسل الشرق الإسلامي الفتوحة ، واستعادة البلاد التي انتقلت على الدولة ، وفتح بلاد جديدة .

ومضى الحجاج بفد هذه الواجبات بحزم وعزم وإقدام وإصرار ، وكان (وتبيل) مصاعاً يؤدي الخراج وربما امتنع منه^(١١٥) ، فلما زاد الحجاج أن يصق الحساب جذرياً بين الدولة وبين (وتبيل) ، فاستمر واني (سجستان)^(١١٦) ، سنة ثمان وسبعين هجرية (٦٩٨ م) أن يهاجمه ولكنه اندحر أمام قوات (وتبيل) متسكداً خسائر فادحة في الأموال والأرواح^(١١٧) .

ولم يكن الحجاج من القادة الذين يستكون على اندحار قوة من قواته في إحدى جهات القتال ، لذلك قرر أن يلقن (وتبيل) في عفر داره درساً لا ينساه أبداً ، فاستألف عبد الملك بن مروان في تسير الجيش إلى (وتبيل) فأذن له .

وعكف الحجاج على تجهيز الجيش ، فجعل على أهل (الكوفة) عشرين ألفاً ، وعلى أهل (البصرة) عشرين ألفاً ، وحشد في ذلك حشداً لا هوادة فيه ، وأعطى الناس أعطياتهم كاملة ، وأتفق فيهم اتفق سوى أعطياتهم ، والتجدهم بأخلاق الرأفة والسلاح الكامل ، وأعطى كل رجل يوصف بشجاعة وغناء ، وأثر على الجيش بعد الفراغ من إعدادهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث^(١١٨) .

وسار عبد الرحمن على رأس جيشه ، وأحرز نصراً مؤزراً على (وتبيل) فكتب إلى الحجاج بما فتح الله على المسلمين وبما يريد أن يفعل . وهناك روايات أخرى عن إرسال عبد الرحمن ، لا مكان لها هنا ، لأنها خارجة عن نطاق سيرة محمد بن مروان .

وكان عبد الرحمن يرى أن يترك المسلمين التوفيق في بلاد (وتبيل) حتى يعرفوا طريقها ويحبوا خراجها ، وكتب بمحتمل خطه هناء إلى الحجاج .

ولكن الخجاج رفض خطة ابن الأشعث، وأمره بالوغول في بلاد (زبيل) وهدم حصونهم وقتل مقاتليهم وسي ذرائعهم.

ودعا ابن الأشعث الناس وقال لهم: «أيها الناس! إني لكم ناصح، ولصالحكم حب ولكم في كل ما يحيط بكم نعمة ناضر، وقد كان رأيي فيها يبي وبين عدوي بما رغبه ذوو أحلامكم وأولو التجرة منكم، وكنت بذلك إلى أميركم الخجاج قاتلي كتبه يعجزون ويضعفون ويأثمون بتعجيل الوغول بكم إلى أرض العدو، وهي البلاد التي هلك فيها إخوانكم بالأمس، وإنا أنا رجل منكم، أمني إذا مضيت وآي إذا أيم».

ونار إليه الناس وقالوا: بل شأنا على عدو الله ولا نسمع له ولا نطيع!!

ووثب الناس إلى ابن الأشعث فباعوه على خلع الخجاج ونفيه من أرض العراق وعلى التصرة له، ولم يذكر عبد الملك بن مروان بشيء^(١٧٧).

وعاد عبد الرحمن بن الأشعث إلى العراق من معه، فلما بلغ (فارس)^(١٧٨) اجتمع الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: إذا خلعتنا الخجاج عامل عبد الملك، فقد خلعتنا عبد الملك.

واجتمعوا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وخلعوا عبد الملك ابن مروان إلا قليلاً منهم، وباعوه عبد الرحمن وكانت نفس البيعة «تابع على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وعلى جهاد أهل الضلالة وحملهم وجهاد المؤمنين».

ولما بلغ الخجاج خلعهم، كتب إلى عبد الملك يخبر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ويسأله أن يُعجل بعثة أخوته إليه، ثم سار الخجاج حتى نزل (البصرة).

وجهر عبد الملك الجند إلى الخجاج، قسار الخجاج من (البصرة) إلى (تستر)^(١٧٩)، وقدم بين يديه مقلعة إلى (دجيل)^(١٨٠)، فلبى عنده عيالاً لعبد الرحمن، فأنهم أصحاب الخجاج بعد قتال شديد، وكان ذلك يوم الأضحي سنة إحدى ومائتين هجرية (٧٠٠م).

فلما أتى خبر الفزيمة الخجاج، رجع إلى (البصرة)، ثم أقبل حتى نزل (الزواوية)^(١٨١)، وأخذ البصرة لأهل العراق، وفرق في الناس مئة وخمسين ألف ألف درهم.

وأقبل عبد الرحمن حتى نزل البصرة، فبايعه جميع أهلها: قريظها وكهولها على قتال الخجاج ومن معه ومن أهل الشام^(١٨٢).

وخسر عبد الرحمن معركة (الزواوية)، فقصد (الكوفة) واستقر فيها، فاجتمع إليه الناس، وقصده أهل البصرة.

وسار الخجاج من البصرة إلى الكوفة لقتال عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، فنزل (دير قرة)^(١٨٣)، وخرج عبد الرحمن من الكوفة فنزل (قبر السجّاج)^(١٨٤).

ونفاقم أمر عبد الرحمن واستشرى خطره، فقال عبد الملك بن مروان

وأهل الشام: «إن كان يُرضي أهل العراق نزاع الخجاج عنهم نزعه، فإن عزله ليس من حريم، وتحقق بذلك الدعاء»، فبعث عبد الملك ابنه عبد الله^(١٨٥)، وأخاه محمد بن مروان بن الحكم، وكان محمد يرضى (الموصل)، إلى الخجاج في جند كثيف، وأمرهما أن يعرضا على أهل العراق عزل الخجاج وأن يجرى عليهم أعطيتهم كما شجروا على أهل الشام، وأن يترك عبد الرحمن أي بلد شاء من بلد العراق فإذا نزلته كان واليه ما دام حياً وعبد الملك خليفة، فإن أجاب أهل العراق إلى ذلك عزلا الخجاج عنها وصار محمد بن مروان أمير العراق، وإن أبى أهل العراق قبول ذلك فالخجاج أمير الجماعة وولي القتال، ومحمد بن مروان، وعبد الله بن عبد الملك في طاعته.

وحاول الخجاج عيثاً أن يعيد عبد الملك بن مروان النظر ثانية في عزله، فأبى عبد الملك إلا عرض عزل الخجاج على أهل العراق! وخرج عبد الله بن عبد الملك إلى جموع أهل العراق وعلى رأسهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فقال: «يا أهل العراق! أنا ابن أمير المؤمنين، وهو يعطيكم كذا وكذا».

وخرج محمد بن مروان فقال: «أنا رسول أمير المؤمنين، وهو يعرض عليكم كذا وكذا».

فقال أهل العراق: ترجع العتبة! واجتمع أهل العراق عند ابن الأشعث، فقال هم: «قد أعطينا أمراً، اتواكم اليوم إياه فرصة، وإنكم اليوم على النصف، فإن كانوا اعتدوا عليكم يوم (الزواوية)، فاقموا لحثون عليهم اليوم (تستر)، فاقبلوا ما عرض عليكم، وأنتم أعزاء أقوىاء لغرم هم لكم هاليون وأنتم هم منتفصون، فوالله لا زلتم عليهم مجزاء وعندهم أعزاء أبداً ما بقيتم إن بقيتم».

ووثب الناس من كل جانب، فقالوا: إن الله قد أهلكهم فأصبحوا في الضنك والجماعة والفلة والدلة، ونحن ذوو العدد الكثير والشعر الزخيفس والمادة الغريبة، لا والله لا نقبل!!

وعاد أهل العراق خلع عبد الملك ثانية، فقال عبد الله بن عبد الملك، ومحمد بن مروان للخجاج: «شأنك بمسكوك وجندك، وأعمل برأيتك، فإنا قد أمرنا أن نسمع لك ونطيع»، فقال: «قد قلت إنه لا يزد هذا الأمر غيركم»، فكان يسلّم عليه بالإمرة وسلم عليها بالإمرة أيضاً.

وجعل كل من الخجاج وابن الأشعث قوته على تعبئة: ميمنة، وميسرة، ومقلعة، ومؤخرة، وساقة، وجعل على كل تشكيل من تشكيلات القتال قائداً مسؤولاً، وجعل ابن الأشعث على القزاء - وهم عليه المسلمون وقادة الفكر الإسلامي والفقه والعلماء - قائداً.

وأخذ الخليلان يتزاحمان كل يوم ويقتلان، وأهل العراق تأتيم موادهم القوية من الكوفة وسوادها، وهم في خصب، وأهل الشام في

ثلاث وثلاثين هجيرة (٧٠٢م). وكان قد قدم العراق سنة اثنين وثلاثين هجيرة (٧٠١م).

وقد أردت من إبراز أهم معالم هذه الثورة، إظهار أثر محمد بن مروان فيها وتأثيرها فيه.

وهذه من تسلط الأسياف على أبرز معالم الاقتتال بين الإخوة في هذه الثورة، هو إظهار أهمية الواجب الذي حمله محمد بن مروان في تلك الأيام العصيبة التي كادت تعصف بالدولة عصفاً.

إن محمداً لم يكن قائداً في المعارك التي خاضها الخجاج، ولكن الخجاج لم يكن يغفل عمداً في مجال الرأي ورسم الخطط، ودعم قوات الخجاج مادياً ومعنوياً.

كما **الدعم المادي**، فمن الواضح أن عبد الملك حشد كل طاقاته المادية لإحراز النصر، وقد كان للبال - وهو عصب الحرب - أثر حاسم في إحراز هذا النصر، لأن أكثر المقتتلين من الجانبين كان يتم بحبه أكثر مما يتم بقلبه.

أما **الدعم المعنوي**، فوجد أئح الخليفة وأبنة بين المقتتلين يؤثر في المعنويات تأثيراً كبيراً: يرفع معنويات الخجاج وقواته، ويسرع معنويات ابن الأشعث وجناله.

وكما أثر محمد بن مروان في المعارك وتسلحها، فقد أثرت فيه شخصياً: أغتت تجاربه في القيادة وإدارة القتال، وفي معركة الشريعة البشرية للمقتتلين في أثناء القتال، وفي معرفة طواقمهم وكفائاتهم، كما وضعت معلوماته العسكرية في محك التطبيق العملي، فعملته بعش في جو المعارك بما فيها من صعوبات ومشاق وماس، وهو ما نطلق عليه اليوم في المصطلحات العسكرية الحديثة: **تطعيم المعركة**.

في ميدان الجهاد

لما كانت ثورة عبد الله بن الزبير، انتفضت إرمينية^(١٣٠)، لأن الإخوة الفاعين شغلوا بالاقتتال بينهم، فانقضت أكثر البلاد المفتوحة.

وفي سنة ثلاث وسبعين هجيرة (٦٩٢م) استعمل عبد الملك بن مروان أخاه محمداً على الجزيرة (جزيرة ابن عمر) وإرمينية، فغزا منها وأثخن في العدو^(١٣١)، وهزم الروم^(١٣٢) وقتل وصى وغلب على البلاد^(١٣٣).

وفي سنة أربع وسبعين هجيرة (٦٩٣م)، غزا الصائفة الروم فبلغ (الدولية)^(١٣٤)، وعاد منها منتصراً.

وفي سنة خمس وسبعين هجيرة (٦٩٤م)، غزا الصائفة الروم، فخرجت الروم في جمادى الأولى من هذه السنة من قبل (مصرعش) إلى الأعمق^(١٣٥)، فالتق المسلمون بعش مصرعش بالروم، فالتقتا قتالاً شديداً، فهزمت الروم واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون^(١٣٦).

وفي سنة ست وسبعين هجيرة (٦٩٥م)، غزا الروم من ناحية (مططية)^(١٣٧).

وفي سنة اثنين وثلاثين هجيرة (٧٠١م)، غزا إرمينية فهزمهم،



* خريطة إرمينية *

فمنك شديد، قد غلبت عليهم الأسعار، ولقد دعمت اللحم - كاهم في حصار -

وكان الغزاة أشد الناس شأناً واستيلاً من أصحاب ابن الأشعث، وكانوا قد شكلوا كتية منهم هي: **كتيبة القراء**، فعلى الخجاج لكتيبة القراء ثلاث كتائب، فحملوا على كتيبة القراء ثلاث حملات متعاقبة، كل كتية حملت حملة واحدة، فزبرحو مواضعهم وصبروا^(١٣٨)، وصابروا وبشوا، وحلوا على كتائب الخجاج الثلاث حتى أزالوها وفزقوها، ثم تقدموا حتى واقعوا صفوفهم فأزالوها.

واستمر الاقتتال بين الإخوة مدة وثلاثة أيام، ففقد كان نزول عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث (دير الجهاجم) ثلاث مضيق من ربيع الأول، وكانت الهزيمة لأربع عشرة مضيق من جمادى الآخرة، حيث انتصر الخجاج على ابن الأشعث بعد قتال مديد مرير^(١٣٩).

وعاد محمد بن مروان إلى الموصل، وعاد عبد الله بن عبد الملك إلى الشام، ورجع الخجاج إلى الكوفة.

وأتى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث البصرة، فاجتمع إليه من الملبزين جمع كثير، وسأله خلع كثير على الموت، فاستخدموا به (مسكن)^(١٤٠)، ولكن قواته الهزمت أمام قوات الخجاج.

وبدأت مطاردة قوات الخجاج لقتل ابن الأشعث فالتقت قوات ابن الأشعث في تساحيبها بمواضع متعاقبة كثيرة، حتى وصل ابن الأشعث (زنبيل)^(١٤١)، وأخيراً مات أو قُتل في اختلاف كثير بالزوايات، فالتهمت حروب داخلية طاحنة، تسكبد فيها الجانبان خسائر لا تُعد ولا تُحصى^(١٤٢).

وقضى ابن الأشعث نحيه سنة خمس وثلاثين هجيرة^(١٤٣) (٧٠٤م).

وكانت عودة محمد بن مروان بن الحكم إلى مدينة الموصل بعد انتصار الخجاج على ابن الأشعث في معركة (دير الجهاجم) الخامسة سنة

ولكنهم قتلوا وكيله عليها غداً بعد أن صالحهم محمد^(١٤) وفي سنة خمس ومائتين هجرية (٦٧٠٤م)، غزا إرمينية فصار فيها وثنى^(١٥)

وهكذا نهض محمد في أكثر سني حكمه للجزيرة وإرمينية بالغزو، ومصالاة الروم، وأهل إرمينية، فاستعاد فتح إرمينية وشطراً من بلاد الروم ونجح في قيادته.

الإنسان

بدأ محمد حياته العملية سنة خمس وستين هجرية (٦٨٤م)، إذ سار أبوه مروان بن الحكم إلى (الجزيرة) التي كانت تحت سيطرة عبد الله بن الزبير، كما ذكرنا سابقاً، فبدأ حياته مهمة صعبة للغاية، فلم يتردد في تحمل مسؤوليته كاملة، وبذل قصارى جهوده من أجل إنجازها. ويبدو أنه أصبح بعد وفاة أبيه مروان بن الحكم، أحد أعضاء مجلس الشورى لأخيه عبد الملك بن مروان، وكان عضواً فاعلاً مؤثراً في هذا المجلس، يستشار فيشير فيعمل بمشورته، فقد أشار على عبد الملك بالسير إلى مصعب بن الزبير في العراق، وأشار غيره بخلاف ذلك، فعمل عبد الملك بمشورة أخيه محمد، ونقض الطرف عن مشورة غيره.

وقد استعمله أخوه عبد الملك على الجزيرة وإرمينية سنة ثلاث وسبعين هجرية (٦٩٢م) وفي عمل طيلة حياة أخيه عبد الملك الذي توفي سنة خمس ومائتين هجرية^(١٦) (٦٧٠٤م) وشطراً من خيالة السويدي بن عبد الملك الذي عزله سنة خمس ومائتين هجرية^(١٧) (٦٧٠٩م)، بعد أن أمضى في ولايته ثمان عشرة سنة أعاد فيها سيطرة الدولة على الجزيرة وإرمينية واستعاد فتح الأجزاء التي انتظمت منها.

وكان محمد يتمتع بشخصية قوية نافذة وكان شجاعاً قوياً وكان أخوه عبد الملك يغبطه على سجاياه المتميزة، فلما انتظمت الأمور لعبد الملك أظهر ما في نفسه محمد، فتجهز محمد ليسير إلى إرمينية. وجاء محمد ليودع أخاه عبد الملك قبل رحيله، فسأله عبد الملك عن سبب مسيره فأنشد:

وإني لا نرى طرداً حُرم كالصاق به بعض الخوان
قلو كنا بمنزلة جميعاً جريئاً وأنت مضطرب العنان

فقال له عبد الملك: «أقسمت عليك لتقمن»، فوالله، لا رأيت مني ما تكبره، ثم صلح له^(١٨).

ويبدو أن عبد الملك بعد أن تيقن من إصرار أخيه محمد على السير إلى إرمينية، استعمله عليها تداركاً للموقف ومنعاً لالتفات في العائلة الواحدة وبين الإخوة منها.

ولما أراد الوليد بن عبد الملك، عزل محمد عن الجزيرة وإرمينية،

طلب من سيد مكانه، فلم يقدم عليه أحد إلا مسلمة بن عبد الملك^(١٩)، وهذا دليل آخر على قوة شخصية محمد بن مروان.

ويظهر أن الوليد عزل عنه محمد، لأنه توقف عن الغزو لمدة ست سنوات، فقد كانت آخر غزوة له في المنطقة سنة خمس ومائتين هجرية كما أسلفنا ولم يزل بعدها حتى عزل سنة إحدى وتسعين هجرية، مع أن المنطقة بحاجة ماسة إلى استمرارية الغزو فطاعاً عن الحدود الشمالية والشمالية الشرقية بافجوم، والهجوم النجع وسائل الدفاع كما هو معروف. كما أن إرمينية بحاجة انتظمت أكثر أجزائها، فكان لا بد من غزو المناطق المتبقية لاستعادة فتحها مرة أخرى، بينما يلي محمد مُشكناً ببلاد حركه.

ولعل له علداً سكث عنه المؤرخون، وقد يكون عدده أنه شاع لتقلده في العمر أو مرض، فائت السكون على الحركة، في وقت تكاثرت فيه الاضطرابات في إرمينية من جهة وإزدياد نشاط الروم من جهة ثانية، هذا باذر مُشكلة بن عبد الملك^(٢٠)، بالفرق واستعاد فتح إرمينية ودوخ الروم بعد استعجاله على إرمينية وأذربيجان مباشرة.

وقد كان محمد فضل كبير في انتصار أخيه عبد الملك على شورى ابن الزبير وابن الأشعث في العراق كما فصلناه في الحديث عن: توطيد الأمن الداخلي، من هذا البحث.

وكانت محمد مهمة عالية في البناء، والتعمير، ففي سنة خمس ومائتين هجرية أمر ببناء مدينتي: (أردبيل) التي هي من أشهر مدن أذربيجان، و (برذعة) التي تعتبر من إرمينية الأولى على رأي قسم من الجغرافيين القدامى^(٢١).. كما أنه بنى سور مدينة الموصل سنة ثمانين هجرية^(٢٢).

وقد كان يهتم بالقضايا الاقتصادية، فحوى بحيرة (الطريق) في صيدها وبيعها، وكان يستغل هذه البحيرة ثم صارت لولده مروان بن محمد بن مروان^(٢٣)، من بعده، وكانت منذ فتحها حبيب بن مسلمة الفهري مباحة^(٢٤).

وبحيرة (الطريق) حيث باسم السمك الذي يعيش فيها، وهو نوع من السمك الصغير الذي يعالج بالخل فيؤكل، يبلغ طول الواحدة منه حوالي شبر واحد، ويكثر في موسم صيده ويصاد بالأيدي والآلات للصنعة، ويصدر إلى إرمينية وخارجها بعد تملحه ويشبه سمك (الشوشر) ولا يزال يصطاد بكثرة من هذه البحيرة حتى اليوم.

وهذه البحيرة هي بحيرة (الزجيش)، ويطلق عليها الجغرافيون العرب اسم بحيرة (جلاط) وذلك لقربها من هذه المدينة، ويسمى بحيرة (وأن) حالياً، وتقع إلى الجنوب من مدن (جلاط) و (أرجيش) وشرقي مدينة (جلاط) على مسافة يوم منها^(٢٥).

ولم يفكر القانئون الأولون باستغلال ثروات هذه البحيرة من الأسماك وغيرها ولم يفرضوا ضريبة مالية على الصيادين، لأنهم اعتبروها من الثروات الطبيعية النشأة بين الناس كافة تطبيقاً لتعاليم الإسلام في أمثلها

من القوات ، لذلك اعتبر المؤرخون استغلال محمد لاسمك البحرية لمصلحته الشخصية نوعاً من الاحتيال غير المشروع ، فقالوا : « وكانت بحيرة (الطريق) التي بأرض إرمينية صالحة لم يعرض لها أحد ، بل يأخذ منها من شاء ، فتح محمد بن مروان من صيدها ، وجعل عليها من يأخذ ويبع ويأخذ منه ، ثم صارت بعده لابنه مروان ، ثم أخذت منه لما انتقلت الدولة عنهم ، وهي إلى الآن على هذه الحال من الخضر ، ومن سنّ منة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص من أوزارهم شيء »^(١٧٧) .

ومن حق المؤرخين وغيرهم أن يلموهوا محمداً على استنثاره بالثروة السمكية واحتكاره لها ، لما كان ينبغي له أن يتصرف عن سنين من سبقه من القادة الفاضلين .

وكان مروان بن الحكم قد ولد : عبد الملك ، ومعوية ، وأم عمرو ، وعبد الله ، وأبانا ، وداد ، وعبد العزيز ، وعبد الرحمن ، وأم عثمان ، وعشرا ، وأم عمرو ، وشرا ، ومحمداً^(١٧٨) ، فهو عاشر إخوته الذكور ، وأم محمد أم ولد^(١٧٩) ، وقد ولد لمحمد : مروان أمير المؤمنين ، وميزيد الذي كان من الفضلاء والشاكر ، ومنصور ، وعبد العزيز ، وعبد الرحمن^(١٨٠) .

ولا نعرف متى ولد محمد بن مروان ، لأن المصادر التي بين أيدينا وأطلعنا عليها أغفلت ذلك . ولكن يمكن استنتاج سنة مولده دون القطع بأن استنتاجنا مصيب ، وإنما هو محاولة حسب .

فقد ولد ابنه البكر مروان بن محمد سنة ست وسبعين هجرية^(١٨١) ، (٦٩٥ م) ، كما أن محمد بن مروان تولى أول منصب له سنة خمس وستين هجرية (٦٨٤ م) ، وكانوا يولون ذوي الكفالات العالية من أبناء الخلفاء وأحوتهم في سن العشرين بشكل عام ينقص قليلاً أو يزيد قليلاً .

ويمكن أن نستنتج أن محمد بن مروان ولد سنة خمس وأربعين هجرية (٦٦٥ م) ، قبل ذلك بسنوات أو بعد ذلك بسنوات . . وقد توفي محمد ابن مروان سنة إحدى ومئة هجرية^(١٨٢) ، (٧١٩ م) .

لقد كان إدارياً حازماً ، قوي الشخصية ، لئيم الذكاء ، حريصاً على جمع هذا المال ، رجل دولة في تفكيره وتنفيذه ، خدم الدولة في ميدان الإدارة والقيادة .

القائد

كان محمد بن مروان على مقدمة أخيه عبد الملك في المعركة التي دارت بين عبد الملك ومصعب بن الزبير في العراق^(١٨٣) .

ومن المعروف أن قائد المقدمة يتميز بصفات قيادية كثيرة منها : سرعة الحركة ، والاندفاع السريع الأمين ، وإعطاء القرارات الفورية السليمة ، والذكاء الحارق ، وسبق النظر ، واليقظة التامة ، والحذر الشديد ، وذلك لحماية الجيش من كتمان العدو ، وحرمان العدو من التصدي للجيش وعرقلة

مسيرته ، ومنع العدو من الحصول على المعلومات عن قواته المتقدمة ، تعدادها وتسليحها ، وقيادتها ، ونياتها ، ومواطن الضعف فيها .

ومن الصعب أن يتصر جيش من الجيوش على عدوه ، إذا كانت مقدمته ضعيفة في قيادتها ، لذلك يحرص القادة المتميزون أعظم الحرص على اختيار قادة مقلّمات جيوشهم ، ليكون حسن اختيارهم لهم أول ضمانات النصر .

إن اختيار عبد الملك أخاه محمداً ليفود مقدمته في حرب قد يؤدي الاندحار فيها إلى انهيار الدولة الأموية وإلى نتائج خطيرة ، دليل قاطع على ثقة عبد الملك الكاملة بكفاءة محمد القيادية ، وتحمسه بمزايا قائد المقلّمة المعروفة .

وقد كان محمد أشد بني مروان ، وهو قتال إبراهيم بن الأشتر ومصعب بن الزبير^(١٨٤) ، وهذا دليل على تميزه بالشجاعة والإقدام وتحليه بالفضيلتين ، وثقته الكاملة بنفسه ، وقوة شخصيته .

ولعل هذه الصفات القيادية هي التي جعلت إياه مروان بن الحكم يولييه قيادة مستقلة في (الجزيرة) من بين سائر إخوته ، وهذا دليل على تميزه عليهم في كفاءته القيادية ، ولو لا أنه كان أصغرهم سناً ، وأنه أم ولد - ولم يكونوا يؤكّنون أمثاله الخلافة حينذاك - لكان له شأن في تولى الخلافة .

وقد ذكرنا أن أخاه عبد الملك بن مروان وهو من هو كفاية وعلماً واقتداراً ، كان يخطه على كفاءته للتبصرة العالية ، فآثر محمد أن يرحل عن دمشق بعيداً عن العاصمة ، حتى لا تؤدي غبطة عبد الملك له إلى احتكاك محتمل لا يسوّغ له . فوالأخوه عبد الملك الجزيرة وإرمينية بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، واستقرت أمور الخلافة ، وعادت الوحدة الشاملة إلى أرجاء شبه الجزيرة العربية بخاصة ، وأحاء الدولة الإسلامية بعامه ، أما قبل القضاء على الفن والفاقل والاضطرابات الداخلية ، فقد استأثر عبد الملك بأخيه محمد ، وأبقاه معه ، وكلفه بأصعب الأمور وأعقدها ، للاستفادة من كفاءاته للتبصرة العالية .

لقد نبّهنا له الطبع الموهوب ، وهي السجية الأولى في القيادة ، في ذكائه الحارق ، وسرعة بديهيته ، وثقته بنفسه ، وشخصيته القوية المؤثرة ، وشجاعته وإقدامه ، وتحمسه نتيجة لكل ذلك بالمعانيات العالية .

ونبيهاً له العلم المكتسب ، وهي السجية الثانية في القيادة : في تعلمه الفنون العسكرية نظرياً وعملياً ، وتقوفه على أضرابه في تعلم هذه الفنون ، وتلقى أساليب التطبيق العملي لها في محيط أعلى مستويات القيادة العسكرية والإدارية والسياسية ، باعتباره من بيت الخلافة واتصاله المباشر بتلك السنوات القيادية الرفيعة .

وعلى أهمية الطبع الموهوب ، فإن العلم المكتسب يهذب هذا الطبع ويصفله ، ويجعله يؤتي ثمراته المرجوة على أفضل الوجوه .

ونبأت له التجربة العملية ، من سنة ثلاث وستين هجرية إلى ستة خمس وثمانين هجرية في ساحات الجزيرة والعراق وإرمينية فأغنى طبعه الموهوب وعلمه المكتسب بالتجربة العملية التي امتدت اثنتين وعشرين سنة ، قائداً مستقلاً في الجزيرة ، وقائداً مروضاً للخليفة مباشرة وهو القائد الأعلى للدولة في العراق ، وقائداً وولياً في الجزيرة وإرمينية . وبذلك أغنى زهرة شبابه وكهولته في التجربة العملية ، التي بدونها يكون القائد نظرياً لا عملياً وقادراً على إزجاء النظريات فحسب لا على التطبيق العملي .

ولم تقتصر مهمته التطبيقية على القيادة في ميادين القتال ، بل شملت إعطاء المشورة للخليفة باعتبار أحد أعضاء مجلس شورى الخليفة البارزين ، إن لم يكن أبرز أعضاء هذا المجلس وأكثرهم أثراً وشأناً في الخليفة عبد الملك بن مروان ، والخلفاء الذين تعاقبوا على تولي الخلافة من بعد عبد الملك بن مروان ، حتى انقضى أجله ففارق الحياة .

كما لم تقتصر تجربته العملية على حرب مصعب بن الزبير وعبد الرحمن ابن الأشعث الكندي في العراق لتوطيد الأمن الداخلي ، وعلى حرب الروم في الجزيرة وبلاذ الروم وعلى حرب الحوز والترك وغيرهم من اللل والشعل في إرمينية ، بل شملت كثيراً من لبع الاضطرابات المذهبية في أرجاء ولايته الشاسعة : الجزيرة وإرمينية .

وكمثال واحد على ما عناه من تجارب عملية في ميدان الاقتتال المذهبي ، هو ثورة ثوروة صالح بن مسرج القيسي أحد بني امرئ القيس بن زيد مائة من غيم الذي كان يرى رأي الصفرية من الخوارج وهو قول من خرج فيهم ^(٢٢٢) .

وكان صالح بن مسرج الهيمي رجلاً ناسكاً مصغر الوجه صاحب عبادة وكان بـ (داراً) ^(٢٢٣) ، وأرض الموصل والجزيرة ، وله أصحاب يقرأ بهم القرآن والفقهاء ويقص عليهم ، فذهبوا إلى الخروج وإنكار الظلم وجهاد المخالفين لهم ، فأجابوه ورأس صالح أصحابه بذلك ، فتلقوا به ، كما التحق به شبيب الحارثي وأتباعه ، فتعاظم خطرهم على الأمن .

وبث صالح رسله ، وواعد أصحابه الخروج إلى ذلك هلال صفر سنة ست وسبعين هجرية (٦٩٥ م) ، فاجتمعوا عنده تلك الليلة .

ووعظ صالح أصحابه وأمرهم بآمره وقال لهم : « إن أكثركم رجالة ، وهذه دواب لحمد بن مروان فابدأوا بها ، فاحملوا عليها رجالكم ، وتقتلوا بها على عدوكم » .

وخرج صالح على رأس أصحابه تلك الليلة ، فأسعدوا السدواب واحتملوا عليها ، وأقاموا بأرض (داراً) ثلاث عشرة ليلة ، وتحصن منهم أهلها وأهل (نصيبين) و (سجبار) ^(٢٢٤) .

وبلغ محمداً خرجهم ، فبعث إليهم جيشاً بقيادة عبادي بن عسدي الكندي ، فهاجمهم صالح ، فبعث إليهم جيشين آخرين ، كل جيش منهما تعداداه ألف وخمسة فكيدهما صالح خسائر فادحة ، ولسكنه أسر الانسحاب من المنطقة ، لأن رجاله كانوا مئة وعشرين رجلاً !!

ودخل صالح منطقة (المكشكة) ^(٢٢٥) وهي ضمن ولاية الحجاج بن

يوسف الثقفي وخارج ولاية محمد بن مروان ، فتولى الحجاج بمخالفة الموقف ^(٢٢٦) .

وهكذا تخلص محمد بن مروان من ثورة الخوارج ، وأعاد الأمن والاستقرار إلى أرجاء ولايته .

لقد اجتمعت في محمد بن مروان السجايا الثلاث للقائد المتميز : الطبع الموهوب ، والعلم المكتسب والتجربة العملية ، وهذه السجايا الثلاث قد لا تجتمع في قائد واحد إلا نادراً .

وكانت لمحمد عقلية تنظيمية واضحة ، فقد سأل عبد الملك بن مروان نجيد الجزيرة لوفائ عبد الملك على اقتراح محمد ، وكانت الجزيرة تابعة إلى (قشرين) قبل فتحها ، وقد اختلقوا في تسمية الأجناد ، فقال بعضهم : سمى المسلمون فلسطين لجنداً لأنه جمع كوزاً ، وكذلك دمشق والأزبد وحمص وقشرين ، وقال بعضهم : تحث كل ناحية لها جند يقيضون أطاعهم بها جنداً ^(٢٢٧) ، والريان سديدان .

وهكذا أصبحت الجزيرة جنداً مستقلاً عن قشرين ، فصار جندها يأخذون أطاعهم بها من خراجها ^(٢٢٨) ، وبذلك ضمن محمد السيطرة الكاملة في ولايته على رجاله المقاتلين .

وعند تطبيق مبادئ الحرب على مزايا محمد القيادة ، نجد أنه كان قائداً (تعرضياً) ، يطلق الحرب السياره ، ويدافع عن الحدود والتغوير بالتعرض لا بالدفاع المشكن ، ويرى بحق أن الهجوم أفضل أساليب الدفاع .

وبالأسلوب التعرضي ، حى محمد الحدود الشمالية ، والشمالية الشرقية للدولة ، ونقل القتال من مواضع المسلمين إلى مواضع الروم وأهل إرمينية ، وجذب بلاد المسلمين خسائر القتال ، واستعاد فتح شطر من بلاد الروم وإرمينية .

وكان يطلق مبدأ (التحشد) في غزواته ، فيحشد القوة المناسبة للعمل المناسب في المكان والزمان المناسبين ، كما يحشد القوات المناسبة للقواعد الامامية ، للدفاع عنها في حالة تعرضها لهجوم مفاجئ غير متوقع زماناً أو مكاناً .

وكان يطلق مبدأ (الأمن) في مسير الاقتراب ، وفي صفحة الاشتباك بالعدو ، كما كان يضع الحاميات في الأماكن الحساسة ويحفظها تحفظاً متنبهاً - كما فعل في تحصين (أزديسل) و (تسردعة) و (الوصل) - فأمّن الدفاع عنها بسهولة وسر ، وجعلها قواعد أممية متقدمة أمية لحايتها أولاً ، وللاطلاق منها للفتح ثانياً ، وللاستناد عليها لاستعادة فتح البلاد المتفتنة .

وبهذه التدابير الأمنية صان البلاد وأهلها من مباغاة العدو لها ولهم في مختلف صفحات القتال التي خاضها ، وفي أيام ولايته أيضاً ، فلم يتكب المسلمون على عهده الطويل نسيباً أبداً .

والحق أنه برز في قيادة القفظة ، بها يدل على أنه قائد بطلاني مبدأ

(الامن) نصاً وروحاً .

وكان يطبق مبدأ (اختيار المقصد وادامته) ، فقد كان دائماً يعرف ما يريد ، ويعاود أن يتوصل إليه من أقرب الطرق والجمع الوسائل ولا يتخلل عما يريد ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

وكان يطبق مبدأ (المباينة) ، وتعلم مشورته لعبد الملك بمبادرة مصعب بن الزبير على جناح السرعة ، كان مباينة كاملة لمصعب لم يكن يتوقعها ، فهي مباينة بالزمان ، كما أن استدفاعه في مقدمته للاقتتال واندفاعه إلى الصفوف الامامية من المقدمة لمراقبة الموقف الراهن شخصياً مباينة بالزمان والمكان أيضاً .

وكان يطبق مبدأ (الاقتصاد بالمجهود) ، فيضع القوات المناسبة للمكان المناسب دون زيادة ولا نقصان .

وكان يطبق مبدأ (المرونة) ، فليست خطته العسكرية قوالب جامدة ، بل هي قابلة للتحويل حسب الموقف الراهن .

وكان يطبق مبدأ (التعاون) ، فقد ساد هذا المبدأ بين المقدمة والقسم الأكبر من الجيش في حرب مصعب بن الزبير ، ولولا هذا التعاون الوثيق لما كتب النصر في ذلك الاقتتال أبداً .

كما أن هذا المبدأ ساد سيطرة مطلقة بين قواته التي سيطرت في الجزيرة وإرمينية ، فهي تعمل بتعاون ونسجام ، كما ساد هذا المبدأ بين قواته كافة وقوات الدولة في جميع الظروف والأحوال .

كما كان يطبق مبدأ (إدامة المعنويات) ، لأنه يعلم أهمية المعنويات العالية في إحراز النصر ، فلا يغفل عن إدامتها في حالي السلم والحرب .

وكان يطبق مبدأ (الأمور الإدارية) ، فشأن البناء والتعمير ، وفرض الاستقلال المالي على جنوده ، فجعل الجزيرة جنداً يتقاضى مرتباته من بيت المال الذي يسيطر عليه ولم يتركهم خاضعين لبيت مال لا يسيطر عليه .

لقد عاش محمد بن مروان في أيام اضطراب الدولة وفي أيام استقرارها ، ولكن الدولة حتى في أيام استقرارها كانت كالمريض الذي شفى من مرضه القاسي المزمن ، ولكنه في مدة النقاهة لا في مدة الشفاء الكامل ، ولولا تلك الظروف وهو من هو في مزايده القيادية ، لكان له شأن آخر في الفتوح واستعادة الفتوح ، ولترك بصمته الظاهرة الباقية في الفتوح ومصير الدولة في حاضرها ومستقبلها .

وحسبه أنه بهذا غاية جهوده في خدمة الدولة قائداً وإدارياً ، ولكن الظروف الراهنة التي عاشها حرمته ليس من النجاح بل من الهزيمة في النجاح .

محمد بن مروان في التاريخ

يذكر التاريخ لمحمد بن مروان ، أنه كان من ألع إخوته ، إن لم يكن

لهمم ذكاء وشجاعة وكفاية واقتداراً .

ويذكر له ، أنه أعان الدولة على التخلص من أخطر ثورتين عاريتين هددت الدولة بالزوال ثورة ابن الزبير وثورة ابن الأشعث .

ويذكر له ، أنه كان رجل دولة بكل ما يعنيه هذا التعبير فثباتاً وإدارياً .

ويذكر له ، أنه استعاد فتح شطر بلاد الروم وشرط إرمينية ، وحسب الحدود الشمالية والشمالية الشرقية من الروم وغيرهم من الأمم .

ويذكر له ، أنه كان قائداً فذاً ، لو ساعدته الظروف لكان له شأن في شأن .

يرحمه الله جزء ما قدم للدولة وللمسلمين من جهد وجهاد .

المواشي

(١) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٢٢٣/٥) ، وفيلبسب الأسماء وللغات (٢٠٩/١) ، وجهرة أنساب العرب (١٠٣-١٠٥) ، وفوات السوفيات (٣١/٢) .

(٢) جهرة أنساب العرب (٨٧) .

(٣) انظر التفاصيل في كتابنا : قادة فتح للفرس العربي (١١٣-١١٤) .

(٤) العرب (٧١/١) .

(٥) الطبري (٦٢٢/٥) .

(٦) انظر سيرته القصصة في كتابنا : قادة فتح للفرس العربي (٩٢-٩٣) .

(٧) انظر سيرته للقصصة في كتابنا : قادة فتح للفرس العربي (٩٥-٩٦) .

(٨) انظر سيرته في : الولاة وكتاب القصصة (٤٢-٥٨) ، والنجوم الزاهرة (١٧١/١-٢١٠) .

(٩) انظر التفاصيل في : ابن الأثير (٢٩٧/٤-٣٠٣) .

(١٠) قرطبة : بلد على نهر الخابور (خابور الفرات) عند مصب الخابور بالفرات ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥٩/٧-٦٠) .

(١١) سكن : موضع على نهر دجل عند دير الخليلي .

(١٢) انظر سيرته القصصة في كتابنا : قادة فتح للفرس الإسلامي .

(١٣) انظر التفاصيل في : الطبري (١٥١/٦-١٦٢) ، وابن الأثير (٣٢٣-٣٢٤) .

(١٤) العرب (٨٠/١-٨١) .

(١٥) العرب (٨٠/١) .

(١٦) العرب (٧٨/١) .

(١٧) العرب (٨٥/١) ، وشرقات الذهب (٨٣/١) .

(١٨) ابن الأثير (٤٥٠/٤) .

(١٩) حسبان : اسم منطقة واسعة ، بينها وبين (هراة) عشرة أيام أو ثمانون فرسجاً ، وهي جنوب هراة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧/٥) .

والسالك والملك للاضطري (١٣٨) ، وتاريخ البلاد وأخبار العباد (٢٠١) .

(٢٠) الطبري (٣٢٢/٦) ، وابن الأثير (٤٥٠/٤) .

(٢١) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس بن معديكرب الكندي ،

انظر جبهة أنساب العرب (١٢٥)، وهو من أبطال العرب وأشرفهم وقادتهم وولايتهم.

(٢٢) انظر التفاصيل في: السطري (٣٢٦/٦ - ٣٢٩). وابن الأثير (٤١٤ - ٤١٦).

(٢٣) فارس: ولاية واسعة وقلم فسح، أول حدودها من جهة العراق (لرجان)، ومن جهة كردان (السيرجان)، ومن جهة ساحل بحسار (الهند) (سيف)، ومن جهة السند (مكران)، وقصبتها (شيراز). وفي هذه الولاية من أهم المدن المشهورة: انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٢٤/٦)، وتقويم البلدان (٣٢١ - ٣٣١)، والسالك والملك للإصطخري (٦٧ - ٨٤)، والسالك والملك لابن خردادقة (٤١ - ٤٣)، وغنم كساب البلدان (١٩٥ - ٢٠٥)، والأعلام الفسفة (١٠٦)، وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (٤٢٠ - ٤٢٩)، وكتاب صورة الأرض (٣٣٤ - ٣٣٧).

(٢٤) تستر: أعظم مدينة بقرستان، وهي تعريب: شوشتر، انظر التفاصيل في السالك والملك للإصطخري (٦٤)، وأخبار البلاد وأخبار العباد (١٧٠)، ومعجم البلدان (٣٨٦/٢).

(٢٥) دجيل: نهر بالأهواز، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤١ - ٤٢).

(٢٦) الزاوية: موضع بالقرب من البصرة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧١/٤).

(٢٧) ابن الأثير (٤٦٥/٤).

(٢٨) دير قز: دير بآزاء دير الحجام، وهو ملاصق لسفوح السير، ويسير الحجام مسا على الكوفة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٦٢/٤).

(٢٩) دير الحجام: دير بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها، على طرف اليرسالك إلى البصرة، انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٣١ - ١٣٢).

(٣٠) انظر سيرته للفصل في كتابنا: قادة فتح بلاد الروم، وانظر مجلة الجمع العلمي العراقي، العدد (٢) جادى الأول ١٤٠٠هـ، نيسان ١٩٨٠م - بغداد - ١٤٠٠هـ.

(٣١) انظر التفاصيل في السطري (٣٤٢/٦ - ٣٥٠)، وابن الأثير (٤١٧ - ٤١٨)، وانظر ابن خلدون (١١٠/٣)، والبلد والسير (٣٩/٦)، والتبعية والإشراف (٢٧٢).

(٣٢) انظر التفاصيل في السطري (٣٤٢/٦ - ٣٥٠) وابن الأثير (٤١٧ - ٤١٨).

(٣٣) مسكن: موضع قريب من (أوتا) على نهر (فخزيل) عند (ديسر الجاثليق)، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥٤/٨)، وأوتا: بلدة من لواء (فخزيل) ببغداد، بينها وبين بغداد عشرة فراسخ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٦/١) أقول وهي بالقرب من (تميككة) التي أصبح اسمها: (السجل) الحالية، ولكن معروف.

(٣٤) انظر التفاصيل في السطري (٣٦٦/٦ - ٣٦٩)، وابن الأثير (٤١٣ - ٤١٤).

(٣٥) انظر التفاصيل في السطري (٣٦٧/٦ - ٣٨٣)، وابن الأثير (٤١٤ - ٤١٥).

(٣٦) انظر التفاصيل في السطري (٣٨٩/٦ - ٣٩٣)، وابن الأثير (٥٠١ - ٥٠٢).

(٣٧) فتح البلدان (٢٨٩).

(٣٨) ابن الأثير (٢٦١/٤).

(٣٩) الطبري (١٩٤/٦)، وتاريخ خليفة بن خياط (٢٦٧/١).

(٤٠) فتح البلدان (٢٨٩).

(٤١) وردت في ابن الأثير (٣٧٣/٤) كذلك، ووردت في تاريخ خليفة بن

خياط (٢٦٨/١) - أندرية - في معجم البلدان (٣٤٥/١) - أندريين، وهي قرية من قرى الجزيرة.

(٤٢) الأعيان: جمع عشق، وهي كورة قرب دابق بين حلب واطاكية، انظر معجم البلدان (٢٩٢/١).

(٤٣) فتح البلدان (٢٦٦)، وانظر ابن الأثير (٣٩١/٤).

(٤٤) ابن الأثير (٤١٨/٤) وانظر تاريخ خليفة ابن خياط (٢٧٣/١).

(٤٥) ابن الأثير (٤٧٦/٤).

(٤٦) ابن الأثير (٥١٤/٤).

(٤٧) المعبر (١٠٢/١).

(٤٨) تاريخ خليفة ابن خياط (٣٠٧/١)، وابن الأثير (٥٥٥/٤).

(٤٩) ابن الأثير (٧٠/٥).

(٥٠) ابن الأثير (٧٠/٥).

(٥١) انظر سيرته للفصل في كتابنا: قادة فتح بلاد الروم، وفي فصل استعادة الفتح من هذا الكتاب.

(٥٢) السالك والملك لابن خردادقة (١٢٢)، وانظر المعبر (١٠٥/١) حول بناء جثمين للمبتدئين وانظر فتح البلدان (٢٨٨).

(٥٣) تاريخ الوصل (٢٥).

(٥٤) انظر سيرته للفصل في كتابنا: قادة فتح بلاد الروم.

(٥٥) فتح البلدان (٢٨١)، وابن الأثير (٣٦١/٤)، والتعويض الزاهرة (١٩٠/١).

(٥٦) تقويم البلدان (٤٢).

(٥٧) ابن الأثير (٣٦١/٤)، والتعويض الزاهرة (١٩٠/١).

(٥٨) المعارف (٣٥٤)، وانظر جبهة أنساب العرب (٨٧ - ٨٨).

(٥٩) جبهة أنساب العرب (٨٧).

(٦٠) انظر التفاصيل في جبهة أنساب العرب (١٠٧ - ١١٠).

(٦١) ابن الأثير (٤١٨/٤).

(٦٢) ابن الأثير (٧٠/٥)، وتاريخ خليفة بن خياط (٣٢٢/١)، والمعبر (١٢١/١).

(٦٣) الطبري (١٥٦/٦)، والمعارف (٢٢٤).

(٦٤) المعارف (٣٥٥).

(٦٥) الطبري (٢١٥/٦)، وابن الأثير (٣٩١/٤).

(٦٦) دار: بلدة في خلد جبل بين نصيبين وماردين من بلاد الجزيرة. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٤).

(٦٧) سنجان: مدينة مشهورة من لواء الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام. وهي في خلد جبل عالم يسمى: جبل سنجان. انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٤٤/٥ - ١٤٦).

(٦٨) الشكوك: قرية كبيرة بولاية نهر الملك غربي بغداد، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦٠/٤).

(٦٩) انظر التفاصيل في السطري (٢١٦/٦ - ٢٢٣)، وابن الأثير (٣٩٦ - ٣٩٧/٤).

(٧٠) فتح البلدان (١٨٠).

(٧١) فتح البلدان (١٨٠).

بين شاعرين

لورد بايرون • علي محمود طه

البحر

هي قصيدة الشاعر الإنجليزي الشهير **لورد بايرون** (١٧٨٨ - ١٨٢٤ م) وهي من قصائده المطولة المعروفة باسم «**قصيدة تشايلد هارولد**» ، وقد كان بايرون أحد شعراء الرومانسية في الشعر الإنجليزي الحديث ، وواحداً من شعراء الطبيعة الذين اشتهر منهم **جون كيتس** ، **ويسلي شيلي** ، **وليم وردز** و **ورث** ، ولقد عاش **بايرون** حياته تيمناً لمصراع نفسي مرير بينه وبين نفسه ، وبينه وبين المجتمع من حوله ، وكان لولادته بقدوم مشوهة أثر في إحساسه بفاجعة المصير ، وزاد من هذا الإحساس ، فقدان دفة الحب وخسائر الوالدين ، فكان أن لجأ إلى الطبيعة إذ وجد فيها أملاً لا يتبدد ، وزاداً لا يفيض ، فالأبطال والعظماء يتساقطون في الميدان ، ولكن الطبيعة باقية ما بقي الزمان ، وبها هو يتغنى بالبحر ، ويرى فيه صديقاً راسخاً على مر الأيام :

إلى البحر

تعد هذه القصيدة واحدة من أبرز قصائد الشاعر الرومانسي **علي محمود طه** (١٩٠٢ - ١٩٤٩ م) الذي كان قطباً من أقطاب مدرسة أبولو الشعرية ، التي تزعمها الشاعر **أحمد زكي أبو شادي** . وقد عاش **علي محمود طه** حياة هادئة حافلة ، تنعم بالجمال وتشدو للطبيعة ، فكان دائم الأسفار إلى البلاد الأوروبية ، شديداً التأثر بالاتجاه الرومانسي في الشعر ، وخاصة شعراء البحيرة ، والشاعر الفرنسي **لا مارتين** . أصدر ديوانه الأول «**الملاح الثالث**» عام ١٩٤٥ م ، وتتابعت ديوانته بعد ذلك «**ليالي الملاح الثاني**» و «**زهرة** و **حجر**» و «**أغنية الرياح الأربع**» . غلب على شعره السجام الأنغام الموسيقية ، وتصوير العواطف البشرية ، والتغني بجمال الطبيعة .

قصيدة



قصيدة

• البحر •

يا طيب عيش بين غاب موحش

أو فوق شط مغفر

في رفقة من لا بشر

في رفقة البحر العميق ، وسحر موسيقى الخدير الصاحب

الناس سُلاكي ولكن الطبيعة لي خليل اقرب

ولكم أفيق من الحياة لأختلي

بالكون في ولع فيخلق به الفؤاد خفوقا

بعيا البيان به فليس يطاوله

وأنا أتوه به لما أقوى على كنهه

* * *

فلنصطفي يا أيها البحر البعيد الغور ، تمنع في الغموض بصفحة زرقاء

فلنصطفي : كم في عبابك من أساطيل هزات بها



أن يبعث الإنسان بالأرض

فحدود رفقة إلى الشط

وسطت أنت يدبك فوق الماء

فأجست ما يجري عليه خطايا

حتى إذا لم يبق غير الناس فوقك طاقيا

تهوي بهم ففاعة ففاعة للقاع

تهوي فلا قبر ولا كفن ولا دقات ناقوس

وأهأ وما يدري بهم أحد

ما داس قط عليك إنسان بأقدام

وسهولك الزرقاء لم تك معنى للطامع

سرعان ما ترغي فتتفض عنك كل دخيل

* * *

• إلى البحر •

فقت من الليل مصغياً والعباب

وتأمل في المزيادات الغضاب

صاعدات تلوك في شدقها الصخر

وترمي به صدور الشعاب

هابطات تشد في قبضة البر

بع وترمي على الصخور الصلاب

ذلك البحر : هل تشاهد فيه

غير ليل من وحشة واكتئاب ؟

ظلمات من فوقها ظلمات

تترامى بالمائع العشاب

لا ترى تحتهم غير وجوه

من عباب وعالم من غشاب

أيها البحر كيف تنجو من اللب

هل ؟ وابن النجس يملك الرجاء

هو بحر أظم لنا وأطفى

منك موجاً في جيتو وذهاب

أوما تبصر الكواكب عرق

في دبابه كاسفات خواب ؟

وترى الأرض في نواحيه حيرى

تسأل الشجب عن وميض وشهاب

ويك يا بحر ما أتيتك في اللب

هل أنسين المروع الحُباب

امض حتى ترى المذايق عسرق

وترى الكون زفرة من غباب

امض عبر الساء واطع على الأم

بلاك واغمر في انجو مسرى العباب

ذاك أو بيتك الظلام دساج

به وتنصو ذاك السواد الكابي

وترى الشمس في مباحك ثلثي

خالص التبر واللجين المذاب

* * *

أقبل الفجر في شفقو رفاق

يتبادى في منظر خللاب

خلل من وشائع النور زهر

بهاوجن في حواشي السحاب

وإذا الشاطئ الضحوك تنفى

حول الطير بالأغالي العذاب

يا بحر وجهك شغفٌ عن باريه
من خللِ العواصف وهي تزار أو عيب ثانياً
أو في السائم والزوايع والرياح السافية
في القطب تلجأ أو يملتب البقاع لجيش مضطربا
تساب يغمرك الجلال فلا حدود ولا نهاية
معنى الخلود يشع منك
فأنت مُكناً لعرش لا تراه على الزمان مقم
صنعتْ بِذاك زواحف البحر الضواري
وأنتك تعنو عوفاً كل البطاح
لما جثمت على الفضاء بلا شريك
يمضي الزمان وأنت باق لا تفيض
ولا يفيض الرعب يهدر منك أهوالا
ويداك كالأبد السحيق فلا مدى لك أو قرار .



«روائع من الشعر الإنجليزي .. ترجمة د. زاهر خيرال»

لي وراء الأمواج بنا بحرٌ قلبه
نارُ الدار ما له من مآبٍ
نزعته مني الليالي قاسية
وهو مُلقٌ في وحشة واغترابٍ
ذكرياتٌ تُدلي القصي ولكن
أين مني منازل الأحباب
لنا وحدي هيانٌ في جلك الطاء
من غريق في حريقٍ براونيا
أرسل الشاطئ البعيد بعينٍ
عكفت في الدجى على التسكيب
فسواء في مسمي من ذراء
صدح الطير أو تعيق الغراب
وسواء في العين شارقة الفج
مر أو الليل أسود الجلباب
بيد أي أحسن فيك شفاء
من سقامي ورحمة من عذاب
أنت مهد الميلاد والموت يا بحر
وشوى القسوم والأوصاب
فأنا فيك أطرح الآن آلا
منى وعيب الحياة والأحساب

وتسم الصباح يعث بالغا
بي وشي ذوات الأعراب
ومن الشمس جرة في ثابا ال
حوج يذكو ضرائها غير خالي
ومن البحر جانب مطش
فزجي الأدم غص الإهاب
نزلت فيه نطح عذاري ال
ضوء من كل بصر وكعاب
عاريات يسبحن في السم لكن
لفها الرغو في ريق الثياب
فيذا البحر يرقص الموج فيه
وإذا الطير صُلق في السرواي
راقصات الأمواج علفن قلبي
رفصات الغرور الطيراب
وأضي عليه من سلس الوح
ي نميراً كالبذول المتساب
واستيري عواظني ودعيني
أسمع البحر أغنيات الشباب

★ ★ ★

«ديوان : الخلاج الثاني : علي محمود طه»



☆ حسن عبدالله الفارسي ☆



☆ محمود غزاف ☆



☆ الأمير عبدالله المصل ☆

أشهر الصحراء فني

الشعر

أكثر من باحث تحدث عن ظاهرة البداوة ، والصقها بشعرنا لتصاق الطابع على الظرف ، وكأنها قضية مسلمة لا نقاش فيها .

تحدث عنها طه حسين ، وهو يعرض لديوان وحي الحرمان فقال : « أنا أزعج أن الشاعر مصري اللغة بدوي النزعة »^(١) !

وعهد حسين هيكل وهو يقدم كتاب « وحي الصحراء » ، وعلي محمود طه في تقديمه ديوان « حباية الكأس » للفلاحي فتعت شعره بأنه « باقة باتمة من زهرات البادية العربية » ، وآخرون . بل لعل أكثر الباحثين من خارج الجزيرة يرددون هذا الرأي ، ويبحث آخر من الجزيرة بتساق يعفوية ، ليضع أن حمة البداوة ليست صفة في شعر البلاد فحسب بل إن « أبرز خصائص أدبنا (هي) حمة البداوة المتحضرة »^(٢) .

بمقام :

د . عبد الله الحامد

لا أدري إذا كان هؤلاء النقاد يجهلون الجزيرة ، وأخذتهم صورة الجزيرة الجاهلية وتصوروا أهلها بدواً فوق الأكوام ونعت الحيام وفي العراء ، طعامهم لحم الإبل والباها ؟ وربما كانوا كأحد المدرسين الذين قدموا منذ سنين إلى نجد من أحد الأقطار المجاورة ولموجي به الناس يعمل كسب من الخبز اليابس ومثل عن ذلك فقال أما لا أستطيع الأكل من طعام بدو الجزيرة : لحم الإبل والباها ، لكنه حين استقر أسق عبيزه للدواب ، وانغمس فيها ينغمس الناس فيه من ترف وغير ، أما قبل ذلك فكان كمن لم يعرف الجزيرة في أوروبا وأمريكا كما قال محمد المشعان^(٣) :

عيرتني أن يبتي خيمة

ومعيري لم يبارح خيمتي

رسخت في رأسها أكذوبة

عن جهاد العرب والعريقة

وليس هذا نقياً للبداوة الموجودة حقاً في الجزيرة مثلاً هي موجودة في أطراف البلاد العربية كالعراق والأردن وسورية وليبيا والجزائر ومصر ،

ولا أدري إذا كان طه حسين يتصور شاعراً كعبد الله الفيصل فوق الناقة يقرأ ديوان « ليالي الملاح » لعل محمود طه ، و « السطائر الجريح » لإبراهيم ناجي ، و « رندلي » لسعيد عقل ، و « الغوى والشباب » للأخطل الصغير ، ويرى النزعة بدوية ، واللغة حضرية ضعيفة ومصرية^(٤) ، لا أدري كيف تكون اللغة في واد ، والنزعة في واد آخر ؟ أحب الألفاظ ألوان المعاني ، فمعاني البادية لا يعبر عنها بالفاظ الحضارة ، وعبد الله الفيصل مثله مثل بشار وأبي المعتاهية حيناً أكلا المرقق ، وزهداً في ظلال الزوراء ، لا تكون نزعتها بدوية ، ولعل مارون عبود أدق نقداً محروم من طه حسين إذ قال : « البداوة في ديوان محروم ليس يدل عليها شيء غير تلك الصور الفنية التي زين بها الكتاب »^(٥) ، ويسود أن المصور نفسه أخطأ وهو بشر مثل النقاد يتصور جو القصيدة ، كجو الجزيرة المزعم الحيام والبين ، وشهد المظي وإزماع الرحيل ، والنوق والحدادة ، مثل قول عبد الله الفيصل :

أزمعوا بيناً وشدوا رحلهم

فتوارى طيف أحلامي الجميل

وشيء ثانٍ يدخل في الأذهان فيعظمهم يريد أن يعبر عن الشاعر الكلاسيكي الاتجاه الذي هضم الشعراء القدامى بذي النزعة اليهودية ، على أنه ينبغي أن نتذكر أن هذه الكلاسيكية في أشعار هذا الأدب أو ذاك إنما هي ثمرة قراءة ليست ثمرة حياة ، وهذا التفرق بين نتائج القراءة وتأثير الحياة هو الذي يكشف أن البداوة المذكورة لا تختلف في شعر علي الجارم عنها في شعر الفيصل والفلاحي ، لأن واحداً من هؤلاء لو كان شاعراً بدوياً حقاً لما سمعنا هذا اللحن الشجي بلغة فصيحة .



★ علي الجارم ★



★ دارون حود ★

وشيء ثالث يزيد الإيهام ، فبعض الأدباء يخلط بين معنى الصحراء والبداوة ، كما فعل محمود عارف حينما شرح معنى البداوة للتحفيرة التي ذكر أنها أبرز خصائص أدبنا^(١) ، «فالإطار هو جو الصحراء ، ومميزات أدب الصحراء ، هي الحرارة في العرض ، والوحشة في غربة المسيرة الطويلة» ، وهذا وهم جليل ، فالصحراء ليست هي البداوة . في أميركا صحراء كبيرة ، لكن ليس فيها بدو بل فيها مصانع ومزارع ، وفي جنوب الجزائر صحراء لكن الذين فيها من البدو ، وبين الرياض وجدة صحارى شائعة ، فهل فيها بدو يقولون الشعر الفصح ويتأثرون بالصحراء ؟ الجواب : لا ، إذن الصحراء ليست هي البداوة . كل من عاش في الجزيرة لا بد أن يدرك أثر الصحراء على نفسه وفي حسه ، لكنه ليس ضرورياً أن يكون بدوياً ، صاحب خيمة وثاقفة ، بل هو صاحب سيارة وبيت ، يتمتع فيما يتمتع الناس فيه من ترف ، لكنه يفرج إلى الصحراء ليتنفس من جو المدن القاتم ، فلا يجد في الصحراء ماء ولا ظلاً ولا روضاً ، إلا السراب والقيظ وعصف الرياح ، والرمال الحمر ، والصحارى الممتدة الوحشة ، التي تضغ في الإنسان الإحساس الحزين ، وتشعره بالخوف وقد عرضت في غير هذا المجال لأثر الصحراء في الشعر^(٢) ، وذكرت أنها من أسباب النفس الحزين في الشعر التجديدي خاصة ، لأن نجد أكثر صحراء شبه سواها ، وشعرها ، لذلك أقل الشعراء وصفاً لمناظر البهجة والفرحة والرياض والبساتين والطبيعة ، وأكثرهم حزناً ، يمشد بهشتاداد الصحراء الوحشة ، التي لا تنقطع إلا لحماً على نزول المطر ، الذي سرعان ما يجرف ريعه ورياضه الصيف الحارق والريح العاصفة .

المواضع

- (١) من أدبنا المعاصر : ١٢٨ .
- (٢) أدب المملكة بين الآداب العربية : بحث محمود عارف ، بحث المؤلف الأول للأدباء ١٢/٢ .
- (٣) من أدبنا المعاصر : ١٣١ .
- (٤) جدد وقدماء : ٢٨٧ .
- (٥) قصيدة «حمة الشرق» من مجموعة شعرية مخطوطة .
- (٦) أدب المملكة بين الآداب العربية : بحث محمود عارف ، بحث المؤلف الأول للأدباء ، ١٢/٢ .
- (٧) الشعر الوطني في المملكة العربية السعودية ، دراسة مخطوطة .

السعودي



★ علي حود ★



★ إبراهيم ناجي ★

فالبداوة والبدو موجودون ، لكن هم شعراً بدوياً هو أبعد الشعر عن الفصاحة والتعبير السليم ، وإن كان أقرب الأدب إلى الصدق والبساطة والصفاء ، ويسمى الشعر النبطي أو العامي الشعبي ، وهو الذي يصح أن يطلق عليه كلام أولئك الدارسين بدقة وحق ، لا شعر الخواطر والمدن والثقافة والترف .

فكيف جاءت صفة البداوة إذن إلى أذهان الناقدين ؟ اعتقد أن هؤلاء الناقدين عندما يتناولون شعراً أو شاعراً من الجزيرة العربية تتداعى إلى أذهانهم الموروثات القديمة ، من الثقافة والحسين ، فينداعى إلى أذهانهم أن هذا الشاعر أو ذاك مثلاً يعبر عن أبي ربيعة وبجميل بن ميمر وبساجنون ، ويسرد ذكر العرار والشبح وصبا نجد ، سواء قلنا الشاعر أو لم نقلها ، فهم يخلطون بين البداوة القديمة ، وحياة شبه الجزيرة العربية الحديثة ، ويريدون أو يتوهمون أن الثانية كالأولى ، وأن هؤلاء الشعراء من الفلاحي والقشري والفيصل ، إنما هم بدو كأولئك الشعراء زهير والنايف والأعشى ، وهذا مزلق خطر يخلطون فيه بين الذكريات القديمة والحياة الحاضرة بقوى هذا الوهم غيوم الرؤية عن شعر الجزيرة .

لشخصية الكفيف

بقلم : د. ماهر محمود الهوارى



كانت المجتمعات القديمة لا تهتم بالكفيف ، بل إنها كانت تنظر إليه كشخص شاذ أو شخص غير طبيعي فكان يعمل إهمالا تاماً . وفي بعض المدن الإغريقية كأسرطة كان ينظر إلى الكفيف وغيره من المعوقين والمرضى نظرة غير عادية ، وكان ذلك الاتجاه يتأدى بترك المعوقين بدون رعاية حتى يبدركهم الموت . ومن أشهر المكفوفين في التاريخ القديم هوميروس الشاعر الإغريقي الذي تنسب إليه الإلياذة والأودسا . وديدemos ، وكان من أهالي الإسكندرية ، وعاش في القرن الرابع الميلادي وقد اكتشف طريقة لتعليم نفسه بنفسه وأصبح معلماً ورجل دين .

وتمشياً مع الروح الإسلامية السمحاء ، فتحت المدارس والكتاتيب أبوابها لتعليم المكفوفين خصوصاً حفظ القرآن الكريم ، مما يسر لهم الحياة العادية السرية ، وجعلهم يشعرون بأهميتهم وكيانهم في المجتمع . ومن شعراء العرب المشهورين بشار بن برد وأبو العلاء المعري .

ومن الأشخاص البارزين في عالم المكفوفين الذين كان لهم فضل كبير في هذا الميدان لويس برايل الذي ولد عام ١٨٠٩م ، وفقد بصره في سن الثالثة ، ثم أراد أن يتعلم الموسيقى فابتدع الطريقة التي سميت باسمه لإمكان معرفة « النوتة » الموسيقية ، ثم عم استخدامها للقراءة والكتابة في العالم أجمع . والوحدة في هذه الطريقة عبارة عن ست نقاط بارزة في شكل منظم ، وتبعا لأعداد النقاط واختلاف موضعها يمكن تمييز حروف الأبجدية المختلفة ، فتلأ حروف الألف له نقطة واحدة ، والباء نقطتان رأسيتان وهكذا . وقد أدى اكتشاف هذه الطريقة في القراءة والكتابة إلى إنشاء مدارس كثيرة لتعليم المكفوفين .

وفي العصور الحديثة بدأت رعاية المكفوفين بالإحسان المادي لهم عن طريق المساعدات ، ثم تطور الأمر إلى محاولات فردية للرعاية ، ومن هذه المحاولات عائلة فالتين هوي حيث أنشأ المعهد القومي للمكفوفين الصغار عام ١٧٨٥م ، وقد لفتت هذه المحاولة الأولى للترقية المنظمة للمكفوفين الأنظار ، وسرعان ما اتبع هذا الإجراء في

وكان للبدائيات السلبية تأثير كبير في الاتجاه نحو المكفوفين . وقد نادى رجال الدين من المسيحيين القدامى برعاية المعوقين والمرضى . ومع ذلك فقد كانت أوروبا المسيحية في العصور الوسطى لا تعمل على رعايتهم يزعم أن كلف البصر عقوبة إلهية . . وما دامت هذه رغبة الإله فيجب عدم رعاية المكفوفين . أما الإسلام فهو دين الرحمة للبشر كافة ، وقد عمل الحكام على رعاية المكفوفين ، وصرف الصدقات لهم ، وإنشاء المستشفيات لملاجئهم . كما عمل بعض ذوي الخير على وقف الأملاك على ملاجئ ومؤسسات لرعايتهم وإيوائهم . وفي القرآن الكريم جاء ذكر الأعمى في قوله تعالى :

﴿ عيسى وتولى . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنفخه الذكرى ﴾ (سورة عيسى ، الآيات ١-٤) .

وفي هذه الآيات عتاب للنبي لأنه عيسى من إلحاح الأعمى الذي جاء لطلب المشورة والتعلم من النبي . وفي آية أخرى :

﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ (سورة الحج ، الآية ٤٦) ، في هذه الآية إشارة إلى أن العمى الحقيقي ليس عمى الإبصار ولكن عمى القلوب التي ملأها الشر .



★ لعبة تعتمد على تنمية مهارات التعرف إلى الكميات ★

★ طفل كفيف البصر وضع على رأسه جهاز الكتروني يحول بواسطته تحديد موقع الشيء الذي أمامه ★



شاعراً بالإحباط، متأثراً بالحرمان، وحتى لا تصبح هذه الإحباطات ذات آثار مدمرة على شخصيته. ومن عذره الاحتياجات الإحساس للمحسوس بحب الوالدين، الإحساس بالأبناء،

إتاحة الفرص لاكتشاف العالم الخارجي، إتاحة الفرص للتعلم خلال الخبرة، معرفة قدراته، تنمية الشعور بالاستقلال. فالطفل يحتاج لأن يشعر بعلاقته الحميمة بالوالدين، ولأن يشعر بإنائه إلى أسرة متعاطفة متحابية. إن الاستجابات عن طريق البصر للطفل العادي تسبب له بسرعة معرفة الوالدين، وإدراكهم، والتعلق بهم، وجعلهم يتعلقون به، مما يرفع من شأنه إلى درجة عالية من الثقة بالنفس. أما الإحباطات التي تواجهها هذه الفئة من الأطفال، فهي تتم عن طريق السمع واللمس، لذلك من المهم أن يشعر الآباء الطفل بعلاقتهم الوثيقة به، ويندور الأسرة ونحوه إليها.

الحاجة إلى الحب

أما الحاجة للحب فلا يكفي أن يعبر الوالدان لفظياً عن حبهم للطفل الكفيف. إنه يحتاج إلى وسيلة محسوسة لتقيد ذلك الحب، ولذلك من المهم حل الطفل أحياناً، ومداعبته في أكثر الأحوال، وإشباع حاجاته الأساسية كالطعام والشراب والنظافة وغيرها، عن طريق الوالدين كلما أمكن ذلك، حتى يشعر الطفل بدلائل ملموسة على الاهتمام والحب.

جهات أخرى، حيث أنشئت مدارس للمكفوفين في بريطانيا وفرنسا وأمريكا.

وبالإضافة إلى ذلك فإن عدداً من المنظمات ركزت على مساعدة المكفوفين لتشغيلهم بعد تدريبهم، وإعدادهم للحياة بطريقة عادية أو شبه عادية. وكثير من الجمعيات أعدت كلاب الإرشاد لقيادة المكفوفين أثناء سيرهم، وحفظهم من أخطار الطريق. كذلك قامت هيئات للنشر تخصصت في طبع وتوزيع الكتب والمجلات الخاصة بالمكفوفين. وفي الوقت الحاضر في الولايات المتحدة تقوم الحكومة المركزية والولاية بمدة يد المساعدة للمكفوفين. خصصت لهؤلاء اليد. يتقون في منازلهم، وذلك بمساعدتهم على تعلم القراءة بطريقة (إسرائيل)، والحصول على مجلات ومعدات خاصة، مثل (ساعات إسرائيل) ومساعدات الضياع الاجتماعي وغيرها. ومكتبة الكونغرس مسؤولة عن إعداد وتوزيع الكتب المعدة بطريقة إسرائيل، كذلك الأشرطة وآلات الكتب المشككة (جردانين ١٩٥٦م).

الاحتياجات النفسية للطفل الكفيف

للطفل الكفيف احتياجات أساسية من المهم إتاحة الفرص لإشباعها، خصوصاً قبل سن المدرسة، حتى لا ينمو

الحاجة إلى التعلم

ومن احتياجات الطفل الكفيف أيضاً الحاجة للتعلم خلال الخبرة ، إن الخبرات التي يحصل عليها الطفل في أعمارها الأولى لا ترجع أهميتها فقط إلى ما نضيفه من معلومات ، لكنها أيضاً تنبع تعلم الوسائل التي يمكن اتباعها لزيادة معارفه . فالأهم من المعلومات في ذاتها معرفة كيفية الحصول عليها لأن هذا يتيح للكفيف منبعاً دائماً للمعلومات طيلة حياته .

وبالإضافة إلى ذلك فإن التعلم عن طريق الخبرات يؤدي بالطفل الكفيف إلى التفاعل مع العالم الخارجي ، فيتيح له الخروج من سلبيته ، تلك السلبية التي قد يرغم عليها نتيجة لإحساسه بالسجن الكبير الذي لا يستطيع التحرك فيه وفهمه ، إلا بمساعدة الآخرين . فالتعلم يؤدي إلى تعديل كبير في شخصيته يجعله إيجابياً متفاعلاً متمكناً من الحصول على الخبرات المختلفة بطريقة الذاتية ومتفهماً للعالم المحيط به . وقد وجدت ووجو (١٩٧٥م) في دراسة عن التنظيم الإدراكي عند المكفوفين أن البحوث تبين أن فقد البصر لا يمنع أو حتى لا يسؤر نحو عملية اكتساب المعلومات .

معرفة القدرات

والطفل الكفيف أيضاً يريد أن يعرف قدراته المختلفة . إلى أي مدى يستطيع أن يتحرك ، إلى أي مدى يستطيع أن يثق بنفسه في أعمال معينة ، كيف يسلك في مواقف مختلفة السلوك المناسب الذي يتيح له حسب الوالدين وتقدير الآخرين . إن الطفل الكفيف للأسف محاط بقيود شديدة ، وأوامر عديدة ، خوفاً على حياته ، ووقاية له من الحوادث ، وحفاظة على نظافته . . . لذلك من المهم تدريب الطفل وإتاحة الفرصة له لتجربة إمكاناته وتحسينها حتى يستطيع أن يصبح شخصاً وثقاً بنفسه وقدراته .

الشعور بالاستقلال

كذلك الطفل الكفيف في حاجة ماسة إلى الشعور بالاستقلال . إن الاستقلال والاعتماد على النفس ، ولو أحياناً ، يؤدي إلى تقدير الذات . إنه يشعر دائماً أن هناك من يعتني به ، هناك من يطعمه ، هناك من يقوده ويحركه من مكان لآخر ، ولكنه في محاولته تلك لبناء ذاته المستقلة يشعر أيضاً بالليل والهمرد تبعيته للآخرين ، لذلك يا حبذا لو قام الوالدان وغيرهم من المرين والمختصين بتدريب الطفل على الاعتماد على نفسه ولو في الأمور اليومية الحسية مثل النظافة الشخصية ، وتغيير الملابس ، وترتيب السرير ، والتحريك في حذوة معينة وهكذا . هذا كلها سارعنا في تدريبه واستقلاله مساعد ذلك على بناء شخصيته المستقلة .

تجربة عملية

وقد حاول صامويل جريندي هوي منذ مائة عام أن يدرس مشاعر المكفوفين وأحاسيسهم ، وما يؤثر فيها في المواقف المختلفة ، وكان أول مدير لمعهد بيركنز للمكفوفين ، فقام بتجربة رائعة (يسكر ١٩٥٤م) إذ ربط عينه لعنة أيام ، وتحرك في الأماكن المختلفة ، وقام بالنشاط العادية التي يمكن أن يقوم بها المكفوفون ، وذلك حتى يستطيع فهم شخصياتهم والاستيعاب بمشكلاتهم . فكان يعيش في الشوارع ، ويحترقها ، ويتبته لحركة المرور ، وكان يركب السيارات العامة ، ويترن منها . وقد أدرك مثلاً أن توقف السيارات فجأة أو تغيير اتجاهاتها يؤدي إلى بعض مشاعر الاضطراب والارتباك . كما أدرك أن أي فرد يغطي عينه لفترات قصيرة يصبح عارفاً وشاعراً بنفسه وبما حوله ، ويعطي انتباهاً للحواس الأخرى ، وأن الإحساسات الحركية يمكن أن تحل محل الإحساسات البصرية في الظلام ، وأن الأصوات كاصوات السيارات أثناء السفر تبدو أكثر شدة في غياب البصر ، وأن بعض ومضات من الضوء على فترات قصيرة يمكن أن تضايق الكفيف وتجعل توافقه مع الظلام أكثر صعوبة .

خصائص الطفل الكفيف

ومن خصائص الطفل الكفيف أنه قليل المشي بطيء الحركة ، ومحاولة اكتشافه للبيئة وتفاعله معها محدود . وهو غالباً متأخر في الكلام . وقد يبدو أن هذه الأمور تبعث على الدهشة ، ولكن بالتأمل والتفكير يتضح أن هذه الظواهر نتيجة طبيعية للتحديد الشديد لخبرات الطفل ، وتفاعله المحدود مع البيئة . وهذا أيضاً نتيجة للجهود التي تبذل للمحافظة عليه من الضرر . وبسبب أنه لا يرى الأخطار القريبة منه ، فإنه يبعد عن المواقف التي فيها أقل خطورة . كما يمنع من محاولة التوافق مع زملائه البصرين . وعادة تتبعه حماية مستمرة من حارس راشد . ولا شك أن هذه الاتجاهات تؤثر في شخصيته إلى حد كبير .

القدرة على الاتصال والتفاعل

ومن حيث القدرة على الاتصال والتفاعل مع الآخرين فإن الطفل الكفيف قد تكون حالته أحسن من الأصم ، وذلك لقدرة الكفيف على الاستماع والمناقشة وتعديل للواقع . وبالرغم من أن الأصم يستطيع أن يكون عدداً كبيراً من الفاعل عن بيته ، فإن الحاجة للصوت ضرورية للوصف والمناقشة تنقصه إلى حد كبير . والطفل الكفيف من جهة أخرى فإنه في خطر مستمر من العزل في اكتساب أي خبرة عن الحقائق التي تشير إليها الكلمات حتى إذا كان استعملها كما يبدو طبيعياً فإن كلامه يبدو أنه لم يبن على أساس خبرته الذاتية ، هذه الخبرة التي يمكن أن تكون وحدها حقيقة بالنسبة له .

فإن القطعة الثانية تعتمد على الخبرات والأحاسيس الشخصية للقناة . فإذا كان عالم الكفيف يمدد مجال متدوع وثري للفكر والخبرات مثل الطفل البصر إذا ما أعطي الفرصة لاكتشافه كالية ، ويعمق على أساس مفاهيم الصوت واللمس والرائحة ، إذا استطاع ذلك فإنه من المحتمل أن الثغرة في البصر والقدرة قد لا تظهر بين البصر والكفيف .

الحاسة السادسة

ومن الأمور الهامة التي تبتعث على التساؤل وتشير الاهتمام في شخصية الكفيف : كيف يستطيع أن يتبين طريقه بدقة ويتجنب العوائق ؟ هل يتمتع بحاسة سادسة يسترشد بها في طريقه ؟ هل فقد البصر أدى إلى نمو في حواسه الأخرى بما يعوضه عن فقد هذه الحاسة ؟ الواقع أن هناك تساؤلات كثيرة في هذا الموضوع ، فقد لوحظ على مدى التاريخ أن كثيراً من المكفوفين يستطيعون أن يتجنبوا أخطاراً تواجههم في الطريق كحفرة في الشارع ، أو رصيف مرتفع ، أو حائط يعترض الطريق ، إلى غير ذلك . وقد شغلت مثل هذه الملاحظات بالباحثين ، واعتقد كثير من الناس أن المكفوفين يمتلكون «حاسة سادسة» يمكن أن ترشدهم ، وتكون لهم عيوناً بديلة .

فن قاتل إن المكفوفين يشعرون بتغير ضغط الهواء نتيجة وجود عائق ، وقتل آخر إنهم يشعرون بتغير في أصوات وقع أقدامهم ، أو العصي التي يسكون بها .

وقد قام رولانسكي (بيكر ١٩٥٤م) بعمل تجارب في هذا الشأن حيث وضع ألقعة على أوجه المكفوفين حتى لا يشعروا بضغط الهواء عند الاقتراب من العوائق . ومع ذلك فقد استطاعوا تمييز العوائق بالألقعة ،

كما هو الأمر بدونها ، وإن كانوا أقل ثقة وقدرة . وعندما غطى رولانسكي أذانهم حتى يمكن استبعاد الإحساسات خلال الأذن لم يستطع المكفوفون تمييز العوائق بدقة . كيف تستطيع الأذان اكتشاف اقتراب العوائق ؟ هذا أمر ليس من السهل تفسيره . ولكن يعتقد أن المكفوفين يستطيعون التقاط الإحساسات السمعية الدقيقة . وبعض الباحثين حاولوا توضيح هذا الإحساس بالعوائق على أساس تغير في أصوات وقع الأقدام والتغير في الحرارة وعوامل أخرى مشابهة .

الفروق في القدرات

والبحوث الحديثة تثبت أنه في غياب البصر فإن القدرات الأخرى تستخدم أكثر . ولكن يبدو أن هذه القدرات توجد بدرجة متساوية بوجه عام بين المبصر والكفيف . والفروق الظاهرة هي مجرد فروق في الاستخدام الشعوري للحواس الأخرى غير البصرية . وقد وجد ورشل (جرذان ١٩٥٦م) ، أن الأفراد المبصرين الذين يتحركون مغطو العينين كانوا أكثر تفوقاً من

وهناك مثال واضح لذلك فقد كتبت هيلين كيلر (جوانس ١٩٥٦م) ، التي ولدت بكاه صباه عمياء تاريخ حياتها بقلمها . . كتبت نصف ليلة بجوار البحر ، ونجد في الوصف أن الجمل جميلة والتعبير قوي . والقارئ المنتبه سوف يدرك أن الخبرات التي تصفها تعتمد كلية على الإحساسين اللذين يتقنسان هيلين كيلر وهما السمع والبصر . إنها تتحدث عن ألوان الأزهار ، وصوت البحر ، وسرور القمر واتعكاساته على سطح البحر ، فن أين لها بالأحاسيس التي تؤدي إلى القدرة على هذا الوصف الرائع ؟ إنها بالطبع لم تعبر عن أحاسيسها ، لكنها نقلت عن خبرات وكتابات الآخرين ، كما هو الموقف لبشار بن برد الشاعر العربي الذي ولد أعمى والذي يقول في وصف الحرب :

وجيش كجبح الليل يزحف باغمص
وسالوك والحطى حمر ثعلابه
غدونا له والشمس في خدر أمها
تسطالنا والسطل لم يجر ذاتيه
كان مشار التفع فوق رؤوسنا
وأسلانا ليل تهاوى كواكبه

وبقابل هذا الوصف يوصف آخر لقناة عمياء تصف فيه معتمدة على أحاسيسها فقط ، جولة في الصباح الباكر فتتحدث عن الأصوات والروائح ، والإحساس بالشيء بالطريق تحت الأشجار الضخمة ، وعلى الحشائش والأشياء التي تلمسها بأصابعها .
إن الصورة هنا زاهية وحية كالقطع الأخرى . ولكن بينا القطع الأولى هيلين كيلر وبشار بن برد تعتمد على تقارير وأوصاف الآخرين ،

★ معنى عامة لشهادة المكفوفين في السير ★



المكتوفين في معرفة الأمكنة من حيث الإدراك الحسي للأشكال ، ومن حيث القدرة على تحليل أوضاع الأشكال في الفراغ .

سن حدوث العمى

وهناك عامل هام آخر له تأثير كبير على شخصية الكفيف وهو السن الذي حدث فيه العمى . فالعمى الذي يحدث قبل سن خمس سنوات له تأثير أخطر وأشد من ذلك الذي يحدث بعد هذه السن ، لأنه في الحالة الأخيرة يكون الطفل قد تمكن من بناء المفاهيم الأساسية في الحياة ، والوعي بنفسه وبصوره جسمه وبيئته خلال الخبرات البصرية . كذلك فإن قدرته على التصور البصري تظل قائمة ولو إلى حد ما .

الخوف من الضرر

ومن العوامل الأخرى التي تؤثر في شخصية الكفيف خوفه من الضرر بواسطة العوائق ، فالكفيف يسمع الأصوات المتتمة ، ويشعر بالأحاسيس المختلفة ، للشمية والسمعية والشمية ، وهو كمثل إنسان يرغب في الاستجابة لتلك الثبرات ، وإشباع الميل للكشف والاستطلاع ، لكن خوفه من الاصطدام بالعوائق أو التعرض لما قد ينجم عنه أذى يحد من كبحل حركته ويكف نشاطه . وبالتدريج قد يصبح خاملاً بطيء الاستجابة إذا لم يبادر الوالدان أو المربون بتعليمه وسائل التحرك السليمة ، والطرق الآمنة التي قد يستطيع الانتفاع خلالها داخل المنزل ، أو حتى خارجه . هذا ويمكن أن تعد البيئة المنزلية لتسهيل تحرك الكفيف بإزالة العوائق من الأماكن المطروقة له ، فيؤدي ذلك إلى انطلاقه ، وعدم إحساسه بالقيود ، وتفاعله مع البيئة ، وهذا بالتالي قد يساهم في توافق شخصيته .

مواجهة المشكلات

هذا والكفيف مثل المعادي عليه أن يواجه المشكلات التي يواجهها كل فرد في المجتمع مثل مشكلات النمو ، وخصوصاً مراحل المراهقة وإكتمال النمو ، كذا مشكلات التوافق الاجتماعي . وقد وجد فاهين في دراسة أجراها عام ١٩٦٨ م ، نسبة مرتفعة من الاضطرابات الانفعالية لدى المكتوفين ، ومتعلقة باضطرابات الشخصية خلال مراحل النمو (جيفلورد ١٩٧١ م) . ومن الظواهر غير العادية في الشخصية التي تلاحظ كثيراً عند بعض المكتوفين كثرة التخيل ، وأحلام اليقظة .

فأحلام اليقظة يمكن اعتبارها ظاهرة عادية حيث إنها موجودة عند جميع الأفراد تقريباً ، وقد يكون لها فائدة أحياناً ، حيث تعمل على التنفيس عن بعض الرغبات ، كما قد تؤدي إلى حث السلوك عند الإنسان لتحقيق ما يبتغى ، إلا أن كثرتها قد تؤدي إلى السلبية ، وبالتدريج قد تؤدي أحياناً إلى خروج الإنسان عن عالم الواقع إلى عالم الخيال الذي يبنى على هواء ، ويحقق فيه كل رغبته .

والواقع أن الكفيف كالشخص العادي قد يشعر بالإحباط فليجأ إلى أحلام اليقظة في محاولة تعويضية لإشباع نزغاته المختلفة . ويلاحظ أن أحلام اليقظة كأحلام النوم عند الكفيف ، عبارة عن صور صوتية ، وليست بصرية خصوصاً عند المولود أعمى . وفي أحلام اليقظة يحقق ما عجز عن إدراكه ، أو فهمه ، أو إشباعه في العالم الخارجي . ونظراً للظروف المحيطة التي تحيط بالكفيف فإن لجوئه إلى مثل هذه الإشباعات البديلة قد يكون أكثر منه لدى العائدين . وقد يصاحب هذه التخييلات كلام كثير مع نفسه يناقش فيه سلوكه وسلوك الآخرين . وكثرة أحلام اليقظة وزيادتها عن الحد المعقول قد تؤدي إلى تعود الكفيف الحياة في عالم من نسج الخيال يتبع فيه رغبته ، ويحقق آماله ، ويتنصر على أعدائه ،

ويحصل فيه على ما لم يحصل عليه في عالم الواقع . وقد يؤدي هذا بالتدريج إلى انفصاله عن عالم الواقع إذا ساعدت ظروف أخرى على ذلك .

الاعتماد على النفس

والكفيف بطبيعة عاقته ، يعتمد على غيره في بعض الأحوال ، ويعتبر هذا عادياً . ولكن إذا كان الاعتماد على الغير دائماً وفي كل الأحوال فإن هذا يجعل منه شخصية اتكالية إلى حد كبير ، وقد تأخذ هذه الاتكالية في التزايد - كوسيلة هروبية - حتى تشمل كل نواحي الحياة تقريباً . ولذلك فإن تربية الطفل الكفيف يجب أن تشمل أيضاً إعطاؤه الحرية والفرصة للاعتماد على النفس ، بتدريبه على الحركة في الحدود الآمنة ، وقضاء بعض حوائجه مهما لاقى في ذلك من صعوبات كالاعتماد على ترتيب سريريه وارتداء ملابسه وإطعام نفسه . ثم إعطاؤه الفرصة للحركة داخل المنزل وخارجه ، وهكذا تتاح له الفرصة لنمو الشخصية المستقلة المعتمدة على نفسها .

كذلك فإن الكفيف يحكم عاقته قد يشعر بالنقص ، خصوصاً حالات الذين أصبحوا بالعمى بعد الولادة بفترة ، ولا تريد هنا أن نقول إن الكفيف يحسن أن يتجاهل عاقته فهذا أمر مفروض تماماً ، وله نفس الإخطاء والخطورة كالمبالغة في المعاة وأشأرها . إن دراسات علم النفس ودراسة حالات الأفراد الذين تفوقوا في الحياة إلى مدى بعيد مثل هوميروس الشاعر الإغريقي ، وديديموس المصري ، وإشأر بن برن ،

وأبو العلاء المعري ، وفي العصور الحديثة طه حسين ، وهيلين كيلر تبين أن الإنسان يمكن أن يتفوق رغم عاقته ، أو على الأقل يمكن أن يعيش ناجحاً سويماً . لذلك فإن مشاعر النقص الشديدة عند الكفيف تعتبر مشاعر غير سوية ، ويجب العمل على وقاية الطفل الكفيف منها بفهمه حقيقة قدراته ، وإعطائه الفرص للنجاح في الأعمال التي يمكنه أدائها ، ولا شك أن النجاح يؤدي للنجاح ، وبذلك يمكن وقايتها من أثر ذلك الشعور الضار بالشخصية .

له . ويجب ألا يوبخ أو يعامل بسوء للتخلص منها . ولكن التوجيه بهدوء قد يكون مناسباً لكثير من الأطفال مع مساعدة الطفل على التخلص من القلق ، وعلاجه ، وإيجاد مناشط إيجابية لاستغراق طاقته . ويمكن أن نلحظ هذه اللزمات بعملية مص الإبهام وهي مرحلة يمر بها جميع الأطفال تقريباً . وقد يكون ذلك مقبولا من الطفل الصغير جداً ، أما الطفل الكبير فإن ذلك يكون موضعاً للسخرية . ومن أهم الوسائل تأثيراً لمساعدة الطفل على التغلب على هذه اللزمات إمداده بوسائل للتسلية ، وللعاب مثيرة ، وأنشطة ذات اهتمام حقيقي بالنسبة له . ومع ذلك فإن التشجيع المباشر قد يكون ضرورياً .

التعبيرات الحركية

ومن الخصائص الأخرى التي نلاحظها عند الكفيف عدم وجود التعبيرات الوجهية المناسبة . فالطفل البصر يستجيب لتعبيرات الوجه عند أمه كما يستجيب لحركاتها . والسمع ينبيه إلى الأفعال التي تقوم بها الأم ووجودها إلى جانبه . والمبصر يمكنه من رؤية أمه والاستجابة لها بطريقة سريعة . أما الطفل الكفيف فنظراً لعدم رؤيته للأم ، وعدم رؤيته للتعبيرات الوجهية عند الآخرين ، وبالتالي يعجز عن تقليدها فإن مثل هذه التعبيرات لا تظهر على وجهه في أغلب الأحوال . فالكفيف عندما يغضب أو يفرح أو يندبش فإن ملامح وجهه قد لا تبدل على ذلك .

وهذا يؤدي إلى ضعف الاتصال مع الآخرين من البصرين . وقد ذكر دوماس (بيكو ١٩٥٤ م) ، بعض تجارب أجراها على المكفوفين في المعهد القومي للمكفوفين بباريس عن إظهار تعبيرات وجهية معينة . وفشل البحث ٣٣ فرداً من المولودين عمي ، وطلب منهم أن يعبروا بوضوحهم عن عواطف قوية أو ضعيفة مثل السرور والفرح والغضب والحول فلم يستطيعوا أن يعملوا ذلك ، لأن التقليد بهذه الصورة من أصل بصري فلهذا ، أي ناتج عن طريق المحاكاة ، فالتعبيرات الحركية للوجه عند المكفوفين أقل منها عند البصرين .

ردود أفعال الآباء نحو الطفل الكفيف وأثرها

إن تربية الكفيف تبدأ حقاً مع ولادته ، أو عندما يكتشف العجز . ولا يحتاج الوالدان إلى المساعدة فقط ، ولكن إلى النصيحة والمعلومات التي تساعد على تربية الطفل الكفيف والتعامل معه . كذلك تساعد هذه المعلومات على تجنب القلق الذي لا فائدة منه لدى الوالدين . وكذلك فإن هذه المعلومات مهمة ، لأن وعي الطفل بنفسه ومعرفته بيئته — الذي يعتمد على البصر في السنوات المبكرة — يجب أن ينمو بوسائل أخرى . وربما الأهم من كل ذلك العلاقة مع الأب والأم التي ينبغي على أساسها نمو الاجتماعي العاطفي للطفل . إن الآباء يتباين استجاباتهم لصدمة كون الابن كفيفاً ، ومن هذه الاستجابات : النبذ ، الانقياس ،



★ الطفل استخدام كافة الأصابع في قراءة (بريل) ★

لازمات الكفيف

ومن الخصائص الموجودة عند كثير من المكفوفين ما يسمى باللازمات ، فإذا لاحظنا المكفوفين بدقة نجد أن كثيراً منهم يقومون بحركات عصبية تعتبر من الخصائص المميزة لهم مثل وضع الأصبع في العين ، هز اليدين ، هز الرأس . وأغلب الأطفال المكفوفين يمشون بهذه المرحلة من اللازمات في خلال نموهم العادي ، ويرى كثير من الباحثين أن مثل هذه اللازمات هي نتيجة ضعف أو بسط الاستثارة (ستراتون ١٩٧٧ م) ، سواء منها اللمسية أو السمعية من أحد الوالدين ، لذا فإن الطفل يترك نفسه للتعبيرات الداخلية مما يلجأ معه إلى تلك اللازمات .

وفي المراحل الأولى من العمر فإن هذه اللازمات لا تشير الاهتمام في حد ذاتها إلا أنها قد تؤدي إلى تعطيل أو اضطراب بعض العمليات الهامة في حياة الكفيف مثل القراءة أو الحركة . كذلك إذا استمرت هذه اللازمات فترة من الزمن فإنها تصبح عادات حركية من الصعب تغييرها . وهي قد تدل أيضاً على اتجاهات سلبية في حياة الكفيف ، وسيلة للتخفيف من القلق ، فكلمة احتياج للاستشارة ، أو كلمة واجهته مشكلة ، أو موقف ما لجأ إلى تلك الحركات . هذا إلى أنها تؤدي إلى مظهر اجتماعي غير مناسب عن الكفيف . لكل هذه الأسباب من المهم مساعدة الكفيف على التخلص من هذه اللازمات في أسرع وقت مناسب

القلق ، عدم القدرة على مواجهة المشكلة ، الحياة الزائدة . فالتبذ قد يشعر به الأب كرد فعل لما قد يرى فيه انقساماً إيجابياً للذنوب ارتكبها . لذلك فهو لا يريد ولا يتقبل من يذكره بخطئه وسوء حظه .

إن الطفل الكفيف يحتاج فعلاً إلى رعاية أكثر ويحتاج إلى إشباع دوافع هامة وعاجلة ، ولكن الأب قد يقايل ذلك بالحرمات وعدم التقبل . إن الطفل الكفيف يحتاج إلى إثارة وتنبيه ، أكثر من الطفل البصر ، لكنه في الواقع قد يأخذ أقل . ومن الآباء من يستجيب لهذه الصدمة بالانقباض ، إن بعض الآباء قد يتدب حظه العائر هذه الكارثة التي آلت به .

إن الطفل يذكره دائماً بسوء حظه . وقد ينتهي به الأمر إلى الانقباض ، ليس فقط كمرض مرضي ، ولكن بصيغة خاصة في مواجهة التطلعات الأساسية للطفل الكفيف . إنه قد يستجيب له بالجمود والتجاهل التام . وبعض الآباء قد يستجيب بمشاعر القلق وعدم القدرة على التصرف في مواجهة مشكلة الابن الكفيف ، إن مشاعر القلق تؤدي إلى إحساسه بالأههام بالمشكلة ، ولكنه اعمى مرضي يجعله غير قادر على التصرف ، وغير قادر على الاستجابة المناسبة لشؤون ابنه الكفيف .



وهناك فئة من الآباء قد تستجيب للطفل الكفيف بالحماية الزائدة . والواقع أنه من الحاجات الهامة عند الطفل الكفيف الحاجة إلى الاعياد على النفس ، والاستقلال ، وتعلم عمل الأشياء المناسبة له بنفسه . والحياة الزائدة ليست عطفاً عليه ، لكنها خدمة سيئة وغير مطلوبة ، وهي تضيف عبئاً جديداً على مشكلات الطفل الكفيف . والحماية الزائدة تتضمن في الواقع عدم تقبل الطفل الكفيف كفرد له حقوقه الذاتية قادر على أداء الوظائف المناسبة لقدراته . وعلى المدى الطويل فإنها تهدد شعوره بالأمن ، وتثير فيه الخوف من فقد الحماية .

إن مثل هذه الاستجابات غير السوية من الآباء تتطلب وقتاً لفهم الموقف على حقيقته ، وللتصرف بطريقة سوية ، والتخلص من المشاعر غير المناسبة . والإرشاد النفسي في ذلك الوقت يكون أكثر فائدة ، لذلك من المهم توفير خدمات الإرشاد النفسي وجعلها ميسورة لأسر المكفوفين . إنه من الجلي أن تأخير أو تعويق عملية الإرشاد قد يؤدي إلى تكوين أنماط لا سوية في شخصية الطفل تتكون كنتيجة لسلوك الوالدين مما يؤدي إلى تأجيلها ، وبالتالي قد تساعد على الانحراف .

إن دراسات جامعة شيكاغو على الأطفال المكفوفين (استراتون ١٩٧٧م) ، تؤكد أهمية أثر الأسرة والبيئة على الطفل الكفيف من حيث نموه وشخصيته . وتنتمي في تقريرها إلى أن نواحي النص التي تنسب عادة إلى العمى ترجع أساساً ليس إلى الإعاقة الجسدية في ذاتها ، ولكن إلى تحديد فرص التعلم التي يغيرها الطفل . وتقرر أيضاً أن الطفل الكفيف من السهل التأثير على حالته النفسية ، وأنه يعاني بدرجة كبرى من أي ظروف غير مناسبة للنمو . إنه لغني عن البيان أن نوضح أثر الأسرة في تربية وتنشئة الطفل .

فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة للطفل العادي ، فإنه من باب أول أن يكون الأمر أشد أثراً بالنسبة للطفل العمى ، وخصوصاً الطفل الكفيف الذي فقد نعمة البصر وما تيسره من متعة وتعلم وإدراك كثير من معاني الحياة . ولكن إذا نما الطفل مستقلاً معتمداً على نفسه فإنه لا يخشى التغيرات ، أو المواقف الجديدة التي لم يكتشفها بعد ، كما أنه يستطيع الاعياد على إمكانياته المحدودة ، ويستطيع تعلم اكتشاف المواقف الجديدة ، والتعامل معها . إن الحماية الزائدة قد تكون عقبة في نمو الطفل ، وتؤثر في شخصيته من حيث العلاقات الاجتماعية والشعور بالأمن . إن أهم أنواع المعطف الذي يمكن أن توفره الأسرة للطفل الكفيف ، وأصعبها أيضاً هو أن تجنب الحياة الزائدة بأي طريق ، وتعليمه كيف يمكن أن يعتمد على نفسه ليصبح مستقلاً . والطفل الكفيف إذا كان عليه أن ينمو بطريقة سوية ، ويكون له شخصية مستقلة ويعيش حياة كاملة مثل إخوانه البصرين ، فإن ذلك يكون فقط لأنه منذ الطفولة الأولى قد بذلت جهود خاصة داخل الأسرة لتشجيعه وتنمية قدراته التي يمتلكها إلى أقصى حد . وهو مثل الأطفال المعاقين الآخرين يحتاج إلى إجراءات خاصة لحمايته ، ومثل هذه الإجراءات يجب ألا يسمح لها بأن تلغي حرته الشخصية في أن يتحرك ويلعب ، حتى إذا كان الأمر يستدعي بعض المخاطرة وسدود ذلك فإنه يستحيل عليه أن يحيا حياة عادية في عالم البصرين !

حضرته العرب

تأليف: د. غوستاف لوبون
ترجمة: عادل زعيتر



مركز دراسات عربية

★ عادل زعيتر ★



تأليف

د. غوستاف لوبون

نقله إلى العربية

عادل زعيتر

عرض وتمتدح

محمود الأرنؤوط

حضارة العرب

أجد نفسي مرغماً أو مدفوعاً إذا صح التعبير ، قبل أن أحذثك عزيزي القارئ عن هذا الكتاب ، أن أسجل بعض الكلمات عن العلامة المؤرخ ، والأديب المفضل الأستاذ عادل زعيتر (١٨٩٧ - ١٩٥٧ م) واحد من أسهموا في حركة الترجمة في مشرقنا العربي ، في النصف الأول للقرن العشرين ، هذا الرجل الذي كرّس جل أوقات عمره ، لينقل لأبناء أمته أروع وأهم ما صنف الباحثون والكتاب ، في فرنسا القرن التاسع عشر ، من أمثال : جان جاك روسو ، وفولتير ، وأنتاتول فرانس ، وإميل لودويغ ، وغوستاف لوبون ، وإن كان الأخير أجودهم نتاجاً في الكم والكيف من الزاوية التاريخية ، وقد بلغت المصنفات التي ترجمها نحواً من أربعين مجلداً لو ضمت إلى بعضها لشكلت مكتبة ثقافية مرموقة ، والمتتبع للمصنفات التي ترجمها الرجل يجد له دوراً لا يقل أهمية عن دور الترجمة في تلك الكتب ، ألا وهو دور الناقد الناقد البصيرة ، وخاصة في (حضارة العرب) هذا ، حيث يتصدى للجوانب التي جانب الصواب فيها المؤلف ، نالداً معلفاً معيداً الكتاب والكتاب إلى الرأي القوي السديد ، سيما وأن المؤلف يتناول في كتابه تاريخ الأمة العربية وكل من اتصوى تحت حكمها من الشعوب ، وهو لا يقتصر في كتابه هذا على ذلك ، بل لم يترك دولة إسلامية قامت للموالي دون أن يتحدث عنها ، لذلك مهما أحاط لوبون وأجاد في كتابه لا بد وأن يفسوته القليل أو الكثير تبعاً لأهمية الفصل الذي يتحدث فيه ^(١) .



★ شراف ★



★ ابن ردد ★

العرب وبيئاتهم ، ودرس فيه أخلاقهم وعاداتهم وطبائعهم ونظمهم ومعتقداتهم وعلومهم وآدابهم وقوانينهم وصناعاتهم وتأثيرهم في المشرق والمغرب وأسباب عظمتهم والخطأ عليهم .

وما تجدر الإشارة إليه أن لوبيون يتحدث عن العرب وحضارتهم منذ العصر الجاهلي ومروراً بالعصر النبوي والدولة الأولى التي أقامها الخلفاء الراشدون ، ومنتهياً إلى ما تلاها من الدول والتي كانت آخرها الدولة العثمانية .

يقول لوبيون عن العرب : إنهم لم يكونوا من الأجناس قبل الإسلام ، وإن السجانيات الخلقية للعرق العربي هي التي عثت النجاسة ، ويضيف : إن الحضارة التي أقامها العرب في أقل من مئة سنة مرت على البعثة الحمادية ، هي من أنضج الحضارات التي عرفها التاريخ ، والتعصب الديني وحده هو الذي أعصى بصائر مؤرخي الغرب عن الاعتراف بفضل محمد (صلى الله عليه وسلم) . ويضيف : إذا ما قست قيمة الرجال بجليل أفعالهم كان محمد (صلى الله عليه وسلم) من أعظم من عرفهم التاريخ . ويمضي لوبيون إلى القول : صار العرب أمة واحدة بفضل الإسلام ، وأصبح الإسلام مثل العرب الأعلى ، واكتسب العرب من الجمعية ما استعدوا معه لفتح العالم إعلاء لسانه بقيادة زعمائهم الماعرين .

الباب الأول

وقد تضمن ثلاثة فصول ، تحدث لوبيون في الأول منها عن جغرافية الجزيرة العربية ومساحتها وسكانها ورجالها وسوقها وأقسامها ، وفي الثاني منها تحدث لوبيون عن العرق العربي بشكل مبسط ومنذ أقدم العصور ، وفي الثالث منها تحدث لوبيون عن حياة العرب قبل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وعن العادات والتقاليد التي كانت سائدة عند العرب في تلك الفترة .

كان من نتائج اصطراع الشرق والغرب منذ قرون مضت ، وإلقاء العرب الرعب في قلوب الأوروبيين ، أن صار الأوروبيون يشعرون بمسألة الخضوع للحضارة العربية التي لم يتحرروا من سلطتها إلا منذ زمن قريب . فأدخلوا ينكرون فضل العرب على أوروبا وتدينهم لها ، وأصبح هذا الإنكار من تقاليد مؤرخي أوروبا وكشأها الذين لم يُقرُّوا لغبر اليونان والرومان بتدوينها ، وقد ساعد على هذا ما عليه العرب والسلمون من التأخر في الزمن الأخير ، فلم يشاؤوا أن يروا للعرب رقباً تاريخياً أعظم مما هم عليه الآن غير ناظرين إلى أن نجم حضارة العرب أقبل منذ أجيال ، وأنه لا يصح اتخاذ الحال السراينة دليلاً على الماضي ، وعلى الرغم من ذلك لم تخل أوروبا ، من مؤرخين أبصروا ما للعرب من فضل في تمدن أوروبا ، فالفوا كتباً اعترفوا فيها للعرب بما ليس فيه الكفاية^(١) .

موقف لوبيون من العرب والرسول

وقد راع هذا الجهد العلامة الفرنسي الشهير الدكتور غوستاف لوبيون^(٢) ، وهو الذي هدته رحلاته في العالم الإسلامي ، ومباحثه الاجتماعية إلى أن العرب هم الذين مدنوا أوروبا ، فرأى أن يعث عصر العرب الذهبي من مرقده ، وأن يبديه للعالم في صورته الحقيقية ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فأخرج كتابه (حضارة العرب) عام ١٨٨٤م ، وقد سلك العلامة لوبيون بتأليف كتابه هذا طريقاً لم يسبقه إليها أحد ، فجاء جامعاً لعناصر هذه الحضارة وتأثيرها في العالم ، شاملاً لجوانبها مفصلاً لعواملها ، باحثاً في قيام دولة العرب وفي أسباب عظمتهم والخطأ عليهم ، مبتعداً عن أوهام الأوروبيين التقليدية في العرب والإسلام^(٣) .

وقد استعان لوبيون بطريقة التحليل العلمي على الخصوص ، فأوضح في كتابه هذا الصلة بين الحاضر والماضي ، ووصف فيه عرق



★ من سينا ★

ومعتقداتهم ، ثم يتحدث عن الدور الحضاري الذي شهدته مصر بعد الفتح العربي الإسلامي لها ، وفي هذا الصدد يقول : إن السري الذي جلبه العرب لمصر لم تعرف له مثيلاً منذ فجر التاريخ ، واختتمه بإخديت عن بناء القاهرة على عهد الفاطميين ، وعن الطراز العمري لمساجد القاهرة وغيرها من المدن في مصر .

وفي الفصل الخامس يتحدث المؤلف عن الشمال الإفريقي ، ونراه يسهب في الحديث عن تاريخ الشعوب والقبائل التي سكنت تلك المناطق ، ويركز حديثه عن البربر على اعتبار أنهم من أقدم الشعوب التي سكنت الشمال الإفريقي بشكل عام ، ثم يرجع إلى الحديث عن أثر وصول الدين الإسلامي إلى سكان تلك المناطق ، والأثر الواضح لتحضر شعوب تلك المناطق الإفريقية على أيادي الفلاحين المسلمين ، وينتهي هذا الفصل في الحديث عن المضاعف التي واجهت الجيش العربي الإسلامي في فتح تلك المناطق الشاسعة المترامية الأطراف ، وفي تحضير شعوبها ونقلهم من حياة البداوة ، إلى حياة مدنية مستقرة ضمن مدن مزدهرة عمرانياً وثقافياً .

الباب الثاني

ويتكون من فصلين ، تحدث لويون في الأول منها عن نشوء الدولة العربية وعن مراحل الدعوة التي قام بها الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، بينما كرس الفصل الثاني للحديث عن (القرآن الكريم) ، ونراه يقول في هذا الصدد : إن روح العدل والإحسان في القرآن هي من أهم أسباب انتشاره .

الباب الثالث

من أوسع أبواب الكتاب وقد ضم ثمانية فصول ، تحدث لويون في الأول منها عن دولة الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) وعن فتوحاتهم العظيمة ، ثم انتقل فيه للحديث عن الدولة الأموية مشيراً إلى مراحل القوة والضعف فيها ، واختتمه بما آلت إليه حال بني أمية بعد زوال دولتهم .

وفي الفصل الثاني تحدث لويون عن الدولة العباسية وعن فتوحاتها ورفقها ، وفي هذا الصدد يقول : كان دور الحضارة الذي عرفته بغداد في عهد الرشيد وابنه المهامون من أنضر أدوار الحضارة العربية ، ويختم هذا الفصل بالحديث عن أسباب المحطات الخلافة العباسية ومنه ترف الخلفاء .

ويتنقل المؤلف في الثالث إلى الحديث عن الحضارة السني وأوجدها العرب في بلاد فارس والهند ودول شرق آسيا ، وعن الدول الإسلامية التي نشأت هناك بعد الفتح الإسلامي .

العرب في مصر

في الفصل الرابع لهذا الباب ، يتحدث المؤلف عن حال الفتح الإسلامي ، وعن احترام عمرو بن العاص لنظم المصريين وعاداتهم

العرب في الأندلس

الفصل السادس من هذا الباب خصصه لويون للحديث عن العرب في إسبانية (الأندلس) ، فيقول : لم يكن حب التسوع وحده هو الذي حفز العرب الذين ترامت أطراف دولتهم إلى فتح إسبانية . ويضيف : دخل جيش إسلامي مؤلف من اثني عشر ألف جندي بلاد إسبانية في سنة ٧١١ م ، أي زمن الخليفة العاشر^(١) الذي كانت دمشق عاصمته ، ثم يقول : من يقطع القسم الجنوبي الحصب من بلاد إسبانية يعلم مقدار التأثير الذي أثر به في نفوس العرب حينما استولوا عليه ، فقد بهرتهم تربته وهواؤه ومدنه ومبانيه . ويضيف لويون : لقد وصفت إسبانية في كتاب أرسله قائد الجيش العربي^(٢) إلى الخليفة الأموي ، بأنها (شامية في طبيها وهوائها ، مائية في اعتدالها واستوائها ، هندية في عطرها وذكاها ، أهوازية في جباياتها ، صيفية في معادن جواهرها ، عذنية في منافع سواحلها) . ثم يصف لويون فتح الأندلس في سهولته على أيدي العرب فيقول : كان العرب قد قضوا لحسن سنة في فتح إفريقيا البربرية ، ولم يفضوا سوى بضعة أشهر في فتح جميع إسبانية النصرانية . وعن حضارة العرب في الأندلس يقول لويون : كانت إسبانية النصرانية ذات رخاء قليل وثقافة لا تلائم غير الأجلاف في زمن ملوك القوط ، ولم يكد العرب يتمون فتح إسبانية حتى بدأوا يقومون برسالة الحضارة فيها ، فاستطاعوا في أقل من قرن أن يجيوا ميت الأرضين ويعمروا خرب المدن ، ويقوموا فخم المباني ويوطدوا وثيق الصلوات التجارية بالأسم الأخرى ، ثم شرعوا يتفرغون لدراسة العلوم والآداب ويتزجروا كتب اليونان واللاتين وينشئون الجامعات التي ظلت وحدها ملجأ للثقافة في أوروبا زمنياً طويلاً .

المجاني العربية في الأندلس

وعن المجاني العربية في الأندلس يقول لوبيون : استخدم العرب في بدء إقامتهم بإسبانية ، مهندسين من الروم ، ولكنهم لم يلبثوا أن أنشروا بعفريتهم الفنية في أولئك المهندسين ، وبلغ إبحاؤهم في أمور الزينة مبلغاً صار يتعدى معه على أقل الناس دقة أن يخلط مسابيحهم بالمجاني البيزنطية .

العرب في صقلية وإيطالية وفرنسة

في الفصل السابع من هذا الباب تحدث لوبيون عن الآثار الحضارية التي خلفها العرب في كل من صقلية وإيطالية وفرنسة ، يقول : إذا علمنا أن قيمة تأثير إحدى الأمم في أمة أخرى من ناحية الحضارة تقدر بمقدار موضوعها بها وإصلاحها لها وأنها أنه كان للعرب تأثير عظيم في صقلية .

ويضيف : لم يقتصر العرب ، بمقاتلتهم الروم ، على غزو صقلية ، فقد استولوا على جنوب إيطاليا أيضاً ، وبلغوا في تقدمهم نحو إسبانيا ، ولم يرجعوا عنها إلا بعد أن وعدهم البابا يوحنا الثامن بدفع جزية إليهم ، واستولى العرب على مدينة برنديزي الواقعة على شاطئ البحر الأدرياتي ومدينة تارانت وأغاروا على دوكية بنيفنت ، وصاروا سادة البحر المطلقين بفتحهم صقلية وأهم جزر إيطاليا ومالطة وجميع جزر البحر المتوسط ، ولم يسع مدينة البندقية إزاء ذلك إلا أن تعدل عن محاربتهم لئلا يمتد طول .

وعن غزو العرب لفرنسة ، يقول لوبيون : استولى العرب بالتدريج على نصف فرنسة الحضارة الذي يبدأ من ضفاف نهر اللوار وينتهي إلى مقاطعة فرنش كوتته ، وأهم غارة شنت على قرنسة هي

الغزاة التي قادها عهد الرحمن الغافقي سنة ٧٣٢ م ، واحتل فيها الجنوب الفرنسي الذي بقي لقرون عدة تحت سيطرة العرب المملوكة^(١) .

أما في الفصل الثامن من هذا الباب خصه لويون للحدث عن الحروب الصليبية من وجهة نظره الخاصة التي تستحق في نظري التقدير ، فقرأه يقول : كان سلطان العرب السياسي في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي ، أي في الدور الأول من الحروب الصليبية في طور الانحطاط وإن لم يلدو اسمهم في العالم ، فقد كانت إفريقية وإسبانية في قبضتهم ، ولم يتقدم بعد الزمن الذي كانوا فيه سادة البحر المتوسط وسادة جزء من فرنسا وملوكاً لصقلية والذي أوغلوا فيه حتى رومة فأكروها البابا على دفع جزية إليهم ، ولم يصل قباصرة الرومان في إبان مجدهم إلى ما وصل إليه اسم محمد (صلى الله عليه وسلم) من إلقاء الرعب في قلوب برابرة أوروبا ، فهاجم أوروبا النصرانية على ديار الإسلام الذي كانت فرائص العالم ترتجف فرقاً منه منذ خمسة قرون ، وذلك في عصر دارهم ، من الأعمال التي كانت تتطلب حماسة دينية بالغة واعتماداً كبيراً على الرب وجيشاً مؤلفاً من مليون جندي ، يشير بذلك إلى أن فشل الحملة الصليبية كان متوقعاً سلفاً .

الباب الرابع

وقد ضم خمسة فصول ، خصصها لويون للحدث عن طبائع العرب ونظمهم ، حيث يتحدث عن حياة البدو وأهل الأرياف من العرب ، كما تحدث فيها عن طبائع وعادات عرب المدن ، ومن ثم يعقد مقارنة بين مجتمعات الغرب ومجتمعات الشرق ، ثم يعرج إلى الحديث عن النظم السياسية والاجتماعية عند العرب ، وعن مصادرها القديمة (القرآن والسنة واجتهادات الخلفاء الراشدين) والحديثة منها



* أرسطو *

(مذاهب الأئمة الأربعة) وسواهم من الأئمة المجتهدين ، وتراه يقدّر فصلاً من الفصول الخمسة عن (المرأة في الشرق) يتحدث فيه عن أسباب تعدد الزوجات في الشرق منذ العصر الجاهلي مروراً بالعصر الإسلامي وحتى العصر الحديث .

ويختص في هذا الفصل إلى أن دين الإسلام أول دين رفع من شأن المرأة ، ويضيف بأن حال المرأة المتزوجة في البلاد الإسلامية أفضل منها في أوروبا في عصره ، وفي فصل آخر من هذا الباب يتحدث لوبيون عن (الدين والأخلاق) عند العرب ينتهي فيه إلى أن المعتقدات الدينية كانت عاملاً مهماً في تطور العرب ورفعة أخلاقهم ، بينما نجدتنا في الفصل الخامس عن المساجد والزوايا والمدارس وغيرها من أماكن ومراكز العبادة والعلم في ديار العرب منذ العصر الإسلامي الأول وحتى العصر الحديث ، وعن الأثر الذي كان لهذه المراكز في التطور الحضاري لبلاد العرب والعجم بعد

سور - سبي - سفيدي - الأ - ٢٠٠٠

الباب الخامس

وهو أوسع الأبواب التي ضمها الكتاب ، فقد حوى عشرة فصول واحتل من الكتاب مئة وستاً وأربعين صفحة ، وقد كُتِبَ لسويون للحديث عن حضارة العرب من كل جوانبها ، حيث يتحدث في الفصل الأول عن مصادر معارف العرب العلمية والأدبية ، وعن اهتمام الخلفاء في العصر العباسي بنقل كتب اليونان إلى اللغة العربية ، وعن النشاط الذي كان للعرب في حقل الأبحاث العلمية والأدبية ، ثم يتطرق للحديث عن تأسيس المكتبات والمدارس واقتنيات المراصد ، ومنها يتحول للحديث عن مناهج العرب العلمية ، ويؤكد في ختام هذا الفصل بأن العرب هم أول من أدخل التجربة والترصد إلى دراسة العلوم .

في الفصل الثاني : يتحدث لوبيون عن اللغة والفلسفة والآداب والتاريخ عند العرب ، فترأ يقول : اللغة العربية هي لغة أُمِّ الإسلام عامة ، ويشير من ناحية ثانية إلى أن اللغة العربية أثرت في اللغة الإسبانية واللغة الفرنسية .

وفي مجال الفلسفة عند العرب يقول المؤلف : كانت فلسفة العرب حيناً شرعوا يدخلون ميدان الحضارة ، مقتصر على مبادئ علم النفس العلمية التي هي وليدة التجربة لا الكتب ، والتي ينتزع الإنسان بها في مضمار الحياة فقط ، ثم يضيف : واليونان هم أساتذة العرب الأولون في الفلسفة ، ولم تلبث كتب أرسطو وثاليس وأبيدقليس وهيرقليطوس وسقراط وغيرهم أن تُرجمت إلى لغة العرب ، غير أن العرب فاقوا أساتذتهم بسرعة في جميع العلوم التي تقوم على التجربة ، غير أن جابري السلمون كانت تفتت الفلاسفة العرب مع ما تم لهم من المقام الأسمى في جامعات العرب ، وللجابهير ما تعتذر به عن معارضتها للفلاسفة ، فقد نبذ الفلاسفة أكثر أحكام دين الإسلام ، ولم يسلموا غير

العقائد الأساسية كوحانية الله ورسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، ثم كانوا ينشرون آراءهم علناً ، ويهاجمون بها عقائد المؤمنين بدلاً من الاكتفاء بعرضها على المثقفين منهم .

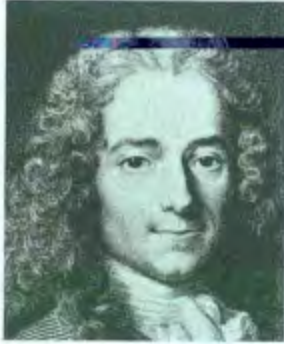
بعد ذلك يتحدث لوبيون عن الأدب العربي بشكل عام بما يجوي من الفروع كالشعر والنثر والخط منذ أقدم العصور بما يضيف بنا المجال في هذا الموضوع عن تلخيص كلامه فيه لكونه توسع في الحديث عنه مسوراً فنانج من آثار الكتاب والشعراء المبرزين في ساحاته .

في الفصل الرابع من هذا الباب يتحدث لوبيون عن العلوم الجغرافية عند العرب ، حيث يقول : كان العرب من السياح المقادير في كل وقت ، كانوا لا يمشون للساف والراحيل ، واليوم أيضاً نراهم يأتون مكّة من أقصى البقاع ، ويجوبون بقوافلهم داخل إفريقيا كاسر بسيط ، فيصادفهم فيها الأوروبيون الذين لا يبلغونها إلا بشق الأنفس ، ويختص في القول إلى أن العرب هم رواد علم الجغرافيا بين الأمم عموماً ، ويأتي على ذكر أهم الرحالة العرب في مختلف العصور ، وذكر آثارهم المؤثرة في هذا الصدد .

العرب استعملوا البارود

في الفصل الخامس من الكتاب تحدث لوبيون عن (الفيزياء وتطبيقاتها عند العرب) فيقول : ضاعت كتب العرب المهمة في الفيزياء التي خلفها علماء العرب ، ولم يبق منها غير أسماؤها ككتاب الحسن بن الهيثم في الرؤية المستقيمة والمنعكسة والمنعطفة ، ثم يصف المؤلف الساعة القديمة للجامع الأموي بدمشق ، ثم يتحدث عن اكتشاف العرب لأهم المركبات الكيماوية كالكافور الكبريتي والكحول ، واكتشافهم للتقطير ، ويعرج للحديث عن أشهر مؤلفات العرب في هذا الميدان .

ثم يشير لوبيون إلى اختراع العرب للبارود ، حيث استعملوا البارود في الحروب الصليبية قبل أن تعرف أوروبا بزمن طويل ، ويستشهد بذلك



★ فونابير ★



★ مفرط ★

في الفصل السابع يحدثنا لوبون عن الفنون العربية بما في ذلك الرسم والحفر والفنون الصناعية من الفسيفساء وغيرها كصناعة الزجاج والخزف .

بينما يحدثنا المؤلف في الفصل الثامن عن فن العمارة عند العرب من مختلف جوانبه .

في الفصل التاسع يتحدث لوبون عن تجارة العرب وصلاتهم بمختلف الأمم عبر الطرق البرية منها والبحرية ، حيث يؤكد وصول العرب إلى بلاد الصين شرقاً والبلاد الأوروبية شمالاً والبلاد الإفريقية غرباً .

في الفصل العاشر والأخير من هذا الباب ، يحدثنا لوبون عن تمدن العرب لأوروبا وتأثيرهم في الشرق والغرب ، وفيما يخص أوروبا يقول : كانت أوروبا تعيش في همجية حينما دخلها العرب ، وإن تأثيرهم فيها لا يقل أهمية عن تأثيرهم في بلاد الشرق ، ويضيف : لا يمكن إدراك أهمية شأن العرب في الغرب إلا بتصور حال أوروبا حينما أدخلوا الحضارة إليها .

ثم يضيف لوبون : إذا رجعنا إلى القرن التاسع والقرن العاشر للميلاد ، حين كانت الحضارة الإسلامية في إسبانية ساطعة جداً ، رأينا أن مراكز الثقافة في الغرب كانت أبراجاً يسكنها سنوهورات مشوحشون يفخرون بأنهم لا يقرأون . ثم يضيف : ودامت همجية أوروبا البالغة زمناً طويلاً من غير أن تشعر بها ، ولم يبدأ في أوروبا بعض الميل إلى العلم إلا في القرن الحادي عشر والقرن الثاني عشر للميلاد ، وذلك حين ظهر فيها أناس رأوا أن يرفعوا أكتاف الجاهل الثقيل عنهم ، فسلوا وجوههم شطر العرب الذين كانوا أئمة وحدم ، ولم تكن الحروب الصليبية سبباً في إدخال العلوم إلى أوروبا كما يردد على العموم ، وإنما دخلت العلوم أوروبا من إسبانية وصقلية وإيطالية ، وذلك أن مكتباً للمترجمين في طليطلة بدأ منذ سنة ١١٣٠ م ، بنقل أهم كتب العرب إلى اللغة اللاتينية ، وأن أعمال هذا المكتب كللت بالنجاح^(١٩) .

بما رواه (جوانفيل) أحد قواد القوات الصليبية حيث قال : إنها أفلح شيء رآه في حياته (قذائف الذهب) ، وإنما ضرب من التثانين الكبيرة الطائرة في الهواء ، ويشير بذلك إلى قذائف الذهب بالنجنيق ، ثم يضيف : إن العرب هم الذين اخترعوا بارود المدافع السهل الانفجار ، وفي هذا الصدد يقول : إن الأمير يعقوب حاصر زعماً للثوار في مدينة المهدية بإفريقية في سنة ١٢٠٥ م ، وأنه ضرب أسوارها بمختلف الآلات والقنابل ... أي ضربها بالآلات لم يرها الناس من قبل ، ثم يأتي المؤلف بأكثر من رواية تثبت أن العرب هم أول من استعمل البارود والقذائف بين الأمم ، ومن تلك الروايات رواية نقلها عن ابن خلدون .

ثم يحدثنا عن صناعة الورق لدى العرب فيقول : إن العرب هم أول من أحل الورق محل الرق ، بعدها يحدثنا عن استخدام البوصلة في الملاحة فيقول : البوصلة هي من اختراع الصينيين ، ولكنه لم يقدم دليل على استخدامهم لها في الملاحة ، فكانت البوصلة قليلة النفع لهم ، وقد نقل اختراعها عنهم العرب ، وهم ، أي العرب ، أول من استخدمها من الأمم على نطاق واسع ، ومن ثم نقل الأوروبيون اختراع البوصلة عن العرب .

العرب ابتدعوا علم الصيدلة

في الفصل السادس من هذا الباب حدثنا لوبون عن العلوم الطبيعية والطبية عند العرب ، ويتطرق للحديث عن كتب العرب في النباتات والمعادن والتحجرات ، ثم يحدثنا عن كتب العرب الطبية ، وما أحدثه العرب في ميدان الطب ، وعن أبرز الأطباء العرب كالمرازي وابن سينا وابن رشد وغيرهم ، بعد ذلك يحدثنا عن تقدم العرب في هذا المضمار وعن إدخالهم الكثير من الأدوية إلى علم الطب ، ثم يختص إلى القول : بأن العرب هم الذين ابتدعوا الصيدلة ، وينهي حديثه في هذا الفصل عمداً أحدثه العرب في علم الجراحة الطبية .

وفي الفصل الثاني من هذا الباب ، يتحدث لوبون عن أسباب عظيمة العرب والمحطاطهم ، وعن حال المسلمين في عصره ، حيث يقول : ولد محمد (صل الله عليه وسلم) في أحسن الأوقات ، حيث كان العالم المنس متصدعاً فيه من كل جانب ، ولم يكن يتوجب على أتباع محمد إلا أن يهزوه ليشاقت ، ولم تكن الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام سوى ميدان حرب دائم واسع لما تشاغل في العرب من الطباع الخريبة ، ولما جاء الإسلام وألف بين قلوب العرب وجهوا جميع قواتهم إلى البلاد الأجنبية ، وكانت طبايعهم الخريبة من أسباب انتصاراتهم ، ولما خلا الميدان من أعداء يحاربهم صوبوا أسلحتهم نحو بعضهم ، وهكذا بدت هذه الصفات التي كانت سر عظمهم مسبب انحطاطهم الأكبر^(١) .



* جان جاك روسو *

بقي أن أضيف بأن لوبون ضمن كتابه العظيم هذا مجموعة كبيرة جداً من الصور الفوتوغرافية الرائعة التقطها بنفسه خلال رحلاته في العالم الإسلامي ، لأهم المعالم الحضارية والعمرانية والثقافية والاجتماعية في القرن التاسع عشر الذي عاش فيه ، وتلك الصور بعد ذاتها تمثل متحفاً زائماً فخر له أن ينضم إلى كتاب رائع ، إضافة إلى بعض الخرائط واللوحات الرائعة .

الهوامش

- ١ - لدينا دراسة عن حياة وأثر العلامة عادل زعيتر لا تزال مخطوطة ، ربما نشرناها قريباً في مجلة «الفيصل» ، ومنها أخلنا هذه المقطعات التي تضمن زعيتر .
- ٢ - من المقدمة التي كتبها الأستاذ عادل زعيتر للكتاب .
- ٣ - لم نلحظ المصادر المتوفرة في مكتبتنا الخاصة بترجمة للدكتور غوستاف لوبون ، ففصلنا دار الكتب الطاعرة العامة بدمشق ، وقضنا المصادر المتوفرة فيها صائناً لنوفق إلى ترجمته في أصدعنا فلم نوفق للأسف .
- ٤ - هو الوليد بن عبد الملك رحمه الله .
- ٥ - هو موسى بن نصير ، وفي رواية أنه سار في موكب نصر إلى الشام ، حيث كان الوليد ينتظره بفراخ الصير ، إلا أنه ما كان يبلغ دمشق ، حتى تسوفي الوليد .
- ٦ - راجع في هذا الصدد كتاب (تاريخ غزوات العرب) في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، للأخير شكيب أرسلان فإنه فريد في باب ، وقد صدر حديثاً في بيروت .
- ٧ - انظر في هذا الصدد مقالنا المنشور في زاويتنا (المجلة الأخيرة) بمجلة (الثقافة الأسبوعية) الدمشقية بعنوان (الاسترقاق والمستشرقون لغة تاريخية) صفحة ١٠ و ١٢ من العدد (٢٨) لعام ١٩٨٠م .
- ٨ - راجع حول هذا الموضوع كتاب (الإحباط في أسيار غرناطة) لابن الخطيب ، بتحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٩٥٦م .
- ٩ - يحدد بنا أن تشير إلى أن المؤلف صنع فهرساً لمصادر كتابه ، تضمن الدارسين لتاريخ العرب والأمم الإسلامية كافة في الشرق .

الباب السادس

وهو الباب الأخير من الكتاب وقد ضم فصلين ، في الأول منها تحدث لوبون عن انحطاط (حضارة العرب) ، وبدأ الحديث عن وريثة العرب في الأندلس فيقول : إن من أحسن الوسائل لتقدير ما لامة من التأثير النافع أو الضار في أمة أخرى هو أن يبحث في أحوال هذه الأمة قبل أن تخضع للفتوة الأجنبية وفي أثناء خضوعها له وبعد خلاصها منه ، فاما أحوال الأمم التي دانت للعرب قبل خضوعها لهم وفي أثناء حكمهم لما فقد بحثنا فيها بما فيه الكفاية ، وأما أحوالها بعد أن غاب العرب عن مسرح العالم ، فبحث فيها الآن بادئين بإسبانية .

ويضيف لوبون : لم يفكر النصارى بعد أن استردوا غرناطة التي كانت معقل الإسلام الأخير في أوروبا ، في السير على سنن العرب في التسامح الذي راوه منهم عدة قرون ، بل أخذوا يضطهدون العرب بقسوة عظيمة على الرغم من اليهود ، ومع ما كان يصيب العرب من الاضطهاد كان تفوقهم الثقافي على الإسبان عاملاً في يقانهم على رأس جميع الصناعات^(٢) .

ثم يتحدث لوبون عن وريثة العرب في الشرق فيقول : الترك هم وريثة العرب في مصر وقسم كبير من الشرق كما هو معلوم ، وإذا نظر المرء إلى الترك من الناحية السياسية ، أدرك أنه كان لهم دور كبير من العظمة ، فقد ارتفعت فرائض أقوى ملوك أوروبا ، زمناً طويلاً فرفاً من سلاطينهم الذين قلموا مقام القيصرية وأحلوا الخلال محل الصليب الإفرنجي فوق آيسافوقيا وسيطوا نفوذهم في الأفاق . ويمضي إلى القول : بيد أن عظمة الترك لم تكن في غير الحروب ، والترك وإن استطاعوا أن يؤسسوا دولة كبيرة ، فقد أثبتوا عجزهم عن إبداع حضارة في كل زمن .



موضوع خاص

وأخيراً بدأت المرحلة الثانية من مراحل غزو الفضاء ، مرحلة استثمار بحوث الفضاء لجني الأرباح الوفيرة . ففي صباح الأحد ١٢ نيسان (أبريل) ١٩٨١ م ، انطلق مكوك الفضاء SPACE SHUTTLE الأمريكي (كولومبيا) رائداً للجيل الثاني من مركبات الفضاء المأهولة بالرواد . مركبات الجيل الأول مثل مركبة أبولو التي وضعت أول إنسان على سطح القمر انتهى دورها بعد رحلتها الوحيدة ، لتحتل مكانها بعدها في متحف الطيران في العاصمة الأمريكية . أما مكوك الفضاء فإنه لن يزور متحف الطيران قبل إنجاز (٥٠) رحلة على الأقل إلى الفضاء الخارجي ، يهبط بعدها على الأرض وكأنه طائرة اعتيادية ، لينطلق إلى الفضاء بعدها مراراً وتكراراً .

★ فوق قاعدة الإطلاق ★



★ كولومبيا تستعد إلى سفينة إطلاق صناعية ★

وأخيراً انطلق مكوك الفضاء

يتم :

٢ . مهندس : مظفر صلاح الدين شعبان

مهندس : سمير صلاح الدين شعبان





★ كوكب الفضلات الفضائية في العاد . كل صاروخ تعقب فيه انقوده الصاب برك
٨٠ طناً . على ارتفاع ٦٦٠٠ قدم ، بسرعة ٢٢٥ ميل في الساعة تفتح ٣
مظلات ينزع جميع قطعها ما بعدا طول ملعب لكرة القدم . وهكذا ينحدر
الصاروخ الساقط في ناء من التفرير ويعد استخدام ثانية ★



★ غرفة قيادة إحدى القناتر الجديدة . على مختلف كثيراً عن العنصر في مكوك الفضاء ★

« التقليدية » كانت تقوم بنقل الأقمار الصناعية والبرود إلى مدارات حول الأرض . إلا أن مكوك الفضاء لن يقوم بنقل المعدات من الأرض إلى الفضاء فحسب ، بل « سيعيدها » إلى الأرض كذلك عند الضرورة . وبينما كانت الصواريخ تخدم رحلة واحدة فحسب ، فإن المكوك نفسه قد يقوم بأكثر من مائة رحلة قبل إحالته على التقاعد (العاش) . فالمكوك لديه كافة المؤهلات التي تحوله إزاحة وسائل الإطلاق التقليدية بشكل كامل . تتركز المهام المنظورة لمكوك الفضاء على وضع الحمولات في مدارات حول الأرض ، مثل المختبرات العلمية ، آلات التصوير ، المناظير الفلكية ، أفرار الاتصالات اللاسلكية واليوتيليزيوني وغيرها . **مكوك الفضاء** سينقل العلماء إلى مختبرات فضائية مثلاً . ثم يرجع إليهم بعد عدة أسابيع لإعادتهم إلى الأرض . وإذا تعطل أحد الأقمار الصناعية أو المختبرات بشكل يتعذر معه إصلاحه في الفضاء ، عندها « سيعيده » المكوك إلى الأرض لإجراء الصيانة اللازمة له وإعادته إلى مداره ثانية .

إرسال الرادار إلى الفضاء والقمر ، إرسال المركبات إلى الزهرة والمريخ والمشتري وزحل كانت من الإنجازات البارزة في عصر « استكشاف » الفضاء . أما مكوك الفضاء فإنه يمثل

لقد أثبت مكوك الفضاء كولومبيا على جدارة مبدأ المكوك وتكثفه من مغادرة الأرض والعودة إليها سالماً ، ليستعد لرحلة قادمة . وبذلك مهدت كولومبيا الطريق للمركبات الأخرى **أطلنطيس** ATLANTIS ، **ديسكافري** DISCOVERY ، و**تشالنجر** CHALLENGER . ويتوقع المسؤولون في هيئة بحوث الفضاء والطيران الأميركية (ناسا) أن تقوم هذه المركبات بجمعة بمحسين رحلة سنوياً بحلول عام ١٩٩٠ م .

مكوك الفضاء ... لماذا؟

شاهد كثير من الناس في مختلف أرجاء العالم صورا المكوك الفضائي كولومبيا محمولاً على ظهر طائرة نقل ركاب من طراز بوينغ ٧٤٧ . وضع آخرون عن إحاطة السنة الذهب بالمكوك أثناء اندلاع النيران في محركاته ، وأن بعض لبنات درعه الحراري قد سقط أثناء عملية تجريب المحركات . كما تناقلت وكالات الأنباء أن الصعوبات التكنولوجية أعرت الإقلاع أكثر من ستين كمانتين ، وأن نفقات المشروع قد ارتفعت من (٥٠٠٠) مليون إلى (٩٠٠٠) مليون دولار . فقيم كل هذا العناء ؟
مكوك الفضاء هو عبارة عن جملة نقل أو شاحنة فضائية . الصواريخ

فحسب، بل يتسع لـ ٣٠ طناً من العنادر الحربية في الرحلة الواحدة. هذه الحقائق جعلت بعض المفكرين يتكهن بأن الحرب القادمة ربما تتم بين الأقمار المتحاربة، أو أن تقوم «المحسون الفضائية» - على الأقل - بتدمير الصواريخ المعادية العابرة للقارات قبل بلوغها أهدافها، باستخدام أشعة الليزر، أو بواسطة مدافع حزمات الطاقة العالية. ما هو مكوك الفضاء؟ وماذا يتميز عن المركبات الفضائية السابقة حتى يتمكن من الإقلاع مرات عديدة، ويقوم بتنفيذ هذا العدد الكبير من المهام المتنوعة؟

مكوك الفضاء.. ما هو؟

مكوك الفضاء لا يعدو كونه أحد الأجزاء الثلاثة الرئيسية «بجلمة النقل الفضائي». مكوك الفضاء يحمل رواد الفضاء و«الحمولة» التي قد يصل وزنها إلى ٣٠ طناً. القسم الثاني عبارة عن «خزان خاسرجي»

★ أحد رواد الكوكب اللذين يتدرب على مناورات انقضاء عن سقوط إحدى
لبات الدرع الحراري في الفضاء وفي حالة انعدام الوزن

الخطوة الأولى على الطريق إلى أرض مجهولة. فمكوك الفضاء هو وسيلة الإنسان لتوليد حقبة «تسخير» الفضاء في خدمة صالح الإنسان ورفاهه وربما حتى تدمير حضارته.

من الأفاق السريعة التي قد يفتحها مكوك الفضاء بمسرونته التي لا تقلد، هي مجال الاتصالات الهاتفية والتلفزة. فوضع العديد من الأقمار الاتصالات الهاتفية بتكلفة صغيرة نسبياً، سيجعل المرء يتصل مباشرة بمن يشاء بصورة فورية وسعر زهيد. ومن الاحتمالات غير المؤكدة هو استخدام الكوكب في بناء مصانع في الفضاء تستفيد من ظروف انعدام الجاذبية في تقليل تكلفة إنتاج بعض المواد الغالية وعلى رأسها بعض المستحضرات الطبية والأدوية.

وأخيراً، لا بد من ذكر الاستخدامات العسكرية المغطاة بالنكتم الشديد. فقد كشفت وزارة الدفاع الأمريكية عن نوابها في هذا الخصوص، عندما قامت بحجز ١٣ رحلة كاملة لصالحها من بين الرحلات الـ ١٤ الأولى. ليس بمقدور الكوكب «شحن» الأقمار التجسس

★ حجرة القيادة في مكوك الفضاء. يتابع (فنانة الرحلة) إلى اليسار وعلى يمينه مساعده كوين



★ الرواد يتدربون على الخروج من الكوكب في حالة سقوطه في الماء



ولسوء الخط فإن وزن الوقود وحده في الحزان يسزن (٧٥٠,٠٠٠ كغ) . ومهما كانت محركات المكوك الرئيسية قوية ، فإنها تقدر بالكاد على رفع العبء الضخم عن الأرض .

لذا ظهرت الحاجة إلى إضافة جزء ثالث للجملة هو صواريخ الوقود الصلب . وهذه تحرق مسحوق الألمنيوم شديد الانفجار ، مما ينشر كمية هائلة من الحرارة . تتميز صواريخ الوقود الصلب بمقدرة عالية على « قذف » الأجسام الثقيلة ، وتستخدم في الأغراض العسكرية منذ مدة غير قصيرة . لم يتم استعمال مثل هذه الصواريخ في الرحلات الفضائية من قبل لأنها « هائلة » يصعب التحكم في مسارها بدقة . فحالما يتم إشعالها ، فإنها تنطلق بسرعة جنونية . وقد كان ذلك مناسباً جداً لقذف الرؤوس الحربية ، ولكنه غير مناسب إطلاقاً لزيادة الغضاء .

صواريخ الوقود الصلب هي « عضلات الساقين » التي تساعد جملة النقل الفضائي « للقفز » إلى الأعلى . وقد تم تثبيت صاروخين من هذا النوع على جانبي الحزان الخارجي . بعد إشعال هذين الصاروخين ، يقدمان — خلال دقيقتين — قوة دفع تعادل ٢,٦ مليون كيلوغراماً .

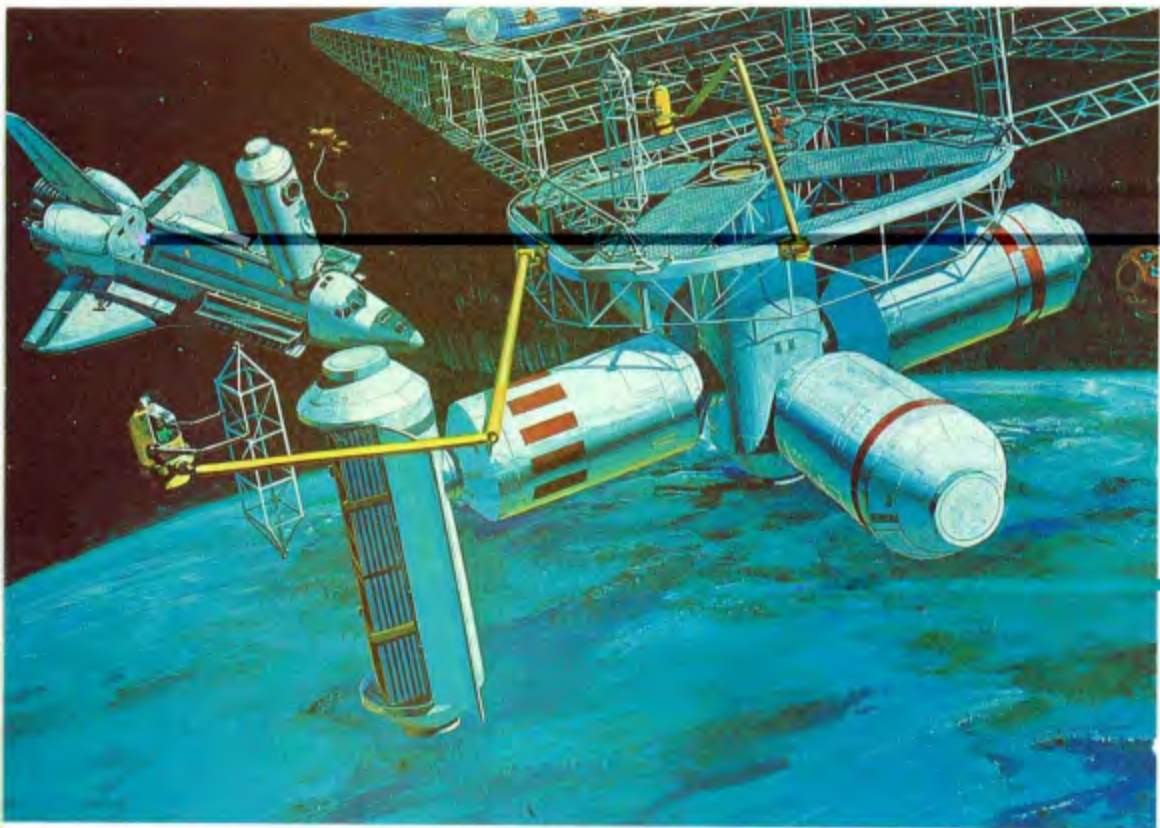
للووقود . بينما يتكون القسم الثالث من صاروخين يتدفغان بإسراع الوقود الصلب . هذه الجملة الثلاثية ملتصقة مع بعضها وكأنها قطعة واحدة متناسكة ويبلغ ارتفاعها حوالي ١٨٤ قدماً .

المكوك SHUTTLE الذي يبدو مثل طائرة نقل مشورة يمثل جملة النقل الفضائي . وهو الذي يجوب المسافة بين الفضاء وسطح الأرض مراراً وتكراراً . يتسع المكوك لحمل ٧ رواد فضاء أو رائدي فضاء و ٥ ركاب . وفيه مستودع طوله ٢٠ متراً يتسع لثلاثين طناً من الأمتعة . الناظر من بعيد لا يبالك نفسه من افتتح أولاً لمشاهدة « الحزان الخارجي » العملاق . الذي يشبه في شكله طليقة مدسد . وبدلاً من البارود فإن هذا الحزان يحمل كميات هائلة من الهيدروجين السائل الذي يحترق عند مزجه بالأكسجين في محركات المكوك الثلاثة الضخمة فيدفع جملة النقل الفضائي إلى الفضاء .

لو صمم المكوك بحيث يضطر إلى حمل هذه الكمية الهائلة من الوقود ضمن جسمه ، لتطلب ذلك جعله عملاق الحجم . لكن الحزان الخارجي سيكون بمثابة الجواد الطائر الذي يمتطيه المكوك . وقبل أن يصل المكوك إلى الارتفاع المطلوب يتخلص من الجواد ويتابع رحلته منفرداً .

★ لكوك على متن الجدمو ★





★ بناء لمحطات الفضاء ★

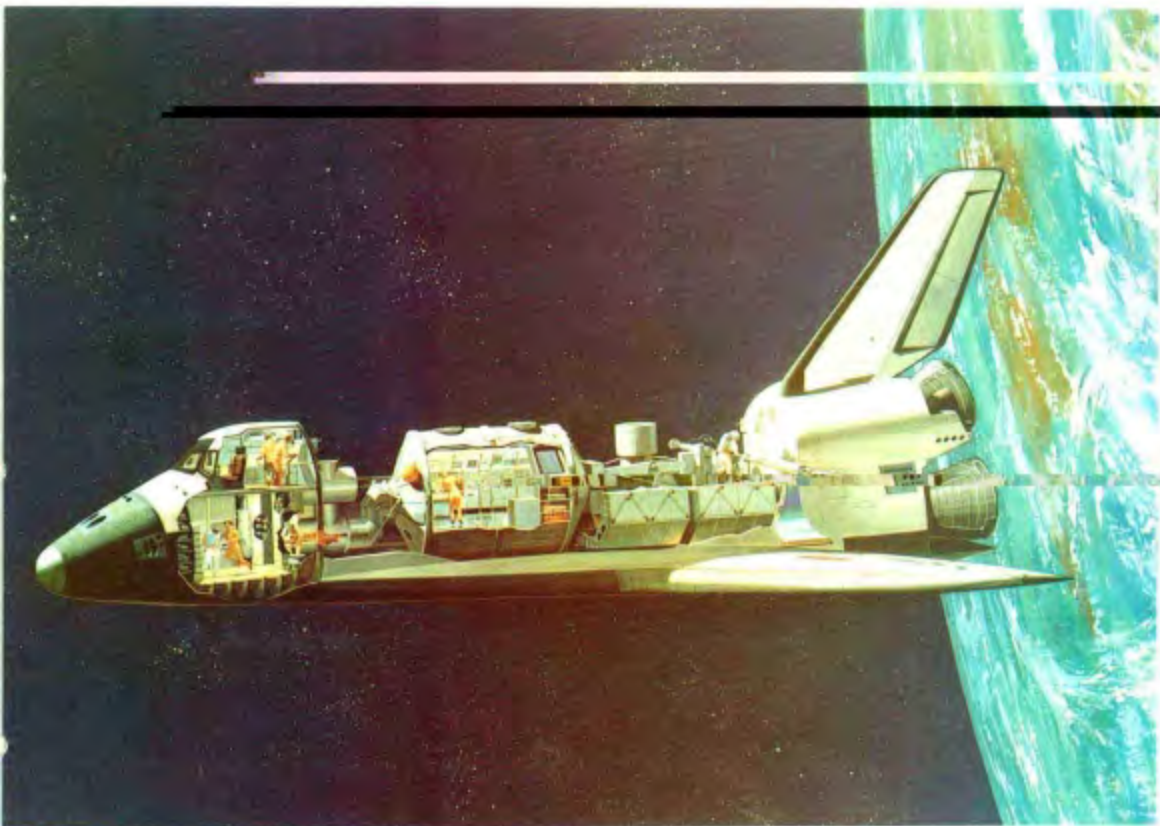
من يقود المركبة ؟

تسع دقائق قبل الإقلاع جملة النقل الفضائي تتولى الحسابات الإلكترونية قيادة الجملة بصورة آلية . ويستمر الوضع كذلك حتى الدقائق الأخيرة ، حيث يتولى الإنسان عملية التوجيه . أثناء الفترات الحرجة من الرحلة ستقوم الحاسبات بإجراء حوالي (٣٢٥,٠٠٠) عملية ذهنية في الثانية الواحدة . لذا يوجد على متن المكوك أربع حاسبات أساسية وخامسة احتياطي . تقوم جميع الحاسبات الأساسية بمعالجة العمليات نفسها بغية ضمان أعلى سوية للأمان . ويجب أن تتوافق مع بعضها في النتائج بصورة كاملة ، كذلك في التوقيت . عندما يشك حاسب عن رفاهه يوقف عن الخدمة . وإذا خالف أحدها بعد ذلك ، تكون الغلبة عنددها للأكثرية . فإذا حصل سوء تفاهم بين الحاسبات الأساسية الآخرين ، عندها يعمل الحاسب الاحتياطي الخامس الذي يحسم الموقف . الحاسب الاحتياطي يفترض فيه أنه لا يجوز أن يخطئ . هذه الحاسبات تريح الرواد عبء توجيه مكوك الفضاء وتجعلهم يفرغون مسطمتين لإنجاز المهام

وهذه القوة كافية لرفع ٢٥ طائفة من طراز بوينغ ٧٤٧ دفعة واحدة مع كامل حولاتها . عندما ينضب الوقود الصلب تقوم التفجرات بدفع هذه الصواريخ ، وفصلها عن الجملة لتسقط في البحر ، حيث تقسم بعض السفن الخاصة بالصواريخ لإعادة استخدامها مرة أخرى .

وهكذا أصبحت جملة النقل الفضائي مكونة من المكوك ، وخزان خارجي واحد ، وصاروخي إطلاق ، بحرقان الوقود الصلب . عند الإقلاع تنطلق جميع مكونات الجملة دفعة واحدة بعد دقيقتين فقط من الإقلاع يجب أن تسقط صواريخ الوقود الصلب . وقبل لحظات من

الوصول إلى ارتفاع المدار المحدد للمكوك يجب أن يتخلص من الخزان الخارجي الذي يغذي الحركات الرئيسية . بعدها لا يحتاج المكوك إلى من يدفعه . لكنه يحتاج إلى تعديل اتجاهه ، أو سرعته أو ارتفاعه . وهذا يتجزء بصورة سهلة بمساعدة محركي « المناورة » التي يمكنه من الانعطاف ، وحتى من التوقف . وبواسطة سبخر من مداره حول الأرض ويعود إلى مطار استقباله والتحكم في مساره .



★ المرشد الفلكي قبل من الموك ★

المرتفعة . يقوم هذا الدرع الكيميائي بامتصاص الحرارة السالفة عن الاحتكاك بالهواء ، ثم يحترق مبتعداً عن المركبة . لكن هذا النوع من الدروع يفتى بعد رحلة واحدة ، بينما الموك سيقيم برحلات عديدة قد تصل إلى (١٠٠ رحلة) . لذا لا بد من أن يكسى الموك بجلد يتحمل الحرارة العالية مراراً وتكراراً . هذا الدرع مكون من لبنات مصنوعة من زجاج الرمل شديد النقاوة (أي من زجاج تبلع فيه نسبة اكسيد السيليسيوم ٩٩,٧ بالمائة) . هذا الزجاج يعزل الحرارة بشكل كامل ويمنعها من بلوغ جسم الموك المصنوع من معدن الألمنيوم . تكسو هذه اللبنة المناطق الخرجة في الموك وقد استخدم في لصفها غراء من النوع الذي يكسو الحرارة أيضاً . بلغ عدد هذه اللبنة حوالي (٣٤,٠٠٠ لبنة) . وحيث أن المناطق المختلفة من الموك تتعرض لحرارة تختلف عن المناطق الأخرى ، لذا تباينت سماكات اللبنة وأشكالها . من أجل ذلك أوكل أمر تفصيلها وقصها إلى حاسب إلكتروني ، ثم تلصق كل لبنة باليد في مكانها المحدد . ولوسقطت لبنة واحدة أثناء الانفلاق أو العودة إلى جو الأرض ، فإن ذلك قد يؤدي إلى عواقب وخيمة .

الأخرى اللغاة على عاتقهم .

وقد وصف أحد رواد الفضاء قيادة الموك بأنها تتطلب اتخاذ قرارات فورية بصورة مستمرة ، وهذا يعجز عنه الرواد . فلولا الحاسب الإلكتروني لما أمكن التفكير بالموك الفضائي .

الدرع

حجرة قيادة الموك لا تختلف — في مظهرها — بشكل واضح عن حجرة قيادة الطائرات الحديثة (باستثناء ثلاث شاشات تلفزيونية وأكثر من ١٠٠٠ قاطعة كهربائية) . لكن « جلد » الموك يمثل إنجازاً تكنولوجياً فريداً من نوعه . عندما يعود الموك من الفضاء إلى غلاف الأرض الجوي بسرعة تقارب (١٧,٠٠٠) ميل في الساعة ، مما يجعل « جلد » الموك يرتفع في بعض الأجزاء يسخن حتى ١٢٠٠° ، ولا بد عندها أن يشتعل الموك ، تماماً كما يشتعل النيزك عند ولوجهه هواء الأرض بسرعة كبيرة . فكيف السبيل إلى حماية الموك ؟

مركبات الفضاء « القديمة » كانت ترتدي درعاً كيميائياً يقيها الحرارة

المحركات لا تعمل بشكل بلائم المكوك إلا عند حرق الهيدروجين تحت هذه الضغوط العالية . لكن مثل هذه الضغوط توجب استخدام تقنية متقدمة جداً لتسليم الوقود الهيدروجيني إلى المحركات . ولغتها فشلت هذه المحركات مرات عديدة في تجارب اختباراتها ، البدئية ، ولغتها السنة الذهب ، مما سبب في تأخير موعد إطلاق المكوك سنة كاملة . لكن جميع الصعوبات المالية والتكنولوجية تم تلذليلها أخيراً . وفي الأسبوع الأول من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٨١ م ، خرج المكوك أخيراً من المصنع إلى منصة الإقلاع بانتظار ساعة الصفر .

اللحظة العنسية

في السابعة من صباح الجمعة ١٠ نيسان (أبريل) ١٩٨١ م ، حانت لحظة الإطلاق وبدأ العد التنازلي . وقبل ٩ دقائق فقط من الانطلاق اكتشف علماء التابعة أن الحاسبات الإلكترونية لا تتفاهم مع بعضها بشكل جيد مما أجل موعد الإقلاع عدة ساعات ثم ألغيت لتبدأ من جديد في صباح الأحد .

في السابعة من صباح الأحد ١٢ نيسان (أبريل) ١٩٨١ م ، حانت اللحظة الحاسمة في قاعدة كيب كينيدي في فلوريدا . جون يانغ - قائد الرحلة John Young والرائد بوب كريستن في مقاعدهما في حجرة القيادة يسمعان ، العد التنازلي ١٠ - ٩ - ٨ - ٧ - ٦ -



★ كولومبيا تخرج من المصنع في الأسبوع الأول من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٨١ م ★



★ مراحل رحلة مكوك الفضاء ★

أكبر المحركات في العالم

واجه مصممو جملة النقل الفضائية أكبر التحديات عند صنع المحركات الرئيسية الثلاثة ضمن المكوك . وعندما تشتغل هذه المحركات باستطاعتها أن تطلق من الحرارة ما يعادل الكهرباء التي يولدها سد هوفر الأمريكي ٢٣ مرة . ورغم ذلك فإن وزن المحرك الواحد لا يزيد عن (٣٥٠٠ كغ) . وإذا حذفت فوهة العادم (مخرج الغازات) منه فإن طوله لا يتجاوز حصة أقدام .

أكثر من ألف أنبوب ضيق ثلثا حجرة احتراق الهيدروجين حيثة وذهاباً . يمر عبر هذه الأنابيب وقود الهيدروجين السائل البارد ، فيقوم بذلك بتبريد جدار حجرة الانفجار من ناحية ، لكنه في الوقت نفسه يصبح سائناً من ناحية أخرى ، مما يسهل عملية احتراقه . أنابيب أخرى تقوم بتجميع هذا الهيدروجين الساخن ودفعه إلى عتشتين ترتفعان ضغطه إلى ما يعادل ٧٠٠ مثل الضغط السائد في طائرات الضغط (بريستو) التي تستخدمها ربات المنازل في الطبخ السريع .

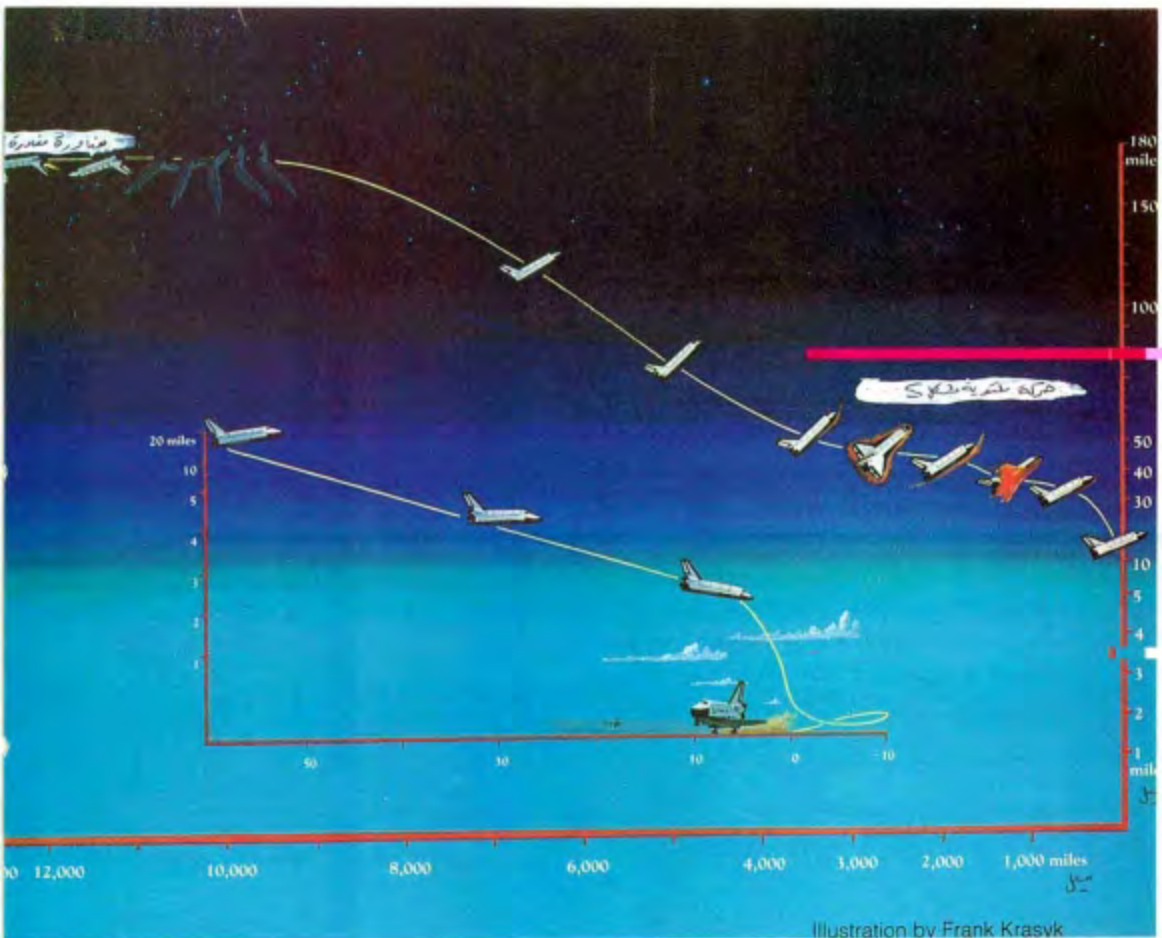


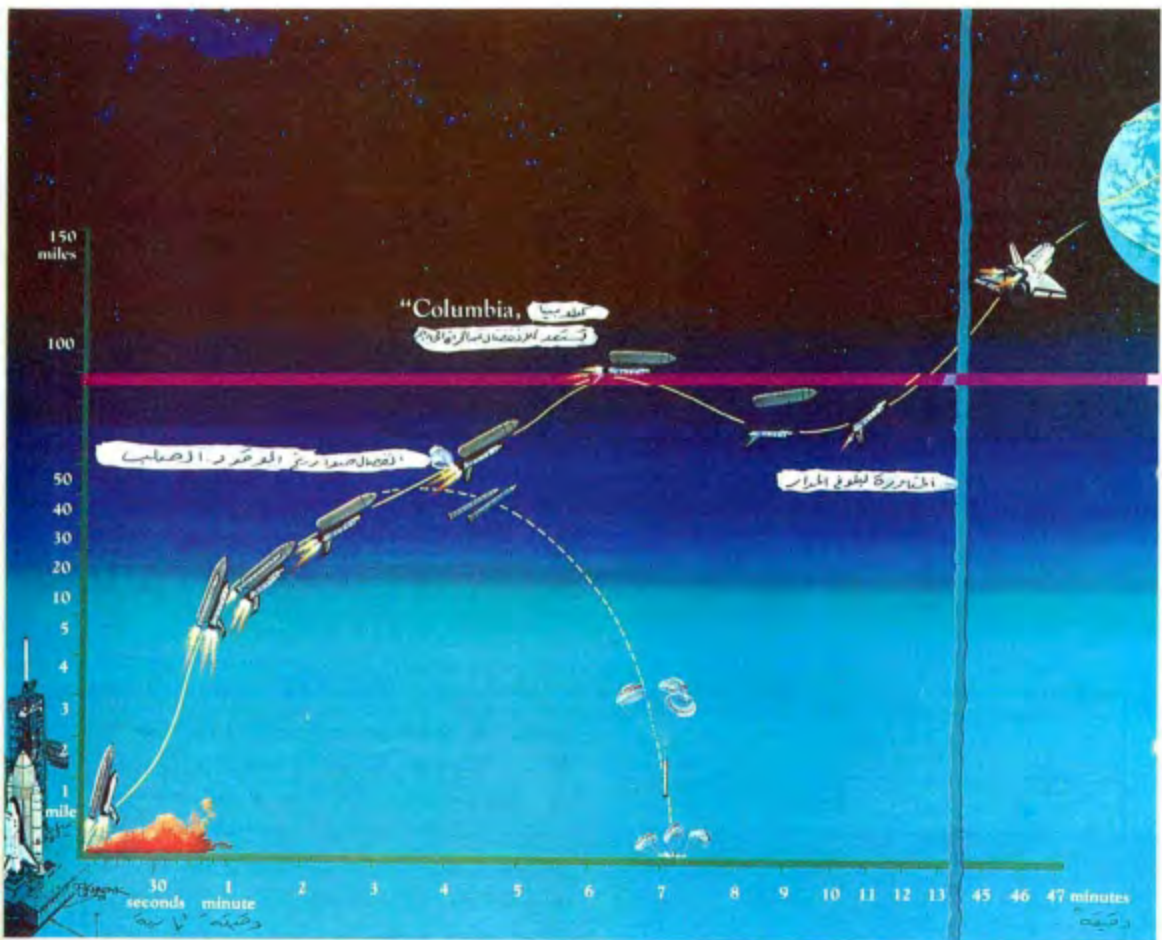
Illustration by Frank Krasvk

* عطف توصيفي لكامل رحلة مكوك الفضاء كولومبيا. (إلى اليسار) عطف الانقلاع. المحور الأفقي يقيس الزمن، أما المحور الشاقولي فيقيس الارتفاع. (إلى اليمين) عطف العودة. في العطف الكبير المحور الأفقي يقيس مسافة التكرار عند نقطة قياس سجلات المكوك مع سطح الأرض *

يسير إلى الأسفل من الخزان الخارجي وسفقه إلى الأسفل ، فهو مقلوب رأساً على عقب .

مهمة قائد الرحلة جون يانغ هي مراقبة الأجهزة المرتبطة بخط سير الرحلة . وفي أثناء ذلك يبقى متشاهياً لتتولى القيادة بنفسه إذا فشلت الحاسبات الإلكترونية . أما الرائد الثاني بوب كرين BOB CRIPPEN فإنه مسؤول عن حالة المركبة والتأكد من سير عمل المحركات ودرجات الحرارة والضغط وغيرها . وعند حدوث عطل ما أو خلل يظهر ذلك في لوحة القيادة . عندها يقوم كرين بتشغيل الحاسبات عن تفاصيل العطل ، ويعلم يانغ بالوضع لاتخاذ القرار المناسب . بعد الانقلاع بدقة ونصف تخفيض استطاعة كولومبيا من ١٠٠ بالمائة إلى ٦٥ بالمائة . هذا التخفيض يقلل تسارع المركبة ، وسرعان ما يعمل الأمان أثناء اختراق المركبة لجدار الصوت ، الذي يسود ضغطاً

• — • • • • « إشعال » ... لقد انطلقت غمامة هائلة من البخار من مؤخرة مكوك الفضاء كولومبيا . المحركات تزجج بين العدادات تشير إلى بلوغ الضغط المطلوب في حجرة احتراق محركات المكوك الرئيسية . ست توان بعد إشعال المحركات الرئيسية تتعرض حجرة القيادة إلى هزة عنيفة . لقد اشتعلت صواريخ الوقود الصلب « المسجاة » ... وارتفعت كولومبيا إلى السماء على عمود من النار . أعمدة النار الإجمالية تدفع كولومبيا بقوة تعادل ٤ ملايين كيلوغرام . لكنها تشق عنان السماء « مرتفعة » بتأثير صواريخ الوقود الصلب . سبع توان بعد الانطلاق بلغت كولومبيا ارتفاعاً قدره ٥٠٠ قدم . المكوك ينحرف فجأة بزاوية ١٢٠ لتسير في الاتجاه الصحيح . لقد أصبحت جملة النقل الفضائي وكأنها طائرة عادية . وبغية إفراح مجال رؤية الأرض لقائد المكوك ، واستمرار اتصاله اللاسلكي مع مركز الشابعة فإن المكوك



الارتفاع: يبدأ بليس المحرك التدفوق ارتفاع التكون عن سطح الأرض. في المخطط الصغير (ضمن المخطط الكبير) قبل مرحلة هبوط «الطائرة» على مدرج المطار. المحرك التدفوق يصل الارتفاع يبدأ بليس المحرك التدفوق الارتفاع

يعد استخدامهما في الرحلات القادمة.

مضي على بدء الرحلة أربع دقائق، وبلغ الارتفاع ٧٢ ميلاً. كولومبيا تشق عنان السحاب بأربعة أمثال سرعة الصوت معتمدة على محركاتها الرئيسية وحدها.

بعد مضي أربع دقائق ونصف على الاقلاع تنحدر كولومبيا صاعدة مع خط الأفق زاوية قدرها أربع درجات، لتبسط بمقدار ١١ ميل أثناء ذلك. سبع دقائق بعد الاقلاع. الارتفاع ٧٨ ميل. السرعة ١٧ ضعف سرعة الصوت. في هذه المرحلة تزداد سرعة كولومبيا بمقدار سرعة الصوت كل ١٢ ثانية فقط.

ثمان دقائق و ٣٣ ثانية بعد الانطلاق. المحركات الرئيسية توقفت فجأة عند بلوغ مرحلة انعدام الوزن. لا بد الآن من التخلص من الخزان الخارجي الذي سيقوم بنصف دورة حول الأرض ليُسقط بعدها في

أيروديناميكياً أعظمياً في المحرك. ومثل هذه العملية تنفذ للمرة الأولى في تاريخ ريادة الفضاء.

٥٢ ثانية بعد الاقلاع. كولومبيا تخترق جدار الصوت عند ارتفاع قدره (٢٤,٠٠٠) قدم، وتعود محركاتها إلى العمل بالطاقة الكاملة (١٠٠ بالمائة). سرعة كولومبيا تزايد باستمرار حتى تصل إلى ثلاثة أضعاف سرعة الصوت بعد دقيقة و ٥٣ ثانية. مؤشر الارتفاع يبين (١٢٠,٠٠٠) قدم.

بلغت السرعة أربعة أضعاف سرعة الصوت، على ارتفاع (١٣٦,٠٠٠) قدم. لقد أصبح الضغط الديناميكي على كولومبيا صغيراً لجعل العملية التالية مأمونة. يشاهد الرواد من النافذة وميضاً برافاً تنبعه هزة عنيفة. لقد فصلت المتفجرات صواريخ الوقود الصلب ناصية الوقود عن جسم الجذلة. وهذه تهيئ بمظلات قوية جداً في المحيط الأطلسي كي

المحيط الخندي

١٧ ثانية بعد توقف المحركات يتم فصل الخزان الخارجي بصورة آلية ، بينما يبقى المكوك مقلوباً . الناظر من الأرض يظن أن المكوك هو الذي يسقط من بين يرائن الخزان العملاق . وهنا تستخدم محركات المساورة للمرة الأولى في الرحلة كي ترفع المكوك إلى مدار أعلى ، بينما تصمت المحركات الرئيسية التي كانت تستمد وقود الهيدروجين من الخزان الخارجي حتى نهاية الرحلة . في الفضاء الخارجي لا تستخدم إلا محركات المناورة .

الآن يشعل قائد الرحلة صواريخ إعادة توجيه مينا يرفع مقدمة المكوك على خط الأفق إلى زاوية قدرها ١٥ درجة ، ويبقى المكوك مقلوباً رأساً على عقب . بعدها يبدأ العد التنازلي لإشعال محركات المكوك الثانوية ذات قوة الدفع (٣,٠٠٠) كيلوغرام . ويتم الإشعال فوق الأطلسي الأوسط .

١٨ دقيقة بعد الانفلاق تلوح جزر كنساري في الأفق . لقد استغرقت الرحلة من الولايات المتحدة إلى أوروبا أقل من ٢٠ دقيقة . يستمر المكوك في مساره حتى الأرض ليطل على جنوب غرب اسراليا . تشغل محركات المناورة للمرة الثانية ، ويعدّل ارتفاع مسار المكوك إلى ١٥٠ ميلاً . وبذلك تختم عملية الإطلاق . لقد أصبح مكوك الفضاء كولومبيا في مداره المرسوم .

يوميات قصصية

تخلص الرواد من هزات صواريخ الوقود الصلب ، ثم من هدير المحركات الرئيسية ، والوصول أخيراً إلى المدار المطلوب لا يعني الراحة بالنسبة للرواد ، فعملهم في هذه المرحلة إنجاز كثير من الأعمال ، على رأسها فتح باب مستودع المكوك ، بغية تخليص المكوك من السخونة الكبيرة التي اكتسبها في فترة الإطلاق حتى وصوله إلى مداره . وهنا يقوم باتنغ وكربين بتحرير أنفسهم من مقاعد القيادة ، و « يعومان » إلى إحدى لوحات التحكم في مؤخرة حجرة القيادة ، ويفتحان الأبواب العملاقة بحذر تام . وفي الوقت المحدد تغلق الأبواب مرة أخرى . بعدها يتأكد الرائدان من سلامة جل التحكم بالمركبة التي سيعتمدان عليها عند ولوج جو الأرض ، وأخيراً يختبران خلية الوقود FUEL CELL التي تزود المكوك بالكهرباء من الهيدروجين والأكسجين مخلقة الماء الذي لشرب الرواد في الوقت نفسه .

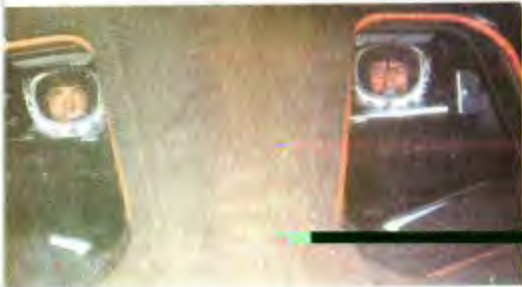
أنبت كولومبيا خمس دورات حول الأرض . تشغل محركات المساورة مرتين متتاليتين لرفع المكوك إلى مدار ارتفاعه ١٧٠ ميلاً عن سطح الأرض . وبعد كل هذا العناء الذي تكبده الرائدان ، فقد استحقا مكافأتهما بالخلود إلى الراحة والنوم في مقاعد القيادة ، بحيث يتمكن على المتابعة الأنظمة من النظامين . راحة - راحة - راحة - راحة - راحة - راحة .

ثم في اليوم التالي من الرحلة إجراء العديد من الاختبارات . إلا أن المهمة الرئيسية تركزت على التحضير لولوج غلاف الأرض الجوي . لأن احتكاك المكوك المنطلق بسرعة كبيرة مع الهواء يرافقه درجات حرارة شديدة الارتفاع قد تشعل المكوك من فيه . وبعد التأكد من أن كل شيء يسير على ما يرام يتوجهان إلى مقاعدهما للنوم .

في اليوم الثالث استيقظ الرواد مبكرين للتحضير لرحلة العودة التي قد ترافقها أخطار أكبر من تلك التي كانت موجودة عند الانفلاق ، وجب على الرواد الاهتمام بناحيتين رئيسيتين : لبنات السدوع الحراري ، والحالة الأيروديناميكية المجهولة .

لن ناحية دلت بعض الصور التلفزيونية على سقوط بعض لبنات الدرع الحراري . فقد أظهرت الصور بقاء داكنة في خلفية بيضاء . إلا أن الرائدان لم يستعدا لمغادرة حجرة القيادة وتفقد اللبشات . هذه الحالة سببت بعض

★ تابع (إلى الجزء) وكربين في مقاعد القيادة ★



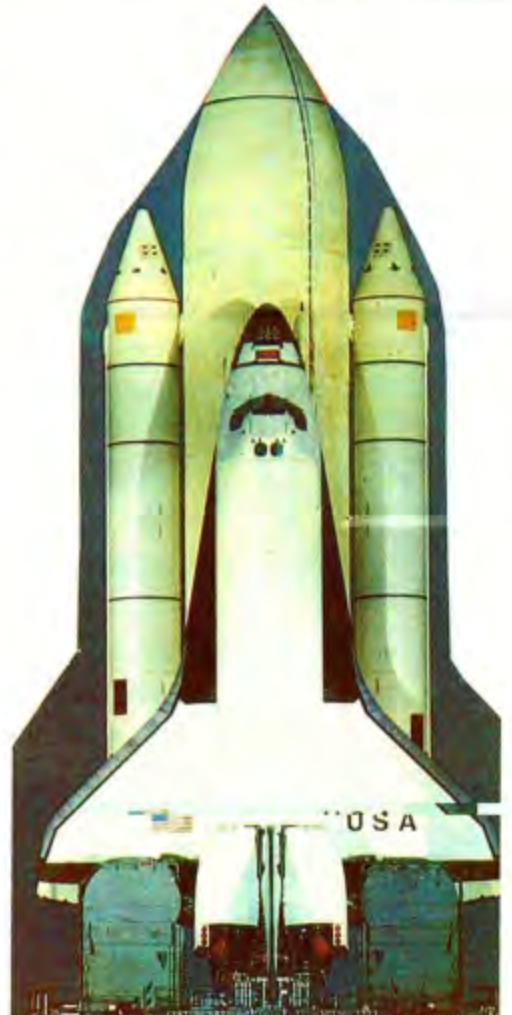
★ مقلات صواريخ الوقود الصلب تجري على محركات كثيرة ، كي تشعل الطاقة عندما الصعد الناجم عن صعودها في السحبات الأولى ★



الامتياز للمسؤولين في وزارة الدفاع الأمريكية . خطورة اللبنة المفقودة أجبرت هؤلاء المسؤولين على كشف سر عسكري هام . فالوزارة لديها عدسات تصوير بالغة القوة والدقة ، بمقدورها أن تصور أقمار التجسس السوفياتية وإظهار مكوناتها ، وحتى تفاصيلها وهي قابعة على سطح الأرض .

وقد أصبح سر عدسات التصوير هذه عندما انصطرت هيئة بحوث الفضاء والطيران الأمريكية (ناسا) إلى طمأننة المواطنين إلى أن السطح

★ مكونات حزمة نقل الفضاء : المكوك متصل بالمرآة الخارجية المعلقة ، الذي يعمل على جانبية : جناحان : من صواريخ الوقود الصلب ★



الدائنة على جلد المكوك ، إن هي إلا لبنة قابعة تابعة للدرع الحراري . لكن المواطنين والمخبرين الصحفيين لم يقبلوا هذا التفسير حتى شرح لهم « كيف » تم التوصل إلى هذه القناعة باستخدام عدسات التصوير السرية ، التي انفضح أمرها بعد نكث تام .

بحور الاهتمام التالي تركز عند الرائدتين على إمكانية احتراق المكوك عند تماسه مع الهواء وارتفاع درجة الحرارة إلى حوالي ١٢٠٠ مئوية . هل ستصدق التوقعات حول إمكانية قيادة المكوك والتحكم في توجيهه في ظروف مجهولة تجرب للمرة الأولى ، ويهبط بأمان في المطار الصحراوي في غربي الولايات المتحدة ؟ هذه المخاوف لن تحل حتى يخوض الرائدان غمار المعركة .

الترحيب الدافئ

كولومبيا تخلق فوق المحيط الهندي بلفها السطام ويتعذر اتصالها مع مركز التابعة الأرضي في ولاية تكساس . كل شيء بالعكس : سفك المكوك أقرب إلى سطح الأرض من أرضيته ، والمكوك ينطلق لكن مؤخرته في الأمام . كل شيء أصبح جاهزاً لتأخرة كبح سرعة (قرملة) كولومبيا ، لتخفيض سرعتها إلى الحد الذي يمكن قبضة جاذبية الأرض من الإمساك بها وإعادة تدويرها إلى سطح الأرض . الآن تشغل محركات التأخرة مدة قدرها دقيقتان ونصف أثناء العبور فوق المحيط الأطلسي . كل شيء يسير حسب المخطط المرسوم .

بالع يقبل المكوك ليكون السفح هو الأعلى ، تنحدر كولومبيا وتصنع مع الأفق زاوية قدرها ١٨° . هذه الحالة توصل المكوك بصورة آلية إلى الوضعية المرفوعة التي ترتفع فيها مقدمة المكوك عن خط الأفق بزاوية ٤٠° . بعد ٢٢ دقيقة يصل المكوك إلى هذه الوضعية التي تجعل درعه الحراري هو أول ما يتلاصق مع الهواء الأرضي وتطلق الصدمة الأولى . وفي هذه اللحظة يدخل المكوك جو الأرض . الشاشات التلفزيونية تبين موقع المكوك ، والمعلومات الأخرى الضرورية لعملية التوجيه . وقبضاً يسرى الرائدتين شروق الشمس فوق المحيط الهادئ الجنوبي .

لقد بدأت عملية وتوج الغلاف الجوي . هبط المكوك إلى ارتفاع ٦٦ ميلاً . الاحتكاك بين المكوك والهواء جعل الهواء يسخن إلى درجات حرارة عالية ، ويلفح المكوك بدفق غازي من الجسيمات المشحونة الساخنة . لقد انقطع الاتصال بسبب ذلك مع المكوك ١٧ دقيقة بشكل كامل . الأقنعة الواقية تحمي عيون الرواد من بريق البلازما (*) الذي يلف المركبة من جميع الجوانب والتي تزيد درجة حرارتها عن ١٢٠٠ درجة مئوية . لقد ثبتت الدرع الحراري جدارته ولم يصب أحد بالآذى . فالمكوك والرواد يتخطى هذا الترحيب الحار من قبل جو الأرض وهم في أتم عافية .

الطائرة الفضائية

حتى الآن كان كل شيء في رحلة مكوك الفضاء كولومبيا مسيراً تقريباً لسفن الفضاء « القذبة » . إلا أن الجزء التالي من رحلة المكوك هو

الفضاء كولومبيا تشيخاً معاً ، ويجري حول المكوك لتأكد من سلامته بنفسه .

ويعد

اجتاز مكوك الفضاء الأول كولومبيا تجربته الأولى التي استغرقت يومين وثلاثاً بنجاح تام . فقد اشغلت جميع محركاتها عند الاقلاع ، وولجت إلى جو الأرض من الفضاء دون أن تحترق أو أن يتضرر درعها الحراري وأخيراً هبطت بسلام على مدرج مطارها وكأنها طائرة اعتيادية .

مكوك الفضاء كولومبيا هو حجر الأساس للحفنة الثانية من عصر الفضاء ، حبة «تسخير» الفضاء واستغلاله للصناعة وتوليد الطاقة وغيرها من المجالات التي تلهب خيال المفكرين والعلماء .

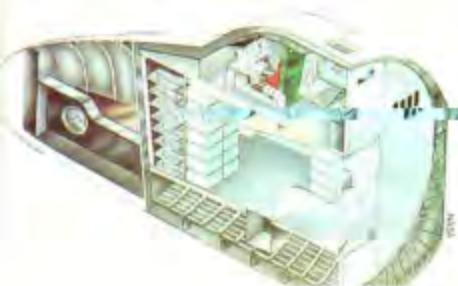
النهاية الناجحة للرحلة الأولى لها نتائج سريعة أيضاً ، فهي تشير إشارة بدء العد التنازلي للرحلة الثانية . فبعد حوالي ستة أشهر سينطلق رائدان آخران على متن كولومبيا في محاولة جديدة لزيادة سرعة مكوك الفضاء إلى ٢٥ ضعف سرعة الصوت .

(*) لمزيد من التفاصيل عن «البلاد» ... رحلة أربعة لعودة ... أسطر حمراء الفصل (التعبئة ١١) في الطبعة ١٩٩٠ م (أكتوبر ١٩٩١ م).

☆ سرعة ميل واحد في الساعة كولومبيا تعادرت الصحيح في منتصف الاقلاع ☆



☆ في رحلته الخامسة ستؤمن كولومبيا «جناحاً» محركاً شويك الفضاء ، فكلها الذي لنكون وعندها صغراً ☆



أقرب إلى طائرة نقل اعتيادية . وقد شبهها أحد العلماء بأنها تجمع نصف طائرة ونصف سفينة فضاء في بوتقة واحدة . القيادة الآلية أثبتت كفاءتها حتى الآن . ورغم أنها أكثر دقة من الإنسان ، لكن الإنسان يتفوق عليها عند التصدي للمفاجآت . لذا تسمرت عيون طاقم على لوحة القيادة ، كي يتولى القيادة البدوية فور ظهور ضرورة لذلك دون أي تأخير .

ولوح المكوك جو الأرض بسرعه هائلة التي تعادل ٢٤ ضعف سرعة الصوت يجعله مثل كرة ملتهبة بكل ما في الكلمة من معنى ، عند تحليقه فوق المحيط الهادئ الأوسط ، الآن يبدأ «الطيران» الحقيقي . لا بد من كبح سرعة المكوك ، لتحقيق ذلك تنحدر كولومبيا بشكل أقرب إلى الشاقولي (بزاوية ٨٠°) مدة عدة دقائق ، وكلما مرت بعدها يضع دقائق فإن مقدمة المكوك تحرف نحو الجنوب ، وبعد يضع دقائق أخرى تحرف المقدمة إلى الشمال ، وهكذا يسير المكوك بشكل ملتو على هيئة الحرف اللاتيني S ، مما يخفف سرعته بشكل ملموس .

السرعة انخفضت إلى ٢٠ ضعف سرعة الصوت . اللهب ما يزال محيطاً بالركبة ، ثم كولومبيا الآن بمرحلة حساسة من التغيرات المستمرة في السرعة ، وزوايا الطيران والمشاهد المتنوعة على الشاشات التلفزيونية . عداد الارتفاع يشير الآن إلى ٢٩ ميلاً ، والمكوك يهبط بسرعة تعادل ٨ أضعاف سرعة الصوت . يتنفس الرائدان الصعداء عندما يشاهدون ساحل كاليفورنيا على بعد ٧٠ ميل . لقد اخترقا مرحلة ولوج جو الأرض بسلام .

تقابل الرائدان أكثر باتناء فترة العزلة والحديث المتبادل مع علماء التابعة الذين يقدمون لها المعلومات الضرورية التي تساعدهم في عملية التوجه الصحيح . على ارتفاع ٨٢.٠٠٠ قدم ، انخفضت السرعة إلى ٢.٥ ضعف سرعة الصوت ، ورأى الرائدان البحيرة المحيطة القرية من مدرج هبوطها ، على بعد ٤٥ ميلاً .

على ارتفاع (٣٥.٠٠٠) قدم تنخفض السرعة دون سرعة الصوت ، ويتولى طاقم قيادة المكوك «بديلاً» ، بعد ذلك بلحظات يصل أول المستقبليين على متن طائرات خاصة لمراقبة المكوك وتوجيهه .

بلغت السرعة الآن ٣٥٠ ميلاً في الساعة . يبدأ طاقم بانحويط بزاوية شديدة الانحدار تزيد عن ٧ أمثال الزاوية التي تهبط بها الطائرات التجارية . كربين يقوم في هذه الفترة بإعلام طاقم عن سوية الارتفاع بصورة متواصلة .

وفجأة - على ارتفاع ١٧٥٠ قدم - يرفع طاقم مقدمة «الطائرة» ، استعداداً للامساك بمدرج المطار بعد ٩ ثوان فقط . السرعة تنخفض إلى ٢٢٠ ميل في الساعة . كربين يخفف عجالات الهبوط ، طاقم يستمر نظره على مدرج المطار بينما طاقم والطائرات المرافقة تعمل طاقم عن الأقدام الأخيرة التي تفصل كولومبيا عن سطح الأرض . ١٠٠ قدم ، ٨٠ قدم ، ٥٠ قدم ، ٢٠ قدم ، ١٠ أقدام ... تماس ... عجانة من العيار تلاحق ما هو قار الخلف من الطائرة تشبه إلى الأبد «عند» ينفجر ثم بعد حلقه الثلاثاء ١٤ نيسان (أبريل) ١٩٨١ م ، حسب المخطط المرسوم بالضبط .

فرق الإصعاف تهرع إلى المكوك لتأكد من سلامته وخلوه من الغازات السامة أو تلك القابلة للإنفجار ، بعدها يخرج طاقم من مكوك

★ استادیوم ورزشی المپیک، تهران، ایران. طراحی: آرشا، ۱۳۸۰. عکس: آرشا



لوحة وفناني

في رحاب المآذن

عبارة تقول الكثير والكثير جداً ، بعيداً عن الزخرفة ، بعيداً عن المصنات ، بعيداً عن التفاصيل ، وتلك من سمات الواقعية الجديدة ، حيث يلتقي الانطباع والابتداء ، الفطري والابتداء الفني .

● إن لوحة في رحاب المآذن قطعة حية نابضة بتفحات الدين ، ونض الواقع ، وحركة الأحياء ، وساطة للعمار ، فضلاً عن اكتمال التكوين ، وتناسب المساحات وروعة المنظور ، وفوق هذا كله الطمأنينة والسكينة وقد تنزلا من فوق المآذن .

التي تلغي رؤى الفنان ورؤيته جميعاً ، ولكنها الواقعية الجديدة التي تتجلى الفرصة أمام الفنان كي يضفي أحاسيس ومشاعره على المخطوط كما يلقي بفكره وتفكيره على الألوان ، ومن ثم جاءت اللوحة قطعة حية نابضة من عقل وقلب الفنان ، وكأنها عزف على المخطوط والألوان في نوع من القصيد التشكيلي الذي تراه ونقرأه في نفس الآن .

● والذي يلاحظ على هذه اللوحة فضلاً عن بساطة المخطوط ، وجوية الألوان ، وتلقائية الظلال ، هو قدرة الفنان على التلخيص ، وكأنها في أوجز

بتفحات الإيمان ، حيث الناس البسطاء الذين يعيشون على الفطرة ، يمارسون حياتهم اليومية في صباح يوم ساكن ، قلوبهم عامرة بدفء الإيمان . وقد استقرت نفوسهم ، واطمأنت قلوبهم ، وهم يروحون ويعيشون في رحاب المآذن العالية . كأنها تستظلهم وكأنها يستمدون منها الأمن والأمان .

● وإذا كانت الواقعية هي الإطار الذي اختارته الفنانة لتصوير هذا الجو ، أو لتقديم هذه الترجمة من الحياة في رحاب المآذن ، فهي ليست الواقعية المباشرة أو الواقعية الجغرافية ،

● تنعم الفنانة زُينب عبد العزيز بمخطوطها الواقعية ، المستوحاة من الجو الشعبي ، المعطر بعنق السدير وقطرة الإيمان ، وهي ذات وقع شديد في الجسد بين عصري الإيمان والحيد ، وكأنها تصرخ بفرشاتها ، أن لا حياة بدون إيمان ، وأن الإيمان هو يسوع الحياة وهو غدير الإنسان .

● وفي هذه اللوحة . . . في رحاب المآذن ، التي استوحاتها الفنانة من معانيها لحي الأهر الشريف ، حيث تعمل أستاذة بجامعة الأزهر ، بتجلى هذا التأثير الشايد بالجو الشعبي الفسح

● أما عن نشاطها الفني ، فقد اشتركت في المعارض العامة منذ سنة ١٩٥٥ م ، كما شاركت في المعارض الدولية العامة منذ سنة ١٩٦٥ م ، وأقامت حتى الآن ثمانية عشر معرضاً خاصاً في مصر وفي بعض دول أوروبا ، وذلك منذ سنة ١٩٥٥ م . أما أحدث معارضها فقد أقامته في

عام ١٩٦٢ م ، كما حصلت على درجة الماجستير في الفن والأدب الفرنسي وكان موضوع رسالتها « يوميات أوجين ديلاكروا » عام ١٩٦٧ م ، أما درجة الدكتوراه فقد حصلت عليها عام ١٩٧٤ م . وكان موضوعها « الزعة الإنسانية عند فنان فان جوخ » .

عام ١٩٧٠ م ، حصلت من وزارة الثقافة على منحة تفرغ لمدة عامين لتصوير بلاد النوبة وأسوان .

● وهي فنانة وأديبة معاً ، وإن كانت قد جمعت في دراساتها الأدبية بين الفن وفلسفة الجمال ، فقد حصلت على ليسانس الآداب من قسم اللغة الفرنسية

د. زينب عبدالعزيز

● الفنانة زينب عبد العزيز ولدت في الإسكندرية عام ١٩٣٥ م ، وتربت في أسرة فنية وعلمية ، التحقت بالكلية الحرة في الآداب من قسم اللغة الفرنسية



جدة الفنانة (١٩٦١) من ١٩٥٨

كتابتان هما «يوميات فنان» عام ١٩٧١م، عن دار المعارف، و«قولشير الروماني» عام ١٩٨٠م، عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● تعمل حالياً استاذاً لمادة الحضارة والأدب الفرنسي بكلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر.

مقنتياتها في فرنسا، وإيطاليا، وإنجلترا، وكندا.

● أما عن نشاطها الأدبي، فقد نشرت عديدًا من المقالات الأدبية منذ عام ١٩٦٥م، في مجلات، الهلال، والكتاب، والمجلة، والفكر المعاصر، والدوحة، وأفاق عربية. وقد صدر لها

أبريل (نيسان) عام ١٩٨٠م، في «قاعة إختاتون» احتفالاً بيوبيلها الفني.

● وتعد الفنانة من أكثر الفنانات التشكيليات في مجال المقنتيات، فلها مقنتيات في وزارة الثقافة، ووزارة الخارجية، وإدارة الفنون الجميلة، وفندق الميريديان في مصر، إلى جانب

Paul Buhré

بول بورييه

من كبار مصانعي الساعات في العالم منذ عام ١٨١٥ م .



محسن
MOHSEN

المركز الرئيسي : جدة - شارع المطار - شارع الأبرار - ص ١٤٩٨
الرياض : شارع الملك عبدالعزيز - شارع الناصرية
المنيرة : شارع ٢٨ - طابق هـ
المنيرة : شارع السديلية - شارع الملك عبدالعزيز



مصابي

شعر: محمد منذر لطفي

- ١ -

يا هلالاً .. نشر اليوم على الدنيا وشاحه
فصحا الكون على ميلاده .. يهبل راحه
أيها الزائر .. يا شهراً سماوي الملاحه
مرحباً .. تغمر وجه الشرق أنسا ومراحه
دمت للإسلام ذخراً بعثتُ الصبح صباحه

- ٢ -

يا رعى الله ليالك .. وإيلاً خليله
يا رعى الله النايح .. ولحسان الفضيله
ونسأتو من الفردوس نهلاً عليه
هي في تغري دعاء وسأعاقب خليله
سوف أحيها شباباً مستقياً .. وكهولة

- ٣ -

يا إلهي .. أرفع الدعوة من قلبي .. حزى
لتصون الشرق .. شرق الغرب والإسلام .. حُرّاً
مُكْرَماً .. حتى إذا ما زُكست الأفاضل بشرى
خلال .. سوف تنظرو بعد عام عنه سترّاً
تزهو الأمة تاريلاً .. وإعجاداً .. ونصراً



مدخل إلى الصحافة الثقافية

الصحافة العسكرية لا تعدو أن تكون جزءاً من الصحافة بصورة عامة ، ولا تختلف عنها اختلافاً بيناً ، لكنها تتميز بأنها لا تهدف إلى السعي وراء الربح التجاري ، ولا تقطع لسيطرة رأس المال .. وهذا يعني أنها ذات رسالة سامية ، وأهداف نبيلة تعبر حواجز المادة .. أي أنها أكثر قدرة من غيرها على تحقيق أهدافها .. ومن أهدافها تنمية الرأي العام وتبسيطه إلى المتطلع لأداء الخدمة العسكرية عن طريق فتح آفاق المعرفة ، والثقافة العسكرية إلى عشاقها ، بأسلوب بسيط يسور الفهم للقارئ العادي والجندي الحدود الثقافية لكي يعرف كل فرد في الدولة الواجب الوطني الملقى على عاتقه وهو المساهمة في الدفاع عنه .

فالصحافة العسكرية بذلك هي الوسيلة لنشر المعرفة بين صفوف الضباط والجنود بواسطة الصحف والدوريات التي تصدرها القوات المسلحة ، بالإضافة إلى نشر الثقافة العسكرية وتعميمها للمواطنين في الصحف والمجلات المدنية في وقت السلم ، ونشر إظهار المعارك والقتال وقت الحرب عن طريق صحفيين عسكريين ومذنبين متخصصين في أعمال الفرار العسكري ، والمراسل الحربي ، والتسويق والتحرير العسكري ، وللعقب على الأخبار العسكرية ، والنقد الحربي .

وعرف العالم الصحافة العسكرية منذ أقدم العصور ، وبرزت أهميتها في حروب القرن (١٨٥٣ - ١٨٥٥ م) ، والحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ - ١٨٦٤ م) ، وحرب السودان (١٨٨٣ - ١٨٩٦ م) ، وحرب البوير (١٨٩٨ - ١٩٠٢ م) ، والحرب الإيطالية الليبية (١٩١١ - ١٩١٢ م) ، وحرب البلقان (١٩١٣ م) حيث أرسلت الصحف الإنجليزية والروسية والأميركية مراسلين حربيين يرافقون الحملات العسكرية لتزويد صحفهم بالأخبار العسكرية ، وإرسالها بواسطة البرق أو البريد ، وكانت مهات نقل الأخبار العسكرية والفرجين والمراسلين العسكريين والنقاد الحربيين ، صعبة لتعارض مبدأ حرية النشر مع مبدأ من مبادئ الحرب وهو « المفاجأة والكتمان والسريّة » إلى أن حلت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨ م) فتغيرت القاعيم نحو نقل الأخبار العسكرية ، وتسهيل مهات المراسلين الحربيين ، وعلى ذلك إنشاء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥ م) عندما قدرت الحكومات أن طبيعة الحرب الحديثة تستوجب أن تكون الجهة الداخلية سليمة مفاصة ، ولا تفككها الشائعات الكاذبة ، وأنه لا سبيل لتحقيق هذا الغرض إلا بإتاحة الفرص لبعض الصحفيين كي يصاحبوا الحملات العسكرية أثناء القتال ، ويتدرب هؤلاء الصحفيون تدريباً خاصاً بحيث تضمن السلطات العسكرية جانبهم ، ويتمكن في نفس الوقت من إمداد الصحف والمجلات بالآباء

والصحافة العسكرية ذات رسالة محدودة العالم ، سامية المقاصد ، سواء في زمن السلم أو في زمن الحرب .. ففي زمن السلم تكون المراقبة التي تعكس الصورة الحقيقية عن القوات المسلحة التي تعبّر بلسانها ، قبلد ما تكون الصورة واضحة جلية قبلد ما تكون أقرب إلى الواقع منها إلى الخيال والتضليل ، أما في زمن الحرب فإنها أشبه ما تكون جبهة الوصل بين الجندي في ميدان القتال وبين أهله وبني وطنه ، كما أنها تنقل إليهم أخبار المعارك التي تدور بينهم وبين أعدائهم من غير تشويه من قبل العدو ، ويقصد إضعاف روحهم المعنوية ، وتشيط الفهم ، وهي بالتالي تشد المقاتل بأهله وذويه وبني وطنه بعضهم ببعض برباط قوي مفعم بضرورة الشعور الوطني الفياض ، كما أنها تقوم بدور هام ، سواء في زمن السلم أو الحرب ، ينقل أخبار المجتمع وما يدور في فلكه من نشاطات إلى الجنود ، سواء في ثكناتهم البعيدة عن الحياة العامة ، أو في خنادقهم في ميادين القتال ، أو الخطوط الأمامية . وهذا يعني أن للصحافة العسكرية دوراً كبيراً في بث وعي جديد قوامه حب الوطن من الإيمان ، وأن الدفاع عنه فريضة ، والموت في سبيله استشهاد .

ودعونا نقرأ ما قيل عن دور الصحافة العسكرية لندرك أهميتها في القتال ، فقد قال القائد العربي المسلم خالد بن الوليد قوله المأثور : « عقول الرجال على أسنة أقلامهم قبل أن تكون على أسنة رماحهم » ، وكما قال القائد الألباني « الفيلسوف مارشل هنتنبرج » في حديث له مع جنده : « لا أريد منكم أية معلومات ، ولكن أروني فقط صحفهم ومجلاتهم أحكم على رجالهم ومعداتهم » . وهذه الكلمات التي توافق عليها بطل من أبطال المسلمين ، ورجل من رجالات الألبان في الرأي لم تأت عفواً ، لكنها جاءت معبرة عن وقوع تجربتهم الشخصية للرجال .. ومن هذا يتضح لنا أن الصحافة العسكرية ودورها الكبير في زمن السلم ، وزمن الحرب ومسؤوليتها تجاه القوات المسلحة التي تعبّر عنها كبيرة .

العسكرية

بقلم : لواء ركن : يوسف إبراهيم السليم

والترجمات والصحف والمجلات العسكرية ، والمقالات والتعليقات التي نشرها المحررون والمعلقون والمراسلون الحربيون في الصحف والمجلات السياسية والاجتماعية والثقافية العامة .

وتتميز الصحافة العسكرية بالالتزام بقواعد السلوك الأخلاقي الفاضلة ، والصدق في نقل الكلمة ووصف المعارك ، وكتابة التاريخ العسكري ، ومذكرات القادة العسكريين ، ونشر المعرفة الفنية والقواعد التي يعمل بموجبها المراسلون المحررون العسكريون للحصول على المعلومات المشروعة عن الشؤون العسكرية ، وتقديم المشورة الفنية لرئيس التحرير ، وكسب ثقة المسؤولين عن الأمور العسكرية ، وأن ينشد الكيف وليس الكم ، ويحري الدقة والصدق في نقل الأخبار^(*) .

الصحافة العسكرية في المملكة العربية السعودية

تحتل الصحافة العسكرية في المملكة العربية السعودية دوراً بارزاً في نشر الثقافة العسكرية والتوجيه المعنوي بين العسكريين . ويبدأ تاريخ الصحافة العسكرية بأول عدد صدر من مجلة الجيش العربي السعودي عام ١٣٨٢هـ ، كمجلة دورية تهتم بالتاريخ العسكري ، والدراسات العسكرية ، ثم تحول اسمها في العدد الثاني إلى مجلة الدفاع التي صدرت في عام ١٣٨٣هـ ، وتحول هدفها إلى مجلة عسكرية ثقافية اجتماعية ، وأصبحت تهتم بأخبار المجتمع العسكري إلى جانب اهتمامها بالثقافة العسكرية ، وتصدر مرة كل ثلاثة أشهر ، وصدر منها حتى تاريخ إعداد هذا الموضوع ٤٣ عدداً . ويشارك في تحريرها نخبة من الضباط والوظائف التابعين لوزارة الدفاع والقوات المسلحة السعودية وبعض الكتاب السعوديين والأخوة العرب والمسلمين ، وتعتبر مجلة مرجعاً تاريخياً وعلمياً لقطاع القوات المسلحة السعودية ، وسجلاً لدور القوات السعودية في السلم والحرب .

ثم مجلة كلية الملك عبد العزيز الحربية التي تصدر سنوياً ، وصدر العدد الأول منها سنة ١٣٨٠هـ ، وصدر منها حتى سنة ١٣٩٨هـ ، ثمانية عشر عدداً ، وهي مجلة علمية ثقافية يشارك في تحريرها أساتذة ومدرسي الكلية وبعض الطلاب فيها ، وتعتبر سجلاً تاريخياً لتطور الكلية ،

الصحيحة التي تقوي الجبهة الداخلية ، ولا تفيد العدو في شيء ، ولهذا ما أن انتهت الحرب العالمية الثانية حتى كان أمر المنشورين العسكريين من المسائل المقررة ذات النظام الثابت ، والاعتراف به ، وأصبحت الجامعات تدرس هذا التخصص ضمن مؤتمرات ومناهج تدريس الصحافة . وقد قال الرئيس الأمريكي السابق الجنرال (أيزنهاور) حيث كان قائد لجبهة الخلفاء : « إن دور المراسلين الحربيين جزء من هيئة أركان حربي » .

وقبل معركة العلمين جمع القائد الإنجليزي (مونتجمري) الصحفيين وشرح لهم تفاصيل المعركة لكي يكونوا على بينة عند نقل الأخبار الحربية من ميادين القتال^(*) .

وظهرت أهمية المراسلين الحربيين بشكل أوسع في الحروب العربية الإسرائيلية (١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ م) ، وكذلك في الحرب الكورية (١٩٥١ م) ، والحرب القينائية (١٩٦٨ م) .

وتهدف الصحافة العسكرية إلى تشجيع حركة التأليف والترجمة والنشر والقراءة والتوجيه المعنوي بين صفوف الجيش والقوات المسلحة ، وليس من أهداف الصحافة العسكرية التجارة - وتزعر الكتيبة العسكرية بالعديد من المؤلفات



★ تأخذ الثقافة العسكرية جزءاً من كل من الثقافات العربية والإسلامية والدولية في جميع العصور ★

وتقوم بتسجيل مصور للحقل السنوي للتخرج ، وبعض نشاطات الكلية ، وهي كالمائدة التي يجتمع فيها الطلاب والباحث والقارئ والمهتم بالشؤون العسكرية ألوان الثقافة العسكرية الشيقة .

وبل مجلة الكلية بالصدور مجلة المجندي المسلم التي يصدرها قسم التوعية الإسلامية بإدارة الشؤون الدينية للقوات المسلحة السعودية ، وهي تصدر مرة كل شهر ، وصدر العدد الأول منها بتاريخ ١/شوال/١٣٩٢هـ . وصدر العدد العشرون منها سنة ١٣٩٩هـ ، وهي مجلة إسلامية ثقافية عسكرية تهتم بالدراسات العسكرية الإسلامية ، والتاريخ العسكري الإسلامي ، ويشارك في تحريرها أعضاء إدارة الشؤون الدينية ، وبعض الكتاب العسكريين والدينين ، وللمائدة الجاهات . كما يصدر عن كلية الملك فيصل الجوية نشرتين الأولى شهرية باسم «الفراس» وهي تعنى بشؤون الطيران والعلم والثقافة . ولثانية مجلة «الصقور» وهي مجلة سنوية تصدر مع تخرج كل دورة من الكلية كل عام ، تهتم بنشاطات الكلية إلى جانب نشر الثقافة العسكرية ، وعلم الطيران ، ويقيم بتحريرها أعضاء هيئة التدريس ، وعدد من طلاب الكلية ، وبعض ضباط القوات الجوية .

ولإ جانب هذه المجلات والنشرات الدورية تصدر إدارة المعلومات هيئة الاستخبارات للقوات المسلحة نشرتين الأولى يومية تنقل إلى القادة والضباط أهم الأخبار والتعليقات المحلية والعربية والعالمية لتجعلهم يتابعون أحداث العالم أولاً بأول ، ونشرة دورية تعنى بأهم الدراسات والأبحاث العسكرية ، والمقالات العلمية ذات الأهمية الاستراتيجية لتساهم مع الصحافة العسكرية في نشر الثقافة العسكرية ، ورفع مستوى العسكريين عديماً ، والنشرة الأولى باسم «أهم الأنباء العربية والعالمية» والنشرة الثانية باسم «مقالات صحفية» .

كما أن المعاهد والمدارس العسكرية تصدر نشرات خاصة بها مثل النشرة الخاصة بإدارة موسيقاات الجيش ، وإدارة الثقافة والتعليم تصدر كتيبات عن دور الثقافة والتعليم في القوات المسلحة .

مجلة الحرس الوطني

مجلة الحرس الوطني الذي صدر العدد الأول منها في شهر رجب ١٤٠٠هـ ، مجلة عسكرية فنية مختارة من أول عدد صدر منها بالبطاعة الأليقة والموضوعات الشيقة ، وهي مجلة عسكرية ثقافية فصلية تصدر عن إدارة العلاقات العامة بالحرس الوطني .

ولإ جانب المجلات والنشرات التي تصدرها القوات المسلحة هناك قوات الأمن الداخلي تصدر مجلات أمنية متخصصة ، وهي وإن التزمت جانب التخصص والفنية في مجالات الأمن الداخلي ، إلا أنها تعتبر مكملة للثقافة العسكرية بمفهومها الواسع .

من هذه المجلات والنشرات مجلة «الأمن العام» التي تصدرها إدارة العلاقات العامة بالأمن العام ، ومجلة «كلية قوى الأمن الداخلي» ، وتحتوي هذه المجلات على مقالات تبحث في مجالات الأمن الداخلي ، ونشاطات قوى الأمن مما يشر بهضمة علمية في صفوف رجال

الأمن وفهم الله لأداء مهمتهم .

وبإتداء من أول العام الهجري ١٤٠٦هـ ، صدرت جريدة (أخبار القوات المسلحة) عن إدارة الشؤون العامة للقوات المسلحة السعودية ، وبهدف هذه الجريدة إلى التثقيف والتوجيه البناء للسوي القوات المسلحة من خلال مساهمة قادة وضباط ومسؤولي القوات المسلحة ، وإبراز وتعميم نشاطات القوات المسلحة ، وبسليط الضوء على المنجزات ليعترف عليها كافة مسوي القوات المسلحة والآخرين ، وتعميم أخبار القوات المسلحة كالأعمال المميزة التي تم في مختلف القطاعات ، وكذا التزيقات والتعميمات الرئيسية ، ليعترف الجميع على قادتهم ومعاونهم وجوانب أعرفهم واختصاصاتهم ، وبمدخل ضمن ذلك الإحالات للثقافة وإنهاء الخدمة .

الكتابة العسكرية والأدب الحربي

الكتابة العسكرية تنقسم إلى نوعين : كتابة عسكرية رسمية ، وكتابة عسكرية أدبية ، أو ما يمكن أن نسميها بالأدب الحربي ، فالكتابة العسكرية الرسمية تعتمد على قواعد وضوابط ، وتتميز بالدقة وبالاختصار ، مع المحافظة على وضوح الهدف ، وتتناول الكتابة العسكرية الرسمية موضوعات متعددة منها الأوامر والتعليمات ، ومنها التقارير والتوصيات للإيجاز المهات ، ومنها التوجيهات والإرشادات ، وأغراض الاتصالات الراسية والأفقية من رسائل التبليغ والتنسيق والطلبات ، وتشتمل على عناصر معلومة تبدأ بتحديد المرسل والمرسل إليه ، والتاريخ في صدر الرسالة ثم الموضوع ، والمناقشة ، والتوصية ، أو التوجيه . وتبلي الرسالة بكتابة الاسم واضحاً مع الرتبة والوظيفة ثم التوقيع . وتحدد درجة السرية وتندرج من عادي - محظور - مري - مري جداً - سري للعباية . - حسب الأهمية . وتتصف الكتابة العسكرية الرسمية بالالتزام أدب المحاطبة ، والاحترام أو النعية حسب أقدعية المرسل والمرسل إليه .

وقد تكون رسالة خبرية أو نشرة عسكرية أو تقرير عسل أو أمر عمليات . وقد تكون قرارات إدارية لشؤون الأفراد أو المالية أو الفسوي وفق الأنظمة العسكرية . وفي كل حالة تلتزم الكتابة العسكرية الرسمية بالعناصر المذكورة .

وفي حالات الحرب تستعمل الكود والرموز الدالة على الوحدات والمعدات باختصار حتى لا تقع الرسائل في يد العدو فتكشف الأسرار العسكرية . كما تستعمل المبرقات في الحالات المستعجلة في السل أو الحرب ، وتأتخذ البرقية صفة الإيجاز .

وتعتبر الكتابات العسكرية من مصادر التاريخ العسكري الرئيسية ، ومن الوثائق التي يعتمد عليها في تسجيل تسلسل الأحداث العسكرية التي تبقى عليها الخطط الحربية والدروس المستفادة .

هذا فإن الأمانة العلمية تستوجب سلامة وصحة المعلومات التي تشتمل عليها الرسائل الحربية ، فكثير ما رجع القادة لتسجيل مذكراتهم التاريخية من واقع الكتابات العسكرية الرسمية ، والنوع الثاني من الكتابة

العسكرية هي الكتابات التي لا تأخذ الصفة الرسمية مثل مذكرات القادة العسكريين ، وكتابة التاريخ الخريسي والشعر الحياضي ، والمخططة في ميادين القتال ، وكتابة المقالات العسكرية في المجلات والصحف ، وكتابة المؤلفات الأدبية والتخصصية ذات الصبغة العلمية والثقافية .

وتأخر الكتابة العسكرية بالعديد من المؤلفات والمذكرات التي كتبت من قبل القادة العسكريين والكتاب والمراسلين الخريبيين ، وتصور الكتابة العسكرية غير الرسمية أصدق الأحاسيس الإنسانية للجنود في أشد وأحلك المعارك الخيرية ، وتكتب بواسطة أقلام ذوي المواهب الأدبية ، وكلم من مذكرات ومشاهدات سجلت أعنف المواقف للرجال في ميادين القتال غيرت مجرى التاريخ . وكلم من العبر والدروس المستفادة التي تعلمناها من الكتابات العسكرية التي كتبت في أثناء الحروب وتكشف آثارها بعد وقف القتال ، وتنساق الصحف والمجلات بنشرها .

وبعدنا التاريخ العسكري بالعديد من القطع الشعرية الحياضية ، والملاحم الشعرية ، والفصص الفنية الرائعة التي ترقى إلى مستوى الإبداع بما يشبه الخيال ، وهي تحكي قصصاً واقعية أمثلها الظروف العسكرية والتضحية والفداء في سبيل الله ثم الوطن والقيادة ، ومخطبة طارق بن زياد في الأندلس وأحدة من الروائع في الإيجاز والتأثير ، وأحد عوامل النصر - رسالة الخليفة - القائد الأعلى لجيوش المسلمين - التي أرسلها عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى القائد العام للجيوش الحاربية في الشام سيف الله خالد بن الوليد التي تقضي بعزله وتعيين أبي عبيدة عامر بن الجراح بدلاً عنه ، إحدى الرسائل الحربية والوثائق التاريخية التي غيرت مجرى الحرب والتاريخ .

ولم جانب توافر الموهبة لدى بعض الكتاب العسكريين لم يكن للتدريب والدراسة على الكتابة العسكرية سواء الرسمية أو الأدبية دوراً فعلاً ، فهي المعاهد والندوات والكتابات العسكرية تدرس مادة الكتابة العسكرية للعسكريين ، ويتدربون عليها باستعمال المصاحف وأقمارين حتى يجيدها ، وتلعب التريجات لكتابات العسكريين من الدول الأخرى التي كتبت بلغات أجنبية دوراً بالغا في رفع مستوى الكتابة العسكرية وجودها ، فالاستباس وتبادل المعارف العسكرية أكرم المبادئ المتعارف عليها في إرساء قواعد وأصول هذا الفرع من العلوم العسكرية .

والكتابات العسكرية إلى جانب الأشياء الإيجابية والمنافع الكثيرة منها تشتمل على جوانب سلبية - فهي واحدة من المصادر الخفية للمعلومات من وإلى العدو ، ولكن فوائدها تكاد تغطي على عيوبها ، فهي أمر لا بد منه كاللذات والسلاح والخبرة ، فهي ذخيرة العقول والنفوس ، ومقومات المعنويات ، فكم من خطة أو مقال أو رسالة ضاعت من القوى المعنوية للجنود فتحذر النصر بينما هي مقدمة على الهزيمة فتجيبهم من شروها .

ويم بالكتابة العسكرية لكل المعارف والعلوم العسكرية من الخلف إلى السلف في سيرة الإنسانية نحو العزة والكرامة والنصر ضد شرور الأعداء والهزيمة ، وتسجيل ما تعارف عليه العسكريون في قواميس ومصانم للمصطلحات والتعابير العسكرية التي تشمل مفاتيح العلوم والفنون الخيرية .

والقرآن الكريم والسيرة النبوية يسخران بالعديد من الآيات والأحداث التي تغرس في النفوس حب الجهاد والقتال في سبيل الله ، وأعظم المدارس والمراجع العسكرية للجندي السط التي يستمد منها أسلوبه وعبرته في درب الكتابة العسكرية ، والأدب الخريسي الطويل ، إلى جانب قصص الأنبياء والرسل التي تمثل حياتهم جوانب من أخلاق العسكرية كفافة ورواد لجيوشهم في سبيل الدعوة لدين الله والدود عن حياض المقدسات والأوطان .

مثال الأدب الخريسي

ومن أمثلة الأدب الخريسي ودور الخطبة والشعر في المعركة عندما ولي خالد بن الوليد قيادة الجيوش الإسلامية في معركة اليرموك^(١) لما وجد الجيوش الرومية منظمة وعلى استعداد تام لمواجهة المسلمين ، تحمس خالد وثار ثورة الرجل الغيور على الإسلام والمسلمين ، وعطش في المسلمين خطة حماسية قال فيها :

« إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي فأخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم ، فإن هذا اليوم له ما بعده لا تقتاتوا قوماً على نظام وتعبته وأنتم على تساهل وانتشار » ، ولقد كانت هذه الخطة البليغة آثار عظيمة في نفوس المسلمين ، إذ رفعت من روحهم المعنوية ، وقوت من قلوبهم ، وشدت من أزهم ، ودفعتهم دفعاً إلى ميدان الشرف والكرامة .

وبعد الهزيمة التي لحقت بالروم في اليرموك ، ولم للمسلمين النصر فرحوا فرحاً عظيماً ، وظهرت السعادة لقلوبهم وذهب بعضهم ينظم القصائد الشعرية مبرعين عن ربحهم بهذا النصر العظيم ، وقد نظم القمقام بن عمرو قصيدة في تلك المناسبة قال فيها :

ألم تسرنا على اليرموك فسرنا
كما فسرنا بأيام العراق
وعسذراء المدائن قد فتحن
ومرج الصفر على العناق
فتحنا قلبها بصري وكانت
عزيمة الجناب لدى التلاقي
قلنا السروم حتى ما تبارى
على اليرموك مفروق السواق
فضقتنا جمعهم لما انحلوا
على السواقصة السر السراق

الهوامش

(١) انظر كتاب الدكتور عمود محمد الخوري ، المراسل الخريسي ، الكتاب ١٨٤ من سلسلة ، اقرأ التي تصدرها دار المعارف المصرية ، القاهرة ١٩٥٨ .

(٢) محمود محمد الخوري - تحرير العسكري ، دار المعارف مصر ، سنة ١٩٥٩ .

(٣) أحمد محمد عازة - اليرموك ، مكتبة دار العلوم بالكويت ، ١٩٦٨ .

من مفاخر الحضارة العربية والإسلامية بنوعها المادي والفكري ، المدرسة المستنصرية
ببساتنها الشامخ التي لا يزال معظمها ماثلاً للعيان على شاطئ دجلة الشرقي ، الضفة الشرقية
من بغداد بين جامع الأصفية والخفافين ، وتاريخها الحافل كذلك .
وقد تصدى عدد من الباحثين لدراسة هذه المدرسة ، ولكنه لا زال هناك جوانب عدة
لم تنلها الدراسة أو البحث والتحقيق .

المدرسة المستنصرية عنى وأغراضها

أول جامعة إسلامية

الخليفة المستنصر

بنيت هذه المدرسة في عهد الخليفة العباسي المستنصر بالله وبامر
منه ، وهو ابن الخليفة الظاهر بأمر الله . وقد ولد سنة
٥٥٨٨ هـ - ١١٩٢ م ، وبيع بالخلافة يوم وفاة أبيه في الثالث عشر من
رجب سنة ٦٢٣ هـ - ١١٢٦ م .

وقد ترك هذا الخليفة آثاراً كثيرة دلت على عظم همته وكبير نشاطه
ومن أشهرها وأبناها ، المدرسة المستنصرية .

لقد كان الخليفة المستنصر شخصية محبوبة مهية ، ورزياً وقوراً محباً
للعلم والعلماء ، وقد وصفه المؤرخون : « بأنه كان عاقلاً وعادلاً ، لبيباً
كثيراً كثير الصدقات ، وكان حسن السيرة ، جميل السيرة ذا علم وعمل »
وعفو وحلم^(١) .

وفضلاً عن ذلك كله أحب الأدب والعلم ، وقرب الأدباء والعلماء ،
وشجعهم بالقبول والعطاء الكثير ، مما ساعد على نشاط الحركة العلمية ،
فكثرت المشتغلون بالعلوم وزادوا رغبة واشتغالا .

تأسيس المدرسة

أسست المدرسة المستنصرية في بغداد سنة ٦٢٥ هـ ، وافتتحها الخليفة

المستنصر سنة ٦٢١ هـ . ومن الجدير بالذكر أن معظم المدارس في ذلك
العصر كانت تسمى بأسماء مؤسسيها ، مثل : المدرسة التاجية السنية
إلى تاج الملك أبي الغنائم المرزبان بن خسرو فيروز ، والمدرسة
النظامية التي سميت باسم نظام الملك وغيرها .
وقد بنيت المدرسة المستنصرية بسعة وضخامة بحيث فاقت جميع
المدارس التي سبقها في العصر الإسلامي ، من حيث أبنائها وزخارفها
وفخالة البناء وسعتها وجمال المنظر ، وحسن الموقع^(٢) .

مميزاتها

وقد اعتبر إنشاء المدرسة المستنصرية خطوة نحو التطور في تاريخ
المدرسة في العالم الإسلامي في ذلك العصر ، إذ كان من المعروف أن
المدارس السابقة لمدرسة المستنصرية كانت تبنى وتخصص كل واحدة منها
لدراسة مذهب واحد من المذاهب الإسلامية ، ولكن هذه المدرسة
(الجامعة) أول مدرسة عرفها العالم الإسلامي جمعت فيها
الدراسات الفقهية على المذاهب الإسلامية الأربعة^(٣) :
(الحنلي ، والشافعي ، والحنبلي ، والمالكي) في بناية واحدة^(٤) .

وفضلاً عن ذلك فقد عيّنت هذه المدرسة (الجامعة) بدراسة القرآن
الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، والمذاهب الفقهية ، وعلوم العربية

بقلم : د. محمد حسين عساف

الطب، ودور القرآن الكريم أسوة بالمدرسة المستنصرية^(١).

تكاليف الإنشاء، وحفل الافتتاح

تولى عمارة المستنصرية أستاذ دار الخلافة محمد بن العلقمي، وبلغت النفقة عليها (٧٠٠) ألف دينار. وتم افتتاحها في اليوم الخامس من شهر رجب سنة ٨٦٣١ هـ - ١٢٣٣ م، باحتفال مهيب. وكان ذلك اليوم من الأيام المشهودة في بغداد.

وقد ذكر لنا الإربلي وصفاً شاملاً لحفلة افتتاح المدرسة فقال: «كسبت المدرسة بأفخر الملابس، وتحلت كأحسن العرائس»^(٢). ووصف هذا الاحتفال كذلك ابن الفوطي فقال: «في الخامس من رجب حضر نصير الدين نائب الوزارة وسائر الولاة والحجاب والفقهاء والمدرسون والفقهاء ومشايخ الربط والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء وجماعة من أعيان التجار والغرياء إلى المدرسة، وحضر الخليفة المستنصر واستقبل بمظيع الحفاوة والإجلال. ووقف نائب الوزارة نصير الدين بن الباقد ويده

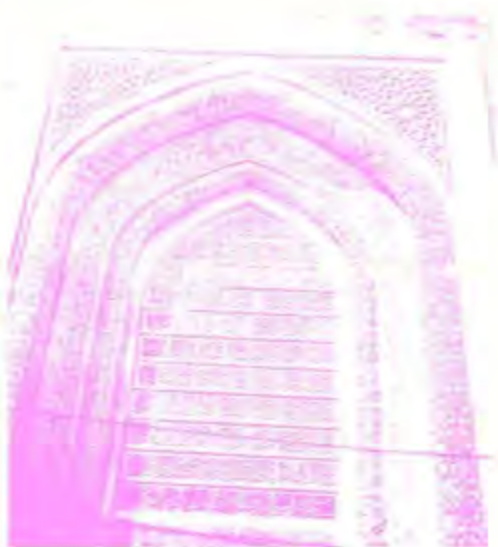
والرياضيات، والفرائض، والفكرات، ومنافع الحيوان، وعلم الطب وحفظ القوام والصحة، وتقويم الأبدان»^(٣). ولم تكن المدارس قبل المستنصرية كذلك. فقد كانت مدارس الطب تبقى مستقلة استقلالاً تاماً عن مدارس الفقه، أو دور الحديث، أو دور القرآن الكريم، كالبيهارستان المعصدي في الجانب الغربي من بغداد، ومدرسة الطب الذي أسسها أبو المظفر باتكين في البصرة سنة ٨٦٢٩ هـ، في خلافة المستنصر، ومدارس الطب في دمشق وغيرها.

وكذلك دور القرآن الكريم فقد ظلت مستقلة هي الأخرى، أو في داخل المساجد إلى أن أنشئت المستنصرية فصارت تلحق بالمدارس. أما دور الحديث فقد كانت من ابتكار نور الدين زنكي، فقد ذكر ابن واصل: أن نور الدين محمود زنكي: «بنى في دمشق داراً للحديث وأوقف عليها وقوفاً كثيرة، وهو أول من بنى داراً للحديث فيما سمعناه»^(٤).

وقد كانت دور الحديث تشترك أحياناً مع دور القرآن الكريم، فبنى دوراً مشتركاً للقرآن الكريم والحديث معاً، وتكون مستقلة عن مدارس الفقه أو تجعل في المساجد كما في جامع «قمرية» بالجانب الغربي من بغداد^(٥). وظلت دور الحديث على هذه الحال حتى أنشئت المستنصرية، حيث صارت دور الحديث تلحق بمدارس الفقه إلى جانب مدارس

اللامية في العالم





السجلات الخاصة بالمدرسة المستنصرية وأعلن بدء افتتاح المدرسة برعاية الخليفة المستنصر بالله ، وثلا على الحاضرين ، نظام المدرسة مبنياً أقسامها ومربياتها ومخصصاتها وتفاصيل إدارتها ووقوفها ، وموقوفها ، وعدد طلابها ، ومناهج التدريس فيها^(١١٠) .

وفي نفس الوقت اختير لكل مذهب من المذاهب الثنا وستون فقيهاً ، ورتب لها مدرسان وثالثا لتدريس ، وخلع على كل واحد منها جبة سوداء ، وصرحه "حكيمياً واعظياً" بعنه "بمرتبة جميل وعدة ثائلة" :

وأما الثابان فقد خلع على كل واحد منها قميص مصمت ، وعبامة قصب . ثم خلع على جميع المعدين وهم لكل مذهب أربعة . ثم خلع على المتولين للعبارة والصناعات والحاشية ، وعلى المعينين للخدمة بحوزة الكتب .

وفي عمرة البهجة والفرح هذه ، مدت موائد الطعام في صحن المدرسة ، وقد حوت هذه الموائد أنواع الأشرية والأطعمة والخلوات . وقد ذبح في هذه المناسبة ألفا رأس من الغنم ، وعملت الخلوة وبعد أن أكل الحاضرون حل من الأكل إلى سائر دروب بغداد من بيوتات الخواص والعوام .

وفي نهاية الاحتفال ألقى الشعراء القصائد الجميلة في مدح الخليفة المستنصر ، وفي وصف المدرسة المستنصرية .

ومن القصائد التي أنشئت في هذه المناسبة قصيدة ابن أبي الحديد المدائني الفقيه الشافعي التي منها :^(١١١)

ما مثل الفلك العظيم ليصر
في الأرض قبل إبالة المستنصر
هذا بناء معرب عن قدره
رفعت قواعده بقفل مسطر
انظر تجد نظم الثريا في ذرى
شرفاته وغياء الشترى
ضحك الزمان وذاك بعد عبوسه
ورأى الصواب وذاك بعد تحير
والأرض حاسرة القناع كأنها
خود تخرج في رداء الأخضر
تزهر بما عمر الخليفة فوقها
علماً لأحكام البشير المأثور
بالجانب الشرق بالشاطر الذي
هو طور سينا كل صاحب منبر
ما حق دجلة أن تقسوه بلفظه
قهزت وأي مساجل لم يقهر
غلب العطاء الماء فيا واتشى
بدأ يسوق صناعة الإسكندر
إن أصبحت بحراً فبأن بناته
بإفانسة المعروف حلة بحمر

وضع الإمام بها أساس بنائه
والوج بين مجسم ومزهر
قصرأ ومدرسة لمن يطلب الغنى
أو رام شأو العالم البحر
ليس الغني بها شهامة ماهر
وغدا القل مزاحماً للمكثر
لم تحل من حير وشيخ فاضل
يروي الحديث وساجد ومعفر
قد كانت الفقهاء قبل بنائها
في كل قطر واحد لم يذكر
فرق يشق على المرید طلبها
في الشرع والمطلوب كالعندر
فاليوم قد جمعت أمور الدين في
أرجائها وأزبل عذر القصر .

★ ★ ★

ومن قصيدة الحسين الكوفي قال فيها :^(١١٢)

بفت بفرعك هاشم وموت في عليائها
عمرت مدرسة أسرت بملها وبنائها
أسرت عيون الناظرين بحمها وبها
ليست مدارس من مضى في الحسن من نظراتها
ورعمت بالمستنصرية متبى أسمائها
حمة مقدسة لما ضمت حروف هجائها .

★ ★ ★

وظلت هذه المدرسة تؤدي دورها طيلة أربعة قرون من الزمان منذ افتتاحها سنة ٩٣١هـ ، حتى ١٠٣٠هـ ، عدا فترتين من الزمن ، الأولى قصيرة كانت في أثناء الاحتلال المغولي لبغداد سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) ، والثانية طويلة جداً تبدأ من احتلال جيوش تيمورلنك وكانت قد احتلتها مرتين في سنتي ٧٩٥هـ و ٨٠٣هـ .

أقسام جديدة

ألق بالمدرسة عدد من الأقسام الأخرى حيث اعتبرت متممة لها وهي :

١ - دار القرآن الكريم : لقد تحي المسلمون بشؤون القرآن الكريم عناية كبيرة تدل عليها مؤلفاتهم الكثيرة في علوم القرآن الكريم ، ومعانيه ، وطبقات القراءة ، والقراءات السبع أو العشر ، والشواذ ، وعملها ، ووجوه القراءات ، وطرق القراءة ، كما تظهر عنايتهم بها القوه في فن التجويد ، وما وقفه هذه الدور من وقوف ، ومن جملة هذه الدور دار القرآن الكريم في المستنصرية ، وهي بنائية مستقلة تجاوز المستنصرية . وقد ذكرها الخزرجي فقال : أما الدار المجاورة هذه للمدرسة فإنه لم ير مثلها أحد ، وهي أحسن بناء ، وأحكم قواعد من كل أثر أشرفه الخلفاء المأمون^(١٢) .

وقد اختص هذا القسم بتعليم قراءة القرآن الكريم ودراسة كل ما يتعلق بشؤون القرآن الكريم ، وقد نص قانون المدرسة في ذلك : أن يكون في دار القرآن الكريم شيخ يلقن القرآن الكريم وثلاثون صبياً ابتداءً ، ومعيد يحفظ الثلاثين . وقد خصص هؤلاء السلاط الأرقاق اليومية ، فكان يعطى لكل واحد منهم في كل يوم ثلاثة أربال خبزاً ،

وغرف طبخاً ، وفي كل شهر ثلاثة عشر قيراطاً ، وخبثاً . وقد خصص المستنصر لشيخ دار القرآن الكريم كل يوم سبعة أربال خبزاً وغرفتين طبخاً ، وفي الشهر ثلاثة دنائير . أما المعبد فخصصته كانت في كل يوم أربعة أربال خبزاً وغرف طبخاً . وفي كل شهر دينار وعشرون قيراطاً .

ومن أشهر شيوخ دار القرآن الكريم في جامعة المستنصرية هم :

فخر الدين اليعقوبي ، وكيال الدين أبو بكر محمد بن جمال الدين ، ويعرف بابن الحريري المتوفي سنة ٦٨٩هـ . ومظفر الدين أبو عبد الله المبارك بن عبد الله بن السامغاني المتوفي بعد سنة ٦٨٩هـ^(١٣) .

٢ - دار الحديث أو دار السنة : وهذا قسم آخر ملحق بالمدرسة ، وقد اختص هذا القسم بمدرسة الحديث النبوي الشريف . وشرط الخليفة المستنصر أن يكون في دار الكتب التي هي الخزانة ، عشرة أشخاص يشتغلون بعلم الحديث النبوي الشريف ، ويكون لهم قارئاً يشغلان الطلبة بعلم الحديث ، ويرأسهم شيخ عالي الإسناد يقرأ عليه الحديث .

وشرط أيضاً هذه الدار أن يتولى أمر هذا القسم شيخ عالي الإسناد يشتغل بعلم الحديث ، وقارئ للحديث ، وطلبة أسوة بالإنسان الذين يتلقون القرآن الكريم في الخبز والغرف والمشاورة ، وأن يقرأ الحديث في كل يوم ست وأربعين وخمس من كل أسبوع .

ومن أشهر شيوخ الحديث ، أبو الحسن القطيعي المتوفي سنة ٦٣٤هـ ، وأبو طالب القبيطي ، وابن جزيرة الحريري المتوفي سنة ٦٤٣هـ ، وعبد الدين ابن النجار المتوفي سنة ٦٤٣هـ ، ونصر الله البغدادي المتوفي سنة ٨١٢هـ^(١٤) .

٣ - مدرسة الطب : كان علم الطب من العلوم المهمة التي تدرس بالمستنصرية في بنائ خاصة تقع مقابل باب المدرسة الرئيسي . وهي صفة فاعرة تحت الإيوان الذي تكامل في سنة ٦٣٣هـ ، وقد اتخذت هذه الصفة مكاناً لتدريس الطب ومداواة مرضى المستنصرية . وكان أطباء المدرسة يترددون إلى مرضاهم في صباح كل يوم يتفقدونهم . وكان يطلق على هذا المكان البهارستان ، أو المارستان يعني (المستشفى) .

وكان في المستنصرية عيون فيه أنواع الأثرية والأدوية والعقاقير ، وهو أشبه بالصيدلية اليوم . وقد درست معالم مدرسة الطب اليوم ولم يبق منها شيء يذكر .

وقد اعتبر حفظ قوام الصحة ، وتقويم الأبدان من العلوم التي اهتمت بها المدرسة وأطبائها .

وكان من شروط هذه المدرسة^(١٥) :

١ - أن يكون بها طبيب حافظ مسلم .

٢ - أن تكون له أسوة النحوي في الخبز واللحم والمشاورة .



٣ - أن يكون عشرة أنفس من المسلمين يشتغلون عليه بعلم الطب .
٤ - أن يوصل إليهم من الجزايات أسوة بطلية الحديث في الخير والطخ والشاهرة .

٥ - أن يكون الطبيب بطبيب من يعرض له مرضى من أرباب هذا الوقت .

٦ - أن يعطي المريض ما يوصف له من الأدوية والأشربة والأكحال السائلة ، والسكر ، والمزاج ، وغير ذلك .

ومن أشهر الأطباء الذين دؤسوا في المستنصرية هم :
أ - حمص الدين بن الصباغ : كان عادلاً بالطلب ، ساعياً في صناعته له فيها تصانيف . وكان طبيب الخليفة المستنصر ، توفي في الحرم سنة ٦٨٣ هـ^(١٧٧) .

ب - محمد الدين أبو علي عبد المجيد بن عبد الله يعرف بابن الصباغ البغدادي : وقد أصاب هذا الطبيب شهرة واسعة لسمعة علمه وفخارته معرفته وقد ذكره ابن الفوطي فقال : « الحكيم الفاضل والطبيب الكامل » اشتغل وحصل وكتب ، وعاشير الوزراء ، والملوك ، ولأزمه صاحب شرف الدين هارون ، وأباه صاحب حمص الدين محمد بن الجويني سفيراً وحضراً^(١٧٨) .

قدم بغداد سنة ثمان وثمانين وستمئة في أيام السلطان أرغون ومعه فرمان بخزانة كتب المستنصرية ، وأن يتحنن الأطباء والصيادلة بالعراق فن ارتضاه أقربه على عمله ، ومن لم يرضه يستبدل به من يراه أهلاً للتدبير والعلاج وحفظ الصحة والمزاج . توفي في أوائل شعبان ٧١٥ هـ .

ج - علاء الدين علي بن ركن الدين محمد بن عيسى بن مسعود الإربلي : تعلم الطب على يد والده الطبيب ركن الدين ، وقد برز فيه وحقق حتى اشترى بين الناس ، ولم يزل يسعى ويجهد إلى أن حصل له الجلوس في إيوان الطب في المدرسة المستنصرية^(١٧٩) .

د - ابن الكتبي الشافعي : وقد اشتهر في علم الطب وسرع فيه . وقد درس الفقه كذلك وبرز فيه ووضع عدة مؤلفات أيضاً .

هـ - دار الكتب (المكتبة) : لقد حوت المستنصرية مكتبة كبيرة ، فعندما أنشأ المستنصر بالله المدرسة طلب أن تكون فيها مكتبة عامرة نقل إليها الكتب النقية التي ضمت جميع العلوم الدينية والأدبية ما حله مائة وستون حملاً . وقبل إن المستنصر أودع عزرائته في المستنصرية ثمانين ألف جلد^(١٨٠) .

وقد رتبته الكتب فيها وبوت حسب فنونها ليسهل على القراء تناولها . وإذا أراد أحدهم نسخ بعض المخطوطات فإن الموظفين كانوا يزودونه بما يحتاج إليه من الأقلام والورق .

وتكون المكتبة أو (دار الكتب) كما تسمى أيضاً أهم الأقسام في المستنصرية وكانت مرجعاً لطلاب المدرسة ومدارسها وشيوخها ، كما كانت مرجعاً لطلاب العلم والعلماء في خارج المستنصرية . وقد قصدوا الكثير منهم ، وترددوا عليها ، وأخذوا من كنوزها العلمية والأدبية نحو قرنين من الزمان .

وقد رتب فيها الموظفون منهم الخازن ، ومشرّف ، ومناول ، وقد وضعت شروط لدار كتب المستنصرية هي :

١ - أن يكون فيها خازناً للخزانة .
٢ - أن يكون له في كل يوم عشرة أرطال خبزاً ، وأربعة لحماً بحريتها وخضرها وحطبها .

٣ - أن يكون له في كل شهر عشرة دنائير .

٤ - أن يكون فيها مشرف على الخازن .

٥ - أن يكون له في كل يوم خمسة أرطال خبزاً ورطالان من اللحم .

٦ - أن يكون له في كل شهر ثلاثة دنائير .

٧ - أن يكون فيها مناول لكتب .

٨ - أن يكون له في كل يوم أربعة أرطال خبزاً وغرف طيحاً .

٩ - أن يكون له في كل شهر ديناران .

١٠ - أن تجعل الخزانة برسم من يطلع ويستخ من الفقهاء ورتبه لهم الورق والأقلام لمن يريد النسخ^(١٨١) .

ومن الأمور التي تدل على عناية وإهتمام المستنصر بالعلوم والكتب العلمية وعمله إلى اقتنائها وتخزينها في دور الكتب ما أورده الصفي فقد قال : « وبعت كتب العلم في أيامه بأعلى الأثمان لميله إلى اقتنائها ، ورغبته في تحصيلها ، وإكبابه على مطالعتها ، وحسن خطوطها ، ووقفها على أهل الفضل ، وخزنها في المدارس ، وصلى الفضلاء في دولته بذرايع المصنفات في فنون العلم ونفريها بإعدادها إليه »^(١٨٢) .

وقد عين أول خازن هذه الدار حمص الدين علي بن الكتبي عندما فتحت في الخامس من شهر رجب سنة ٦٢١ هـ . وخلع على المشرف ، وعلى المناول عنده^(١٨٣) ، ومن أشهر خزنة هذه المكتبة :

١ - ابن الساعي : (٥٩٣ - ٦٧٤ هـ) تاج الدين علي بن أحمد ابن عبد الله بن عمار ، الخازن والمؤرخ الملقب بابن الساعي . وكان إمامه حافظاً مبرزاً على أقرانه فقيهاً بارعاً قارئاً بلسان محدثاً ، شاعراً له مصنفات كثيرة في التفسير والحديث والفقه والتاريخ ، منها تاريخه المشهور في سنة وعشرين مجلداً^(١٨٤) . رتب خزانة في دار كتب بالمدرسة المستنصرية وكذلك بالمدرسة النطنبية ولذلك لقب بالخازن .

٢ - ابن الفوطي : (٦٤٥ - ٧٢٣ هـ) أبو الفضل عبد الرزاق البغدادي ولد وسمع ببغداد صاحب عمي الدين بن الجوزي . ثم أسره الغول في واقعة بغداد ٦٥٦ هـ ، وأفاده نصير الدين الطوسي فإلزمه وأخذ عنه علوم الأوائل .

ومن أشهر المشرفين في خزنة المستنصرية :

١ - عمي الدين بن العاقولي : كان هذا رجلاً فاضلاً فليهاً صاحب فضائل وعقل وفر وسيرة حميدة ، اشتغل وحصل مشيخة المستنصرية والإفادة بها عند والده ، وكذلك الإشراف على خزنة الكتب^(١٨٥) .

وأول مناول في خزنة المكتبة المستنصرية ، الجبال إبراهيم



ابن حذيفة . وخلق عليه يوم افتتاح المكتبة في الخامس من شهر رجب سنة ٨٦٣١ هـ .

ومحمد بن سعد بن محمد بن أبي النجم الحداذي . قدم بغداد واستوطنها وسكن النخيلية وكان هذا صاحب ابن الساعي ووصيه ، وكان متولياً بخزانة الكتب بالمكتبة .

وكذلك عبد الرحيم بن محمد بن سعيد بن محمد بن أبي النجم الحداذي ، وهو الآخر كان متولياً بخزانة الكتب المكتبة كاليه وله بها معرفة تامة . ولد في شهر ربيع الأول سنة ٨٦٧١ هـ ، ومات ببغداد في أواخر سنة ٨٧٤١ هـ .

وسما يوسف له حقاً أن فُسِّ كثيراً من كتب هذه الخزانة كان قد تفرق في مواطن عديدة نتيجة لإهمال المشرقين ، وعدم تطبيق شروط الواقف ، وأن أول نكبة أصابت هذه الخزانة كانت عند احتلال المغول بغداد سنة ٨٥٦ هـ ، حينما اضطرب الأمن ، وسادت الفوضى وأبيحت المدينة ، واستولى بعض الطامعين على كتب المدرسة العلمية ، ومنهم نصير الدين الطوسي الذي رافق الجيش المغولي ودخل معه بغداد ، وقد نقل هذه الكتب إلى مدينة (مراغة) حيث سقى هناك مرصداً علمياً ، وخزانة كتب كبيرة . وكلما مر الزمن وتقدم بالمدرسة المكتبة وتعاقبت الحوادث تناقص عدد الكتب وصارت نهياً للطامعين .

المواضع

(١) الإبري : خلاصة الذهب السويك . ص ٢١١ .

(٢) لسترنج : بغداد في عهد الخلافة العباسية . ص ٢٢٨ .

(٣) الحوادث الجامعة . ج ٥ . ص ٥٢٨ .

(٤) الإبري : خلاصة الذهب السويك . ص ٢١٢ .

(٥) الإبري : خلاصة الذهب السويك . ص ٢١٢ .

(٦) ابن وهب : مفرج الكروب . ج ١ . ص ٢٨٤ .

(٧) الحوادث الجامعة . ص ٤ .

(٨) ناجي معروف : تاريخ علماء المكتبة . ص ٤ .

(٩) خلاصة الذهب السويك . ص ٢١٢ .

(١٠) الحوادث الجامعة . ص ٥٥ .

(١١) الحوادث الجامعة . ص ٥٦ - ٥٧ .

(١٢) الآلوسي : مساجد بغداد وأثرها . ص ٩٠ .

(١٣) الخرجي : في حوادث سنة ٨٦٣١ هـ .

(١٤) ابن القوطي : تلخيص مجمع الآداب . ج ٥ . ص ٢٥٩ .

(١٥) الإبري : خلاصة الذهب السويك . ص ٢١٢ .

(١٦) الخرجي : حوادث ٨٦٣١ هـ . ابن القوطي : الحوادث الجامعة . ص ٥ .

ناجي معروف : تاريخ علماء المكتبة . ص ٢٤٤ .

(١٧) الذهبي : في حوادث ٨٦٨٣ هـ .

(١٨) ابن القوطي : تلخيص مجمع الآداب . ج ٥ . ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(١٩) ابن القوطي : تلخيص مجمع الآداب . ج ٤ . ص ٣٢١ .

(٢٠) ابن عينا : عمدة الطالب . ص ١٨٢ .

(٢١) ابن القوطي : تلخيص مجمع الآداب . ج ٤ . ص ١٦٧ . نساجي

معروف : تاريخ علماء المكتبة . ص ٢٧٤ .

(٢٢) الوافي بالوفيات . ج ٢ . ص ١٣٠ .

(٢٣) الحوادث الجامعة . ص ٥٥ - ٥٦ .

(٢٤) العماد : شذرات الذهب . ج ٥ . ص ٣١٣ .

(٢٥) السلمي : المنتخب المختار . ص ١٨٥ .

كولين ويلسون



«إن العالم اليومي يجبرنا
معه مثل عبد رقيق خلف
عربة قائد منتصر ، وعلى
الإستبان أن يتعلم كيف
يقطع المبل ، ويسمح
للعقل أن يثبت في مكانه ،
وأن يغدو واعياً لقرابته
بالجبال والصخور»
كولين ويلسون

وانتسك ان هذا العصر

بقلم : جلال العشيري

الشباب الذي يعيش في وحدة موحدة ، ويشعر بالمرارة الاجتماعية ، وعيناً
بحال الخروج من مرض الغربة أو اللانهاية !

ولكن كتاب كولين ويلسون في الواقع ، أعمق من هذا
بكثير ، إنه بمثابة الصرخة التي نبتت إلى عمق الأزمة التي
يعانيها العقل الأوروبي المعاصر ، ذلك العقل الذي شهد
منذ أواخر القرن التاسع عشر ، ولا يزال يشهد حتى وقتنا
الحاضر ، ظواهر لا يمكن أن توصف إلا بأنها أزمة ، ولم تكن
مصادفة بل كان مما بيعت على السؤال ، أن أصبحت يتنازع الفكر
الفلسفي هي آراء برجسون وليتشه وكروتشه وشبنجر ووليم
جيمس ، وكلها آراء تشيد بقوى غير العقل الاستدلالي أو المنهج
العلمي ، وتنادي بمبادئ الهندس أو الإرادة أو الوثنية الخفية أو النجاح
العملي ، حتى أصبح دعاة العقل أقلية ضعيفة خائفة الصوت ، تدافع
عن عبادتها لمجمل واستحياء .

ولم يقتصر هذا على مجال الفكر الفلسفي أو الفكر النظري
الخالص ، بل تعداه إلى علم النفس والسيكولوجيا الحديثة ، لمذهب
فرويد وتلميذاه أدلر وبنجت ، وسائر علماء المدرسة التحليلية إلى
إطلاق سهامهم على قلعة العقل ، والأحباء بقبعان السلوعي أو
اللاثعور ، باعتبارها الأوعية التي تحفظ بها التجارب والذكريات
والأحلام ، وتكون عالماً مقلماً معتمداً لا يترك إلا من خلال رموزه ،
ولا ينفذ إليه العقل الواعي ، وإن كان هو أساس تفسير الكثير مما يدور
في مجال الوعي .

وفي مجالات الأدب والفن ، القذت الرواية والدراما والموسيقى
والفن التشكيلي ، نفس الاتجاه ، حيث خفت صوت العقل والوعي ،

«العقل في أزمة» .

أجل ، تلك هي الصرخة التي أطلقها في بريطانيا فيلسوف شاب
في الرابعة والعشرين من عمره ، يدعى كولين ويلسون ، والتي أودعها
كتابته الذي سماه « الغريب » أو « اللامتتمي » والذي وصفه بأنه
« دراسة تحليلية لأمراض البشر النفسية في القرن
العشرين » .

وما إن أطلق كولين ويلسون هذه الصرخة في بريطانيا ، حتى تردود
صداها في أمريكا والقارة الأوروبية ، وأصبح اسمه على كل لسان
يهم بقضايا الفكر والثقافة ، بعد أن كان تذكره لا يذكره أحد ، وقد
تحمس له بعض النقاد الغربيين في إنجلترا ، مثل : سيريل كونولي ،
وايديث ستويل ، وفيليب توينسي ، فاعتبروه على صغر سنه ، كاتباً
من الطراز الأول ، بل لقد ذهب فيليب توينسي إلى أن كتابه هذا
« أضاف إضافة حقيقية إلى فهمنا لأشد مشكلاتنا عمقاً وأكثرها
تعقيداً » .

وأكثر من هذا ، لقد اعتبره شباب الأدب الإنجليزي في
الخمسينات ، وهو الشباب الذي أطلقت عليه الصحافة الأدبية اسم
« الشباب الغاضب » أو « الجيل الغاضب » ، والذي ينتمي إليه كل من
جون أوز بورن ، وارنولد ويسكر ، وهارولد بنتر ، وشيلا
ديلاني ، وجون وين ، وكنجسلي رميس ، ودوريس لسنج ،
والآن سيليتو ، اعتبروا (كولين ويلسون) بمثابة فيلسوف هذا
الجيل ، وأول من أرسى دعائم هذه المدرسة ، بإصداره هذا الكتاب ،
الذي جعل منه كولين ويلسون رمزاً لنفسه وجيله من المفكرين الإنجليز
الشباب .

ذلك أن كتاب « الغريب » أو « اللامتتمي » ، كما يقول الناقد كارل
بود ، أحد المشاهير في أدب الخمسينات ، برز صورة المفكر الإنجليزي

واختل الترابط المنطقي ، والقالب المحدد ، وحلت الأسطوانات السريعة المباشرة ، والفوريات الوجدانية الحادة ، وأصبح الفن بدوره بخراطيم القوى اللاواعية في الإنسان ، والأدب كأنما يعوض في الأعراف السحيقة للذات البشرية .

والذي يعنينا من هذا كله ، هو أن هذه الظواهر جميعاً ، ما كان لها أن تجتمع في توقيت زمني واحد ، إلا لتشير إلى مدلول واحد ، وتعتبر عن أزمة واحدة ، هي أزمة العقل ، أو الأزمة التي يمر بها العقل .

صحيح أن العقل ذاته هو الذي شخص هذه الأزمة ، وهو الذي توصل إلى تحديد ملامحها وظواهرها ودلالاتها العامة ، وصحيح أن تحليل العقل لذاته ، وفرده على نفسه ، هو تأكيد لوظيفة العقل وتحقق لدوره الإيجابي ، ولكن الصحيح أيضاً أن هذه جميعاً ظواهر تشير إلى عتة العقل في مواجهة تحديات العصر .

وتتطلب أفكار اللامتني بصورة غامضة من حب قديم ، وما كان يحيط به من مسلاذ عاطفية ، إلى التفكير في حقيقة الموت . . . «الموت . . . إنه أهم الأفكار على الإطلاق» ، ثم يعود إلى مشاغله اليومية « يجب أن أكسب مالا » ، وفجأة يرى ضوءاً منعكساً على الجدار ، إنه منبعث من الغرفة المجاورة لدى إحدى الأسر ، ويقف على القرائش في غرفته الوحيدة ، يراقب الغرفة المجاورة : «إنني أنظر وأرى . . . الغرفة المجاورة تدعوني إلى . . . » وهكذا لا يكاد اللامتني يخرج من أغوار ذاته ، ليستشرف العالم من حوله ، حتى يكون عالمه هو الحياة الدائرة في الغرفة المجاورة ، التي يراقبها من ثقب في الجدار ، والتي وصفها الشاعر كيتس فيما كتبه إلى الشاعر براون قبل وفاته بعام واحد : «إني أشعر وكأنني ميت منذ زمن ، وإني إنما أعيش الآن حياة ما بعد الموت !» .

الرؤية أكثر من اللازم

لذا يمكننا أن نصف اللامتني بأنه الشخص الذي يعيش في انقسام مع ذاته ، ومع العالم من حوله ، فهو يرى أن العالم الذي يعيش فيه ، ويعيش فيه الناس ، عالم غير حقيقي ، وهو في ذات الوقت لا يرى في الوجود سوى القوضى التي تتجاهلها العقلية البورجوازية ، ولأنه يرى أن القوضى هي حقيقة العالم ، نراه لا يسم إلا بها ، ولا يتحدث إلا عنها ، ولا ينظر إليها إلا بين اليأس والتشاؤم ، اسمعه يقول :

« ورأيت نفسي على الرصيف مرة ثانية ، لا أشعر بالعظمة التي كنت أمني نفسي بها ، وإنما أحس بالخطراب وارتباك ، كنت وكأنني لا أرى الأشياء على حقيقتها ، وكنت أرى أكثر من اللازم ، وأنعم من اللازم ! » .

ولن نجد هنا أن تنهيه بأنه شخص مريض وغير سوي ، لأنه سرعان ما يدافع عن نفسه قائلاً : «إننا جميعاً مريضى ، نعيش في حضارة مريضة ، والفرق بيني وبينكم أنكم تجهلون هذه الحقيقة المرة ، على حين أعرف أنا أأنا مريض ، ولدي من الشجاعة ما يجعلني أواجه حقيقة مرضي ! » .

أمراض الإنسانية المعاصرة

ومن هنا كان وصف كولين ويلسون لكتابه بأنه بحث في كنهه مرض الإنسانية في منتصف القرن العشرين ، فهو إذن يفترض أن الإنسانية مريضة في هذا العصر ، ويحاول أن يشخص السداء الذي تعسبه الإنسانية ، وفي ذات الوقت يحاول أن يصف الدواء الذي يشفي الإنسانية من هذا الداء ، أما هذا الداء ، فهو ما يسميه كولين ويلسون بمرض الغربة أو اللاتقاء ، فعنده أن مشكلة اللامتني تبدو لأول وهلة مشكلة اجتماعية ، ذلك لأن من صفات اللامتني أنه لا يتوافق مع المجتمع الذي يعيش فيه ، لسكن مشكلة اللامتني ، في حقيقتها ، ليست مجرد مشكلة اجتماعية ، وإنما هي مشكلة روحية أو ميتافيزيقية .

فمن هو اللامتني ؟

هو الشخص الذي يرى الإنسان على حقيقته ، تلك الحقيقة التي نجحها عن العين طبيعة الحياة في المجتمع الحديث ، ولأنه يشد الحقيقة وحدها ولا يقبل غيرها ، نراه باستمرار في حالة تمرد على المجتمع ، وكأنما هو يعيش خارج لا داخل هذا المجتمع ، ومن ثم فهو في حالة دافئة من الاستيطان ، يستعطن ذاته ويغل عليها من الداخل ، لكي يراها على حقيقتها السافرة ، ويدرك التناقض فيها بين ما هو حيواني صرف ، وما هو إنساني خالص .

« لا أملك شيئاً ، ولا أستحق شيئاً ، وبالرغم من ذلك أشعر بالحاجة إلى تعويض ! » .

هذا هو اللامتني عندما يفتش في أغوار ذاته ، فلا يكاد يجد فيها شيئاً ، وعندما يفتش في خارج ذاته لا يكاد يجد فيها شيئاً كذلك « أما البحث الفلسفي فإنه يلوح عديم المعنى ، لا شيء يمكن اختصاره ، ولا شيء يمكن اختباره ، وأما الحقيقة فما ترى ماذا يعنون بها ؟ ! » .

►► برنارد شو
* * * ستروك *



وهكذا نجد أن السلامتي إنسان لا يستطيع الحياة في عالم البورجوازية ، ذلك العالم السهل المريح ، ولا يستطيع ، في ذات الوقت ، قبول ما يراه ويلسه في الواقع ، فهو « يرى أكثر وأعمق من اللازم » ، وإن ما يراه لا يعدو الفوضى ، فالبورجوازي يرى العالم مكاناً منظماً نظماً جوهرياً ، وإن وجدت فيه بعض عناصر الفوضى وعدم الاتساع ، إلا أن التشكال البورجوازي بمشكلات حياته اليومية ، يجعله مضطراً إلى تجاهل هذه العناصر ، أما السلامتي فإنه لا يرى العالم معقولاً أو منظماً ، وحين يقدف تبعات الفوضوية في وجه هذا العالم ، لما ذلك إلا لأنه يحس بشعور يبعث على الكتابة ، شعور بأن الحقيقة ينبغي أن تتقال على الرغم من كل شيء ، وإلا فلن يسكون الإصلاح ممكناً ، بل إن هذه الحقيقة ينبغي أن تتقال حتى إذا لم يكن هناك أمل في الإصلاح .

إن السلامتي - كما يقول كولير ويلسون - إنسان استيقظ على الفوضى ، ولم يجد سبباً يدفعه إلى القول بأن الفوضى إيجابية بالنسبة إلى الحياة ، قد تكون الفوضى هي جرثومة الحياة ، كما أن البصقة هي فوضى الطائر ، إلا أن الحقيقة برغم ذلك ينبغي أن تتقال ، والفوضى يجب أن تواجه .

ولكن من ذا الذي يقول الحقيقة ، ومن ذا الذي سيواجهه الفوضى ؟ هل هو الوجودي أو القديس أم القوميسار أو لشر ؟

إنه عند كولير ويلسون ، كما عند الكاتب الهجري آرثر كويسلر صاحب كتاب « الوجودي والقوميسار » ، إنه لا القديس ولا الشار يستطيع أن يخلصنا عما نحن فيه ، وإنما الإنقاذ الحقيقي هو في اجتماع هذين العنصرين في مركب ثالث جديد ، وهذا معناه أن أسلوب الشك والرهبة والعبادة كما تجده عند رجل الدين ، قديماً كان أو صوفياً ، لا يكفي لمواجهة الأزمات المادية التي يواجهها إنسان هذا العصر . والعكس كذلك صحيح ، حيث لا يكفي أسلوب الفرد والشوة لإصلاح عطب الحياة ، لأنه لا يمكن إصلاح شيء حتى يقضي على كل شيء ، فالوجودي أو القديس والقوميسار أو الشار كلاهما إنسان ذو بُعد واحد ، لا يمكنه أن يواجه روح العصر ، ذلك الذي لا بد له في رأي كويسلر من اجتماع هذين البُعدين ، ولا بد له في رأي كولير ويلسون من إضافة بُعد ثالث .

الإنسان ذو الثلاثة أبعاد

ويبدأ كولير ويلسون بالبحث عن هذا الإنسان في كتب الأدب ، وكما يتجلى في أبطال أشهر الروايات العالمية الحديثة ، كما صورها خيال بعض الروائيين الحديثين ، مثل بطل رواية « الجحيم » للكاتب الفرنسي هنري باربوس ، وبطل رواية « الغثيان » لجان بول سارتر ، وبطل رواية « الغريب » لألبير كامو .

فإنطال هذه الروايات يعيشون جميعاً في عالم العذمت فيه القمع ، وضاع منه البطل ، وأصبح كل شيء فيه جائراً ، وباتتالي صعب

التمسك ، وغالمت الرؤية ، وفقد الاتجاه ، فراحوا يقضون معظم وقتهم منفردين في غرفهم الخاصة ، لأنهم لا يجدون ما يبرر قيامهم بفعل أي شيء آخر في عالم بلا معنى ولا جدوى .

لقد فقدوا تفهم في العقل كما فعل الفيلسوفان كير كيچارد ونيتشه ، وشعروا بأن العلم لا يحقق سعادة الإنسان ، شأنهم في ذلك شأن الفيلسوف الأمريكي هوبزيتد ، والكاتب الإنجليزي ه . ج . ويلز ، ومن ثم اقتربوا من « كافكا » وعالته المروع .

ويرى كولير ويلسون أن شخصية الغريب الوجودي ، كما صورها جان بول سارتر ، تطور طبيعي لشخصية الغريب الرومانتيكي كما صورها جوته في « الام قتر » ، وهو الغريب السادي كان في القرن التاسع عشر ، يعتبر أنه من الطبيعي بالنسبة له أن يموت شيئاً مثل شبي ، أو يعيش مريضاً مثل شيللر ، أو يظل في سرج بين الموت والحياة كما كان حال كولريج .

والفرق بين الغريب الرومانتيكي والغريب الحديث ، هو أن الأول دائم البحث عن الحقيقة وإن كان لا يجد هذه الحقيقة ، وهذا هو العذاب ، إلا أنه يعتقد في وجود هذه الحقيقة وهذا هو العزاء ، وبين العذاب والعزاء يعيش الغريب الرومانتيكي الذي كان يعتقد أن الخطأ ليس كاملاً في الطبيعة الإنسانية ، لأن الكمال الإنساني شيء ممكن التحقيق ، وإنما الخطأ كاملاً فيه هو ، في ملكاته وقدراته وفي نظره للعلاقة المتبادلة بين العالم والإنسان ، وهذا ما عثر عنه الدكتور جوشون على لسان بطله « راسيلاس » بقوله : « لست أريد أن أكون سعيداً ، وإنما أريد أن أكون حياً وفعلالاً » .

فهو يشعر أن شيئاً ما ينقصه ، هذا الشيء ليس في خارج ذاته وإنما في داخله هو ، وهو ما عثر عنه راسيلاس بقوله وهو يهرب من « الوادي السعيد » : « يلوح في دألي أن للإنسان حاسة سابعة ، أو قابلية أخرى بالإضافة إلى حواسه ، هذه القابلية يجب أن تتسع قبل أن يكون سعيداً السعادة الكاملة ! » .

هذا هو الغريب الرومانتيكي الذي يختلف عن الغريب الحديث ، الذي لا يفهم ما يقصده الناس حين يتحدثون عن الحقيقة ، فإذا تكون هذه الحقيقة ، وما جدوى العثور عليها إن كانت موجودة ؟ الحقيقة ؟ ترى ماذا يعنون بها ؟ ؟ ، إن هؤلاء الذين يعتقدون بأن الطبيعة الإنسانية هي المرضية ، وأن الغريب هو الذي يواجه هذه الحقيقة المريرة ، هؤلاء لا يحسبون إلا ، إنساناً كما يقول السلامتي الحديث في وضعية سلبية ، وهذه الوضعية السلبية هي جوهر العالم ، و « لا طريق هنالك إلى الخارج أو إلى ما حول أو إلى الداخل » ، وإلى هذا يجب أن ينصرف تباينا الآن .

وعلى الرغم مما بين الالتمتي الرومانتيكي وبين الالتمتي الحديث من فروق في النظرة إلى الحقيقة ، حقيقة العالم وحقيقة الإنسان ، إلا أنها يشتركان في صفة هامة ، هي اهتمامها بمشكلة بعينها سميها كولير ويلسون بمشكلة السلامتي ، إن مشكلة الالتمتي هي كيفية تحقيق ذاته في وجود سمته الفوضى ،

فهو إنسان يريد أن ينظم هذه الفوضى ، وأن يهدف هذا النظام ، وأن يخلق على هذا الهدف المعنى والجدوى ، ومن أجل حلمه الوردي الجميل ، ذلك الحلم الذي يتلشى مع مطلع الفجر ، تراه يضيئ حياته سدى ، ويعيش في سأم وملل ، ويشعر بأن ذاته مشقة على ذاته ، فهو نصف محي ونصف متمدين ، نصف حيواني والنصف الآخر فيه الإنسان ، أما غايته القصوى فهي أن يحقق وحدة واحدة في هذه الذات ، وأن يحيا حياة واحدة ، حياة أصح ما فيها يتسع لكل انشواق الإنسان .

وهذا معناه ، في رأي كولين ويلسون ، أن مشكلة اللامتنمي ليست مشكلة فكرية بقدر ما هي مشكلة حياتية ، أو هي على حد تعبيره « مشكلة البحث عن جواب للسؤال » . والسؤال هو : ماذا يجب على اللامتنمي أن يصنع بحياته وفي حياته ، في الوقت الذي لا يستطيع فيه قبول الحياة كما يقبلها ويحياها من هم حوله ؟

ولما كانت مشكلة اللامتنمي هي البحث عن الطريقة المثل التي يحيا بها حياته ، بمعنى أن مشكلته في جوهرها مشكلة حية أو مشكلة حياتية ، فإن كولين ويلسون لا يكتفي بدراسة الحرية في كتب الأدب ، وإنما يعود من الأدب إلى الحياة نفسها ، فيدرس حياة بعض من اعتبرهم من الغرباء أو اللاتمنمين .

والثلاثة الذين يختارهم كولين ويلسون هم : الكاتب الإنجليزي ت. ا. لورانس ، والرومان المولندي فان جوخ ، وراقص البالية نيجسكي ، إنه يختارهم لمفاجئ ثلاثة للامتنمي ، يتميز كل منهم بميزات خاصة ، يتنافس بها الآخرين في غريشه ولذائمه . ميزات في العقل والوجدان والجسد ، لقد حاولوا جميعاً أن يتغلبوا على مرض الغربة أو اللانتماء عن طريق سيطرة كل منهم على ذاته ، إلا أن سيطرتهم جميعاً على ذاتهم لم تكن كاملة ، لأن الطريق التي سلكها كل منهم لم تكن مجدية في حد ذاتها ، إذ حاول لورانس أن يسيطر على عقله فحسب ، وحاول فان جوخ السيطرة على وجدانه فقط ، واكتفى نيجسكي بالسيطرة على إمكانات جسده وكفى .

ومن هنا كان فشلهم جميعاً في التخلص من ذاء الغربة ومرض اللانتماء ، فالتهم الأمر بلورانس إلى ما يسميه كولين ويلسون بالانتحار العقلي ، وقضى فان جوخ على حياته بيده ، أما نيجسكي فكان مصيره الجنون .

ويعلم كولين ويلسون من دراسته لحياة هؤلاء الغرباء الثلاثة ، إلى أنهم جميعاً كانوا نفوساً ضالعة ، وإلى أن الإنسان المثالي هو الذي يجمع بين فكر لورانس المثالي ، ووجدان فان جوخ الجامع ، وإدراك نيجسكي لإمكانات جسده ، وهذا هو الإنسان ذو الأبعاد الثلاثة .

العودة إلى الإيمان

ويعني كولين ويلسون في تحليل وضعه اللامتنمي ، يرى أن أهم ما

يشغل بال اللامتنمي هو رغبته في ألا يكون لامتنمياً ، إنه يحرص على الانتباه ، ولكنه لا يستطيع أن يتخل عن كونه لامتنمياً ، وإلا كان معنى انتباهه أن يكون بورجوازيًا عاديًا ، يرتدي العديد من الأقنعة ، لكي يتلاءم مع الحياة الاجتماعية المضمرة ، ومع متطلبات المدنية والتحضر . وهذا هو ما يكرهه اللامتنمي ولا يقبله أبداً ، بل ربما كان الموت عنده أفضل من حياة مثل هذه الحياة .

إن مشكلة اللامتنمي هي كيف يتنقل إلى الأمام ، في الوقت الذي عاد فيه كل من لورانس وفان جوخ ونيجسكي إلى الوراء ، فاندحروا جميعاً .

وهذا معناه أن اللامتنمي ليس محبواً وليس مريضاً ، إنه فقط أكثر حساسية من أولئك الأشخاص المتفائلين ، وأكثر شفقة من هؤلاء الرجال صحيحي العقول . إن مشكلة اللامتنمي في جوهرها هي مشكلة الحرية ، لا الحرية السياسية بالطبع ، ولا الحرية الاجتماعية بطبيعة الحال ، وإنما الحرية بمعناها الروحي العميق ، على اعتبار أن جوهر الدين هو الحرية .

فاللامتنمي يبدأ - كما يقول كولين ويلسون - ينبوع من التوترات الداخلية ، من حالة تآزم باطني ، ودوار داخلي عنيف ، ويحاول جاهداً أن يتخلص من توتره وتآزمه وفواره العنيف ، ولن ينجده في شيء الدعاوى إلى طيب نفسي ، لأنه ليس في مقدور الطبيب النفسي أن يجد حلاً لمشكلة اللامتنمي .

إن مشكلة اللامتنمي أشبه بمشكلة الصوفي الذي ينشأ في حضارة معينة ، ولكنه لا يلبث أن يرفض قيم هذه الحضارة ، فيهرب منها ويلوذ بضموعته في الصحراء . وبعد أن يتفكر في ذاته وفي العالم من حوله ، وفي عظيمة الخلق ، تراه يعود إلى العالم من جديد ، داعياً إلى تبدل قيم الحياة المادية ، مبشراً بقيم الحياة الروحية .

وبمثل نموذج اللامتنمي يلوذ بغريفته الوحيدة ، بعيداً عن البشر ، حيث يعز في تملاته الذاتية ، يحمل مشاعره ، ويطلق لحسواطره العنان ، ويفكر في إصلاح العالم ، فإذا قدر له أن يعرف نفسه للعفة الكافية ، وأن يعرف بالتالي ماذا يفعل بنفسه وسط تحسوس الآخرين ، انضمت رسالته وصار صوفياً ، إلا إذا عجز عن معرفة نفسه ، وعجز السيطرة على ملكوته وقدراته ، فإنه يظل لامتنمياً .

وهذا معناه أن ذلك اللامتنمي هو الإنسان الذي تشغله مشكلة طبيعة الحياة ذاتها ، ومشكلة العيشة في هذه الحياة ، ومشكلة البحث عن سبيل للخلاص ، الخلاص من مرض اللانتماء باعتباره من أخطر أمراض العصر ، وذلك عن طريق الإيمان ، أو العودة إلى الإيمان .

صحيح أنه لا يستطيع أن يقبل لمز القديس أوغسطين : « إنه لكي تفهم ينبغي أن تؤمن » ، وإنما الصحيح أنه يريد أن يقم إيمانه على أساس عقله ، وكأما يعارض عبارة القديس أوغسطين بالعبارة

الفتاة : « إنه لكي تؤمن ينبغي أن تفهم » .

ومع ذلك ، فهل يستطيع اللامتني أن يجد له مخرجاً من هذه الحلقة

المفرغة ؟

إلا إن الجواب الذي ينتهي إليه بحث كولين ويلسون هو الجواب
الديني !

الشروق من الشرق

ويعاود كولين ويلسون أن يصف لنا طريق الخلاص ، خلاص
الغريب من غربته ، أو اللامتني في محاولته الانهاء ، وإذا كان قد أشار
إلى أن هذا الخلاص لا يكون إلا بإدراك الإنسان أنه لا يتكون من عقل
فقط أو وجدان فحسب أو جسد وكلي ، وإنما عليه أن يحقق الوحدة
الحسية من بين هذه العناصر الثلاثة ، لكي يحيا حياة واحدة ، فإنه هنا
يصف لنا السبل إلى اندماج هذه العناصر جميعاً ، والصفها في بوتقة
واحدة .

فعند كولين ويلسون أن اللامتني يسلم بصيغاً من الأسفل في
خلاصه الروحي ، وذلك من خلال لحظات من الكشف الصوري أو
الرؤية الإشرافية ، لحظات تتوحد فيها حواسه جميعاً وتتجسم فيها روحه
مع الوجود ، ويشعر وكأنها هو والحياة شيء واحد ، فيدرك الكون آية
من آيات الله ، والعالم قائم على نظام مبدع يحكمه « والحياة عميقة
العمى ، رائعة الغاية ، جذرية حقاً بأن تعيش » .

هذه اللحظات المتوهجة ، هي التي ينبغي على اللامتني أن يقبض
عليها بكل ما أوتي من قوة ، وألا يدعها تغتلب من بين يديه ، ففي
هذه اللحظات خلاصه ، وفيها خروجه من غربته ، وشقائه من داء
الانتهاء ، بل أكثر من هذا ، على الإنسان أن ينمي في نفسه هذه
الملكية الثورانية ، ملكة الرؤية الصورية أو الكشف الروحاني ، وذلك
عن طريق الإرادة الحرة . فاللامتني هنا كاشاعر المهمل ، الذي يبيط
على إلهامه دون أن ينتظر حتى يبيط إلهامه عليه ، وهذه الرؤية التي
تغسل التراب الحواس جميعاً ، فضلاً عن يقظة الوجدان ، ممكنة
للجميع كما يقول الشاعر **وليم بليك** ، طالما كانت نوافذ الإدراك
نقية صافية .

وكما افتتحت أبواب الأسماق عند ولیم بليك ، وأطل عليه هذا
النور ، يمكن أن تنفتح بدورها أمام اللامتني ، إذا حرص على تنمية
هذه الملكية في نفسه ، وتوفير له الهدوء الروحي ، ونهياً لاستقبال
هذه الرؤية الصورية ، التي تلغ على كل الأشياء الغاية والعمى ،
فتدرك كل ورقة من أوراق الشجر ، بل كل ذرة من ذرات التراب ،
وكانها علماً كاسياً يبحث في داخله السعادة القصوى والفرح السلي
لا ينتهي !

ويلعب كولين ويلسون إلى أن هذه الرؤية ليست سوى أمثلة على
قابلية الإرادة الحرة على جعل الأشياء تحدث ، لا كما علمتنا فلسفة
الغرب التي قيل إلى الخضوع الإرادة للوجود ، ولكن كما أرشدتنا إلى ذلك

بحز . . حكمة الشرق .

وهكذا نفردنا مشكلة اللامتني إلى الحلول التي اهتدى إليها حكماء
الشرق ، بحيث يصبح المثل الأعلى عند كولين ويلسون هو الحكيم
الشرقي الذي لا يعنى بأكثر مما يسد رمقه ويقم أوده من المال والطعام ،
ويحرص كل الحرص على الرياضة والمجاهدة حتى يحصل له الكشف
والمشاهدة ، فيرى الحقيقة بنور اليقين ، وهو نور يزرعه الله في قلب المؤمن
إذا اتجه بكيانه كله إلى الله .

ويختار كولين ويلسون من بين حكماء الشرق ، المتصوف الهندي
الشهير « **سري رامنا كريشنا** » ، فيعرض لحياته ، ويشيد بحكمته ،
وكيف نشأ في قرية صغيرة ، وكانت حياته تسير على وتيرة غشائية ،
وكان هو نفسه كالوتر الرقيق الذي يتضلل بالانغماس لدى أي اهتزاز ،
وأمام أي جمال أو نوافذ في الطبيعة ، وكان مزاجه « **الروحي** » ، أو كما
يسميه كولين ويلسون ، حساسية التخيلية دائمة التطور على امتداد
حياته ، إلى أن بدأ يفكر في الله بتفكيره في التوافق ، وكيف أن ما
نشاهد من توافق في الكون إنما هو آية من آيات خلق الله .

وقد أدرك رامنا كريشنا أن الهدوء بشأن في لحظات التأمل بتوجيه
التفكير نحو فكرة التوافق ، ومن ثم راح يتفرد بنفسه في أماكن لا يضايقه
فيها أحد ، وكان يجلس مترعاً ويعاود أن يجعل انفعالاته وعقله
متعاونين لتحقيق أقصى درجة من درجات الانفصال عن العالم . وقرر
الساعات وإذا به يرى أن الأشخاص والجبال والأنهار والطبيعة كلها
صارت أكثر حقيقة ، وأنها وجدت لغرض وغاية ، وأن ما يشهده وما
يراه إن هو إلا لحظة من لحظات الإرادة الحرة .

وكان رامنا كريشنا قد أرفعه التأمل الطويل حتى أنه لم يعد يرى
هدفه ، وحتى أقدم بالفعل على محاولة الانتحار ، ولكن محاولته الانتحار
كانت خطراً مفاجئاً هذه قواه الحيوية ، فأيقظت فيه الحواس ، وأقيمت
فيه الوجدان ، فترأت له الرؤيا ، وكانت رؤياه مثل رؤيا نيتشه على قمة
النيل ، إلا أنه إذا كانت رؤيا نيتشه رؤيا سلبية ، فإن رؤيا رامنا كريشنا
هي الرؤيا الإيجابية ، ذلك أن خطر الموت أيقظ فيه الإرادة الناعمة ، فلما
استيقظت هذه الإرادة ، أضادت له الحظيرة وقلدت في قلبه بنور
اليقين .

لقد لمح رامنا كريشنا ، كما يقول كولين ويلسون ، في توجيه البواعث
ذاتها ، فقبض على السيف وأراد أن ينتحر به ، وفجأة كشفت قوى الحياة
عن ذاتها في نفسه ، وقالت له : « هراء ! إنك لن تموت » ، انظر إلى
هذه الأعمال التي أعددتها لك ، لكي تقوم بأدائها ! »
وهكذا توافرت لرامنا كريشنا رؤياه الصورية ، التي كانت إدراكاً
مفاجئاً لحقيقة أن الكون مليء بالحياة ، وأن هذه الحياة لا تكف عن
تعزيز سطوتها على المساءة ، من أجل أن تفسح الطريق أمام قوى
الروح .

وهنا نرى كيف أن اللامتني يعرف نفسه فجأة ، وأن إدراك هذه
الحقيقة يمثل الخلاص النهائي بالنسبة إلى اللامتني . وإذا بلغ اللامتني

مرحلة راما كريشنا من الإدراك الروحي ، فإنه يفقد طويته ، ويحصل على النالته ، ويجد الله .

وعند كولين ويلسون أن راما كريشنا ما كان يستطيع أن يصل إلى هذه المرحلة من الإدراك الروحي ، لو لم يحفظ بحساسية العقولة طيلة حياته ، أما نحن الغربيين ، وسط حضارتنا المعقدة ، فليأت مضطرون إلى الانخراط في مزاج معين ، ومن ثم قلبي تزييفاً أن نقول إن حضارتنا الغربية هي المسؤولة عن انتشار المذاهب المادية في الفكر ، أما راما كريشنا الذي يقف في الطرف الآخر من قوس الطيف الحضاري ، فقد كان باستطاعته أن ينفذ إلى أعماق أعماق الإنسان ، وأن يصل إلى إدراك الله . الأمر الذي لم يستطع أن يفعله إلا عدد ضئيل جداً من الغربيين ، فيما عدا أولئك القديسين الذين ظهرت في العصور الوسطى .

أجل ، إنه إذا كان الغروب قد حل على الغرب ، فمن الشروق لا يكون إلا من الشرق !

أهو المتسق للإنسان

ومن الشرق يبرح كولين ويلسون على اليونان ، حيث الفكرة اليونانية وحضارة البحر المتوسط ، وحيث الاحتفال بالإنسان وأحياء البشر ، فترة يشيد بموقف التصوف اليوناني الحديث **جوردجيف** ، الذي حاول البحث عن «نظام» يستطيع الالتمس من خلاله أن يتصل من أمراته وأوجاعه بتتابع هذا النظام ، وهو النظام الذي سماه «أهو المتسق للإنسان» ، والذي أودعه كتابه «المجميع وكل شيء» .

فعند جورج جوردجيف أن الفكر لا أهمية له في ذاته ، وإنما تكمن أهميته فيما يحققه من نتائج في الحياة ، ويتألف النظام الذي يضعه من مجموعة من المبرينات والقواعد ، التي لا يعرفها الآن سوى تلاميذ جوردجيف وأتباعه ، وأبرزهم «ب. د. أوسينسكي» صاحب كتاب «في البحث عن المعجزات» الذي قص فيه ما حدث له حين كان يتعلم على يد جوردجيف ، هذا الذي يصفه بأنه كان بالنسبة إليه كما كان سقراط بالنسبة إلى أفلاطون .

ويبدأ جوردجيف بأشد حالات الإنسان ضللاً وقسواً ، فيلعب إلى أن الإنسان غارق في هذه الضلالات والضياعات ، نائم في أحضان العديد من الأوهام . إلى الدرجة التي لا يمكن معها أن تعتبره حياً يعيش ، وإنما هو آلة ، فقدرة الوعي ، أو أداة لا تملك شيئاً من الإرادة الحرة .

ويؤكد جوردجيف على أن البشر نائمون ، وأنهم إنما يسبون في نومهم دون أن يتوافر لهم شيء من الإدراك الحقيقي ، غير أن الإنسان يستطيع أن يستيقظ من سباته العميق ، وأن يحصل على شيء من اليقظة والحريية ، وذلك عندما يصحو على الحقيقة الأولى التي تقول بأن أولى خطوات الحصول على الحرية ، هي أن ندرك أننا لسنا أحراراً .

وعند جوردجيف أن الإنسان متى أدرك هذه الحقيقة ، يكون خلاصه

بعد ذلك ، في اتباع ما سماه نظام «أهو المتسق للإنسان» ، ويتألف هذا النظام من ثلاث طرق ، هي طريقة الفقير ، وطريقة الراهب ، وطريقة البوحي ، وهذه الطرق الثلاث تقابل الحالات الثلاث من حالات اللامتسبي ، التي أشار إليها كولين ويلسون ، وهي التي تم فيها محاولات السيطرة على الجسد ، والسيطرة على الوجدان ، ثم السيطرة على العقل ، إلا أن الجندب في نظام جوردجيف أنه يدعي بأن نظامه يمثل طريقة رابعة تحتوي الطرق الثلاث الأخرى .

على أن هذه الحالات الأربع ، ترتبط عند جوردجيف بدرجات الإدراك ، حيث تبدأ أولاً بالنيوم ، والثانية بما سماه «الإدراك اليقظ» ، أما الثالثة فيدعوها «التذكر الذاتي» ، في حين يدعو الرابعة بالإدراك الموضوعي .

والذي يقتضى إليه كولين ويلسون من شرحه وتعليقه الفلسفة جوردجيف الصوفية ، هو وصفها بأنها أكمل وأكثر الفلسفات الوجودية مثالية ، بحيث يقول كولين ويلسون : إن نظام جوردجيف واللامتسبي سعيان نحو هدف واحد .

دفعة الحياة

وهذا ما عبر عنه جوردجيف بألف تعبير وأزوه ، حيناً قال في كتابه «المجميع وكل شيء» :-

«الإنسان مرتبط بكل شيء في حياته ، مرتبط بالخيال ، مرتبط بحقيقته ، مرتبط بعذابه ، بل إنه مرتبط بعذابه أكبر من ارتباطه بأي شيء آخر ، ويجب عليه أن يجر نفسه من هذه السروابط ، لأن الارتباط بالأمور والأشياء والأشياء بها ، يقص الحبال لظهور الله «أنا» في الإنسان ، ويجب على هذه «أنا» الكثيرة أن تموت لكي تولد «أنا» الكبيرة» .

ويخلص كولين ويلسون من هذا كله إلى الهجوم العنيف على موقف الإنسانيين والعلماء والمناطقة ، أولئك الذين يهتمون معرفة أنفسهم ولا يهتمون بالمجهر الديني ، الذي هو جوهر الخلاص بالنسبة إلى اللامتسبي .

وهنا نراه يشيد بالكتاب الإنجليزي برنارد شو لإدراكه أهمية الإرادة ، وتأكيداً على فكرة دفعة الحياة ، وسيطرة الروح على المادة ، والعقل على الغريزة ، فليأتنا تجدد كما يقول كولين ويلسون - عند برنارد شو كما تجد عند جوردجيف إدراكاً للجهد العظيم الذي تقوم به الإرادة الحرة ، من أجل التعبير حتى عن أقل ما يمكن من الحرية !

وهو يجعل من برنارد شو عملاقاً من عمالقة الفكر الإنساني ، ويقعده إلى جوار يسكال والقدس أوغسطين وسائر الفلاسفة ، أولئك الذين لم ينفذ أرامهم من التشاؤم إلا إدراكهم الصوري لإمكانات الإرادة الحرة ، الخلاص من العادة الآلية ، أو التعود الآلي على شؤون الحياة ، فعند هؤلاء جميعاً أن أقوى الحقائق العقلية المطلقة ،

لا تعود صحيحة إلا حين تسندها حقيقة دينية ، وفي ذات الوقت لا يمكن للحقيقة الدينية أن توجد بعيدة عن العقل ، أو بعيدة عن المجهود الذاتي الذي يحاول الوصول إلى هذه الحقيقة .

وعندما يسأل سائل : « أين تدعُب الروح بعد الموت ؟ » يجيبه كولير ويلسون قائلاً : « لا حاجة بنا إلى أن تدعُب إلى أي مكان ، لأن الجنة والجحيم يملآن هذا الكون بصورة عادلة ! » .

الطريق .. طريق الإيمان

وهكذا نجد كولير ويلسون في ختام بحثه عن «اللامتني» وعين الحلول التي تضع حداً لفلسفة الثلاثية في عصرنا الحاضر ، وهو ما عبّر عنه صراحة بقوله : « لست أهدف إلى إيجاد حل نهائي كامل لشاكلة اللامتني ، وإنما إلى الإشارة إلى أن هنالك حلولاً تقليدية أو محاولات بملت من أجل الوصول إلى تلك الحلول » .

نجد في ختام هذا كله ، يعلن في «اللامتني» أو التصريح الذي أصدره الأدباء الغاضبون في إنجلترا ، أن واجب الكاتب يتم عليه أن يحمل سلاحه ليحارب النزعة المادية المتفشية في حضارة العصر ، وأن يهيب بكل قوى القبح والروح أن تعمل على تثبيت دعائم الإيمان ، كما يعلن في هذا التصريح أنه يقف في صف واحد مع الفلاسفة الوجوديين المؤمنين بالدين في وجه المادية والإلحاد ، وأنه لا سبيل إلى خروج الإنسانية من عكبتها ومحتنها وإحساسها بغواء الحياة إلا عن طريق الإيمان .

هذا الإيمان هو الذي يساعد إنسان هذه الحضارة على محاربة الإحساس بعيشة الحياة ، وعلى الاعتقاد بأن الحياة لا تخلو من القصد والغاية ، وأن الحياة إنما تقصد إلى العلو والتسامي ، وتغني إدراك حقيقة الله .

إن اللامتني الذي ظل قراءة قرن كامل من الزمان ، يفلح بالمعركة دون أن يدرك ماذا كان يفعل ، ولا ما الذي كان يشغى عليه أن يفعله ، قد وضع كلنا بديه على حقيقة كونه لامتنيًا ، وأن الحياة لا تحتمل كثيراً أمثاله من اللامتنيين ، وإلا كان عالمه إما الموت أو الجنون .

وربما كان أروع ما في كولير ويلسون هذا الفيلسوف الشاب ، الذي يتميز بسعة اطلاعه ورحابة معرفته ، كما يتميز بحديثه وجرائته في تناول قضايا الأدب والفكر والحياة ، هو نظرتة إلى الحياة ذاهباً على أنها مشكلة كبرى ، وأن الإنسان ينبغي أن يدرك عمق هذه المشكلة ، وأن يجهد كل قواه لحلها لحل السعيد ، الذي يمكنه من التوافق مع الحياة ، والتكيف مع المجتمع .

من هنا كانت نظرية كولير ويلسون إلى الفكر على أنه ربيب الحياة ،

ولا يمكن للكاتب المعاصر ، أن يعزل منهج الفكر عن مضمون الحياة ، فالفكر النظري الخالص ، نشاط ذهني أحرف ، كبيت العنكبوت الذي يعجب الناظر بما فيه من دقة الصنعة وبراعة الصانع ، دون أن تكون له أية فائدة ، فهو بيت في مهب الريح ، لا يقوى على الصمود أمام تحوير الحياة .

ومن هنا أيضاً كانت نظرية كولير ويلسون إلى الفكر المعاصر ، ومدى مسؤوليته بإزاء قضايا المجتمع ومشكلات العصر ، فهو قرن الاستشعار بالنسبة لهذه القضايا وتلك المشكلات ، عليه أن يشخصها وعليه أن يكتب «روشة» العلاج . وعلى ذلك فهو لا يسوي بين الأدب وبين الجمال ، وإنما يعتبر الأدب وسيلة يوضح بها الأدب مشكلاته في الحياة ، وسيلة تمكنه من أن يحيا حياة أكثر ثراءً وعلقى .

أجل إن كتاباته كولير ويلسون وأفكاره ، لا تكن قيمتها فيما تنطوي عليه من جدية وعمق . ولكن في كونها صرخة من صرخات هذا العصر ، صرخة يطلقها هذا الفيلسوف الشاب في وجه القضاة العلمية الجامدة ، والتقاليد الخائنة ، وهي في ذات الوقت دعوة ملهصة إلى الاهتمام بالقسم الروحية في هذا العصر .

نعم ، إن إعطاء العمل الأول للإرادة ، مثل طريقة أخرى لإعلان أن الحياة هي عمل من أعمال الإيمان ! . وإذا كانت الحياة عملاً من أعمال الإيمان ، وسأل سائل : « في أي شيء هي عمل من أعمال الإيمان ؟ » كانت الإجابة : « في الحياة نفسها ! » .

هنا كله ولكن غير لم يكن الناقد الإنجليزي فيليب تويشي مغالياً ، عندما وصف كتاب الغريب أو اللامتني لكولير ويلسون بأنه قد أضاف إضافة حقيقية إلى فهمنا للمشكلات الروحية العميقة في القرن العشرين .

وحقاً كان هذا الكتاب دراسة تحليلية لأمراض البشر النفسية في هذا العصر ! .

المراجع

- ١ - أليس منصور : « وداغاً لها المثل » ، الدار القومية للطباعة والنشر .
- ٢ - د . رمسيس عوض : « في الرواية الإنجليزية المعاصرة » ، دار المعارف بمصر .
- ٣ - د . فؤاد زكريا : « إرث تقليدية في مشكلات الثقافة » ، نقية المصرية العامة للكتاب .
- ٤ - كولير ويلسون : « اللامتني » ، ترجمة : أليس زكي حسن ، دار العلم للملايين ، بيروت .
- ٥ - د . مصطفى بشوي : « دراسات في الشعر والنثر » ، نقية المصرية العامة للكتاب (الإسكندرية) .



★ من قديم الحكمة من النبوة: «مكشفتا إرغاضهما وبلايس نبوية لتفاناً عند علي بن أبي طالب» ★

ما هو دور الفن في عصر التكنولوجيا؟

لقد اتخذ النصف الثاني من هذا القرن طابعاً علمياً، حتى عرف بأنه عصر التكنولوجيا، بما حققه من إنجازات وكشوف في الطاقة، والفضاء، والذرة... إلخ، ونظر بعض البيكولوجيين إلى أثر الحضارة التكنولوجية على العقلية الإنسانية نظرة تخوف بل ذعر، إذ لا يبدو لهم منها إلا الجانب القريب، ويرون أنه لا وسيلة لإنقاذ البشرية إلا بشحنة كبيرة من العواطف الإنسانية، ولكنهم متشائمون حول مصير الجيل الحالي، وتطلعون إلى إنقاذ الأجيال القادمة، فقد ضل الإنسان المعاصر من خلال لقائه اليومي بالآلاف الظواهر التكنولوجية خاضعاً لسيطرتها، وتحكمها، في حين يتصور أنه يتحكم فيها.

التربوية الجمالية في عصر التكنولوجيا

بمقدم: فتوزي سليمان

فالمعلم العلمي والتكنولوجي كعمل فيه إبداع وإبتكار يحتاج إلى الخيال. والمعرفة الفنية يحتاج إليها صاحب المعرفة العلمية والمنطقية، مهما كانت مهنته. ويقول هؤلاء إن العلم يتجه إلى الفن، والعالم اللغف الواعي يقوم الفن بقدرة إبداعية أقوى، ونحسباً أعمق بمشاكل

ولكن هناك - على الجانب الآخر - من يقول إن التكنولوجيا ليست إلا من ابتدع الإنسان، يسخرها لخدمة أغراضه، ولتعمل من أجل تقدمه، وأن مقاومتها تعني الاستمرار... ويؤكد هؤلاء دور التكنولوجيا في خدمة الحياة الروحية للإنسان من خلال مخترعاته مثل السيما والتلفزيون، فإن هاتين الوسيطتين تستطيعان أن تقدموا الزاد الروحي للإنسان المعاصر من خلال برامجها عن الفن... والفن نفسه يحتاج إليه التكنولوجيا.



★ ثلاث نوبة للفن رفعت لهم ★

عصره ، نتج له قدرة على علاجها ، فهو - مثلاً - أكثر وعياً بمخاطر الطقفة الدرية ، أو تلوث البيئة وغيرها من المشاكل التي نعرض بها التكنولوجيا علناً .

أهمية التربية الجبالية

من هنا كان الإهتمام بالتربية الجبالية ، بعض التكنولوجيا ، فالتربية الجبالية الواعي بقيمة الفن - ذلك التراث العظيم الذي خلقه أجدادنا سلاحة في تطور البشرية - يكاد يكون أكثر إيجابية في الأسهم الفعالة خدمة مواطنيه والإنسانية عامة ، والتصدي للسلبيات في بيته وفي العالم .

وقد وجد أن السيئ - وبالتالي التلفزيون كل بقصائصه - يستطيع أن يقوم بدور كبير في نشر التربية الجبالية ، وكل منها من مستحدثات العلم والتكنولوجيا .

ولكن .. لماذا السيئ والتلفزيون ؟

.. ليس هناك الكتاب ، والمتحف ، والمسرح ، وقاعات العرض ،

وغيرها من الوسائل ؟

إن الشاشة في مقدرتها أن تقدم لك كل الفنون والعارف - كبيرة كانت أم صغيرة - وهي تستطيع أن تحضر كل أشكال الفن إلى أصداد غسلة من الشاعرين ، وذلك الشاشة إمكانات عالية وفريدة للتأثير على مشاعر المشاهدين . كما أن الثقافة البصرية الموجهة للجمهور من خلال الشاشة تجعل الناس أكثر نقياً لأشكال أخرى من الفن .

وإذاً هنا - كمثال - برنامج المسرح ، أو الموسيقى أو الفن التشكيلي ، الذي يقدم على شاشة التلفزيون ، من المؤكد أن هذه البرامج قد ساعدت على توسيع رقعة متلقي هذه الفنون وتقريبها إلى الناس العاديين ، بعد أن كانت بعيدة عنهم أو « مرفوعة » عليهم من قبل .

فيلم الفن وليس الفيلم الروائي

حيناً نتحدث عن فن الفيلم ، فإن التفكير ينصرف عادة إلى الفيلم الروائي - ولا شك أن الأعمال الروائية العظيمة ، تعتبر وسيلة للتربية الجبالية ، لكنها قليلة نوعاً . وإذا كرس فيلم روائي حياة رجل من رجال الفن ، رسماً أو مثلاً أو موسيقياً - وهذا أيضاً نوع قليل العدد - فإنه يركز على الأحداث حول الشخصية لا على أعماله الفنية ، مما يقلل من قيمة الفن الأصلي الذي يصل إلى المتشاهد ، علاوة على خاطر قيام مثل معيون بتمثيل دور الفنان ، فغالباً تحجب شهرته أهمية العمل الفني .

هذا فتح نلصق بفيلم الفن ، الفيلم غير الروائي ، الفيلم الذي يستغل كل الوسائل الممكنة لوسائل التعبير المتاحة لتقديم جوهر الفن . والفيلم هنا ليس مجرد نسخ للعمل الفني ، بل يكف عن إعادته ، ويعمل له حياة جديدة ، ويغير فلسفته ، إذا فإل الفن يجب أن يكون هو نفسه عملاً فنياً ، زائراً بالشاعر الإنسانية التي تميز نفوس المشاهدين ، وتجعل من العمل الفني شيئاً عزيزاً ومثيراً ومفهوماً وهذا بالنسبة لهم ، يثير فيهم الإحساس العميق بقيمة الفن ، ويشفي فيهم مثاليات جبالية وأخلاقية يعملون على تطبيقها في الحياة . إن إمكانات الشاشة الضخمة نتج لنا أن نرور أعظم مشاهد العالم ، وأهم مراكز الفن ، وأن نتعاش كبار الفنانين العالين من غير أن نترك بيوتنا ، إن النهضة العلمية والتكنولوجية تقرب إلينا رواق الفن العالمي في مختلف أشكاله وأساليبه ، نلصق بنا إلى أعماق التاريخ ، وأسرار الماضي ، تسكشف وحائل ، ولحجب عن تساؤلاتنا ، وتضع ضوئها إلى المعرفة ، وترفع من مستوى التربية الجبالية للشعوب ، ويثبت معنى التفاهم بينهم ، كما أنها تستطيع أن توصل عن طريق أفلام الفن مختلف

هل يصح الفن في عصر التكنولوجيا

إن العلم يتجه إلى الفن والعالم الواعي

لعارف والعلوم الإنسانية ، ومن هنا يرتفع صوت بعض الربين بأفكار مادة الفن ، واستخدام أفلام الفن في المدرسة لا خارجها فقط .

التربية الفنية .. أيضاً !

يقسم البعض أشكال أفلام الفن إلى أفلام تناول فناً واحداً ، وأفلاماً تخصص فقرة زمنية معينة ، وأفلاماً تناول مجموعات فنية من مختلف الأنواع ، كما في فيلم عن متحف اللوفر ، أو قصور آل هابسبورج في فيينا ، أو قصور حكام فلورنسا أو روما بما فيها من رسوم وكثت واثاث ، وأسلحة ، وجواهر .. الخ .

وهناك من يشير إلى أفلام عن مذاهب معينة ، أو هي نفسها لها المجموعات معينة ، فهناك أفلام سورالية تناول موضوعها بطريقة خاصة ساخرة أحياناً قد يعترض عليها البعض لما تحته من تشويه في العمل الأصلي ، فهي إذن لا تحمى العمل الفني ، وهناك أفلام شاعرة غالباً تأثيرة Impressionistic .

على أي حال فإن كلاً من فاني الفيلم : كاتب السيناريو ، والمخرج ، والمصور ، يحاول أن يبدع له صورة تعبر عن رؤيته للواقع ، يقدم بها قيمة جبالية لتزي الموضوع بعناصر لم تكن في خاطر الفنان الأصلي ، وذلك بفضل تكنولوجيا



★ التوبة: لوحة زيتية للفنانة جرجيسبيد ★

١- أم أن التكنولوجيا يمكن أن تكون في خدمة الحياة الروحية للإنسان ؟ سي المثقف يقدم للفن فدرية إبداعية أقوى ، وتحسباً أعظم بمشكلات عصره .

الفن ، لكن لا شك - أن المخرج بقل هو الفنان المسؤول عن تكميل العمل الفني .

أفلام عن فنان واحد وأعماله

فنان رائد

وقد أثرت نفسياً آخر لأفلام الفن ، وصلت إليه من خلال لغاش لأعمال المخرج المصري سعد تدميم في نطاق أفلام الفن ، ولركز على أفلام سعد تدميم - أساساً -

التي وجدت في استعراض مجموعة أفلام الفن التي أنتجت في مصر في السنوات بين ١٩٥٧ و ١٩٧٦ م ، أن هذا الفنان يستأثر بإخراج وإنتاج الغالبية العظمى من هذه الأفلام ، من خلال أعماله الفردية ومن خلال موقعه كمدير للمركز القومي للأفلام التسجيلية التابع لوزارة الثقافة ، وقد تم إنتاج ٤٥ فيلمًا من أفلام الفن في هذه

الفترة ، وهو عدد غير كبير لكنه دلالة - على أي حال - على الأهمية بهذه النوعية من الأفلام حتى تحقق رسائلها في التربية الجارية للناس ، ومثل هذه الأفلام تهتم بها كل الدول المتحضرة ، وتقام لها المهرجانات الدولية الخاصة ، وتعقد لها منظمة اليونسكو المؤتمرات والندوات الدولية .

وفي مثل هذا النوع يختلف تناول الفنان ، فقد يحاول أن يتغلل إلى حياته من خلال أعماله ، أو أعماله من خلال مراحل حياته وتطورها ، أو يمزج بين هذا وذلك ، وقد يحاول أن يربط هذه الأعمال الفنية بالأحداث الاجتماعية والسياسية لبلده . وفي كل حالة تختلف نظرنا إلى الفيلم .

مثلاً قسم سعد تدميم فيلمه عن «واغيب عياد» إلى ثلاثة أقسام تبعاً للمراحل الثلاث التي اجتازها هذا الفنان مبتدئاً بالحياة في الريف المصري ، ثم الحياة الشعبية ، ثم الحياة في الصحراء .. وفي كل هذه المراحل كان دائماً مرتبطاً ببيئته ، سواء في الريف أو القلعة أو الصحراء .

وفي فيلمه عن «الفنان أنور عبد المولى» ربط المخرج بين أعمال الفنان والأحداث والظروف التي مرت بها بلاده ، كما في تعبيره عن الحرب ومخاطرها في تحته للألم وهي تحمل قلقها ونبروت فرقة أثناء غارة جوية خلال الحرب العالمية الثانية . وعن طريق الإضاءة والمحرك (الكاميرا) يقدم الفيلم رؤيته ، محاولاً أن يستشف المعاني التي فصحها الفنان ، ومن هنا لا بد أن يقوم بتعمق حياته والجو الذي عاش فيه .



★ «الطريق إلى القرية» من أعمال محمد ناجي الفنان ★

● إن النهضة العلمية والتكنولوجية تقرب إلينا روائع الفن العالمي في مختلف أشكال

● التربية الجمالية وسيلة فعالة في

لقد شاهدنا أفلاماً من هذا النوع لم يوفق فيها أصحابها، بسبب زحمة الأعمال الفنية المختلفة، قد تعد إلا بالعرض الإعلامي أو الإخباري، وانتقلت عنها القيمة الفنية. أما بالنسبة لفنان دارس ومتعلق للفن التشكيلي مثل سعد تديم، فقد حاوله التوفيق وقدم لنا فيلمًا، عرض فيه لكل فنان يطابعه المميز، فقد قضى وقتاً كافياً لدراسة كل فنان، في محاولة لتلخيصه، وإسراء النقطة الرئيسية في عمله. وهي بلا شك عملية معقدة تحتاج لصبر وثقافة فنية بعيدان على التعمق وتكتيف كل فنان في دقيقة واحدة معبرة.

أفلام عن أعمال لعدد فنانين في موضوع واحد

وهو نوع معروف حيث يشارك عدد من الفنانين - أو يجمع لخرج بين أعمال عدد من الفنانين - في التعبير عن موضوع معين، في أو سياسي. وقد شاهدنا في كثير من مهرجانات السينما الدولية أفلاماً من هذا النوع حول قضايا الحرب أو السلام، استغلت في التعبير عن اللوحات الفنية لعدد من الفنانين من بلد واحد أو من عدة بلاد.

وتعبرنا هنا قبل عن ستة فنانين مصريين يعبر كل منهم عن كيفية تناولهم لموضوع المرأة في لوحاته، كل بأسلوبه الخاص. وخرج لنا فيلم «حواء» في أعمال

هكذا فعل سعد تديم في أفلامه عن الفنانين الذين تعرض لهم، وهكذا فعل ولي الدين سامح في فيلمه عن «المثال مختار»، حيث أبرز العلاقة بين الفنان والقرية، وإحسان فرغل في فيلمه عن «الفنان ناجي»، الذي أبرز فيه تعبير محمد ناجي عن الحياة في بلاده، وهذا ما نلصقه أيضاً في فيلم أحمد كامل مرسى عن «محمود سعيد»، حيث عرض حياته من خلال أعماله، وأثر البيئة في فنه، أو في فيلمه عن «يوسف كامل» الذي حلل فيه أعماله وعلاقتها بالبيئة حوله.

أفلام عن مجموعة من الفنانين في موضوعات شتى

وتقدم هنا مثلاً لفيلم سعد تديم عن «الفن المصري المعاصر».. أو «التفرغ في التصوير والنحت» وهو عن أعمال مجموعة من الفنانين اختارهم الدولة لشحه التفرغ لمصنوعهم الفني أو لما ينتظر لهم من مستقبل، فيلخصون سنة أو أكثر، مسترعي البال في مرسمهم. وقد أقامت وزارة الثقافة معرضاً للفنانين التفرغ هؤلاء وعددهم عشرون. عشرة من الكبار وعشرة من الشبان..

كيف يستطيع فيلم أن يحمل أعمال عشرين فناناً، كل منهم له طابعه، في عدد محدود من الدقائق؟



هـ وأساليبه؛ وترفع من مستوى التربية الجمالية للشعب سل الثقافة المعاصرة إلى الشعب

الفنانين « فوجياً طبعاً لموضوع واحد من وجهة نظر أكثر من فنان ، وهو من إخراج سيدة هي منى مجاهد ..

وكان قبل « حكايات من التوبة » لسعد نديم أول فيلم يعتمد على اللوحات الفنية (سنة ١٩٩٣ م) ، وقد تناول موضوع التوبة عباداتها وتجليدها كما عبر عنه مجموعة من الفنانين زاروا التوبة قبل أن تعرفها مياه السد العالي ! وأخذ المسرح (١٩٩٠) صورة للوحات الفنانين ، ثم اختار منها مائتين ، تسج منها السيناريو المطلوب ، مستمداً على حركة الكاميرا ، حتى تكونت من مجموعة الصور قصة تروي عادات النوبيين في الزواج وفي الموالدة على لغات الحركات الراقصة .

وأذكر فليماً شاهدته في أحد المهرجانات الدولية ، وهو فيلم عربي فلسطيني باسم « شهادة الأطفال الفلسطينيين في زمن الحرب » صدر فيه مخرجه « قيس الزبيدي » مجموعة من رسومات الأطفال الفلسطينيين في بعض عجائب اللاجئين الفلسطينيين بلبان ، تعبر عن تجليدهم لأوطانهم الذي تركوه ولم يبروه بالعلن ، وعن حياتهم في القنات ، وعن الكفاح الفلسطيني من أجل التحرير وإذا أخرج على لوحات الأطفال بصورتهم - أي الأطفال - وهم يرمون وهم يلعبون بين القنات وتفس هذه الفكرة كانت موضوع الفيلم اللبناني « متناثرون مع الرياح » إخراج جاك ميدهو . وقد وجدت أن الأفلام عن الأطفال وعن رسوماتهم وسيلة تستطيع أن تؤثر في الرأي العام العالمي بوسائلها .

ويتخذ المخرج أحمد فؤاد درويش من أعمال الفنانين الفلسطينيين إسماعيل سموط ، وقام الأكحل في الرسم ، ومصطفى الخلاج في النحت ، موضوعاً لفيلمه « وجوه من القدس » ، الذي كان وسيلة للدعوة للقضية الفلسطينية في إطار العمل الدولية . وكان هذا أيضاً هدف المسرح « أسوار الشافعي » في فيلمه « فلسطين » الذي دعا للقضية من خلال رسوم في معرض عن فلسطين بصور الكفاح ويؤكد حقوق الفلسطينيين المشروعة .

أفلام عن عمل فني واحد

وهذا أصعب الأنواع لأن الفنان السبيل يحضر نفسه بنفسه في إطار لوحة فنية واحدة أو عمل فني معين يحاول عن طريقه أن يعبر عما قصده الفنان . ومن أشهر أفلام هذا النوع فيلم فرنسي قصير موضوعه على ملقعة واحد في شكل فتاة ناعمة . برع الفنان الفرنسي في تصويرها من مختلف جوانبها مستغلاً كل إمكانات الضوء واللون ويذكر عبر الفن لوحة جوتوكا الشهيرة للفنان الشهير « بابلو بيكاسو » وهي لوحة واحدة ولكنها مشحونة بالشاهد للعبارة . ولعل أقرب مثال عربي لها لوحة للفنانة نجية حليم مثل حباً صغيراً صرخ وبدا مرتعشان إلى أعلى . وهي تصلح لفيلم سبيل قائم بذاته . لم يتح له أن يتحقق !

ولكن فليماً آخر تحقق - على يد سعد نديم - عن لوحة واحدة للفنان محمد راتب صديق باسم « في موكب السلام » أراد فيها الفنان أن يعبر عن إحساسه بالرغبة العارضة في السلام رغم كل التصحيات والألام في سبيل هذا الأمل المنشود . وجاء تعبيره مستمداً من عائلة الخالص الذي تغلب عليه قصص الكتب المقدسة ، قصور موكباً كبيراً من النساء ليس له أول ولا آخر . . . كلهن فلاحات كما يبدو من زين العارض . وبعضهن يحمل أطفالاً . . . والجميع ينظر إلى أعلى . . . وأيديهم ترتفع في نفس الاتجاه ، في حين أن الأقدام أسفل اللوحة تتحرك كما يوحى بموكب يسير قدماً . وكل الوجوه تعبر عن الأمل والحزن . فقد دفعت ولا تزال تدفع الفن في سبيل السلام .

ولقد استمتعت باللوحة كما استمتعت بالفيلم الذي تحسرت فيه الكاميرا - بصنافية - بين أجزاء اللوحة المختلفة ، بحيث تحس - نحن المشاهدون - بتحريك الموكب إلى الأمام فيما هو محصور وحادث داخل اللوحة .

ولا يعني هذا التقسيم الذي تزيده الأفلام الفن ، أن نحصر داخل إطار جدار لا يخرج عنه ، فهناك أيضاً في نطاق أفلام الفن ، لفنان سعد نديم - أيضاً - يمكن أن نتدرج أفلامه عن الآثار المصرية ، وعن الفنون الشعبية ، فقد أخرج أفلاماً عديدة عن الكنفوق الأثرية في الحفارة وسفارة ، وعن معابد إدفو وكوم أمبو وأسيوط والأقصر . وأخرج - أخيراً - أكثر من فيلم عن مراحل إنقاذ معابد فيله ، عرضت في المراحل الدولية تليداً لدور الفنانين العالي - عن طريق هيئة اليونسكو - في إنقاذ هذا التراث الإنساني . وفي الفنون الشعبية أخرج أفلاماً - لحساب التلفزيون العربي - عن الصناعات الشعبية في الجلود والذهب والنحاس والزجاج والفخار ولا بد من الإشارة إلى أفلام الأخوين عبد القادر التلمساني - مخرجاً - وحسن التلمساني - موضوعاً - عن الفن العربي والإسلامي في فيلمها « زخارف عربية » و « فن الخط العربي » ، وعن الفن التشابلي بقسرة الحسراتية في فيلم « ستوديو الفن في القرية » ، وكذا فيلمها عن رسوم فتالي الحملة الفرنسية في كتاب « وصف مصر » .

ويعد التلمسانية حالياً لفيلم تسجيل كبير عن الحضارة والقانون الإسلامية بمناسبة مرور أربعة عشر قرناً على التاريخ الهجري ، وبداية القرن الخامس عشر الهجري ومثل هذه الأفلام التي أشرنا إليها وغيرها ، تقوم كوسيلة فعالة في التربية الجمالية ، ونقل الثقافة المعاصرة إلى الشعب عن طريق الصورة المشوقة ، من أجل إحضار مشاعره ، وإثراء وجدانه ، وإشباع حاجاته النفسية ، والروحية ، فليس بالتكنولوجيا وحدها يعيش إنسان هذا العصر .



بقام : التفريق يحيى عبد الله المعالي

إبراهيم بن العباس الصوري

الآديب الشاعر

أشخاص الرواية ثعلب)

المنظر

(إبراهيم الصولي - جعفر
ابن ربيعة اللقي - الخليفة
التوكل - أبو العباس -
حاجب - أحمد بن يحيى وعنده جعفر بن ربيعة اللقي)

جعفر : إيه يا إبراهيم لماذا أرسلت في طليبي ؟
إبراهيم : لقد أرسلت في طلبك يا جعفر لأسمعك بيتين قلتهما في أمير
المؤمنين التوكل على الله .
جعفر : وما هما يا ابن العباس ؟
إبراهيم : اسمعهما يا ابن ربيعة وإذا دعينا إلى أمير المؤمنين فغلبنا بين
يديه .

جعفر : ساقعل .
إبراهيم : هذان هما البيتان :
ما واحد من واحد أول بفضل أو مسرة
من أبوه وجده بين الخلافة والتبوة
جعفر : إن هذين البيتين جيلان وسيسر بهما المتوكل
كثيراً .

إبراهيم : إنه ليس لي أن أسمع هذا الرأي منك فإنك لناقد ومتفلس .
جعفر : أرجو أن تسمح لي أن أسالك عن تلقيت الشعر
والأدب .

إبراهيم : لعلك تذكر ذلك لأن جدنا صول كان شركياً وكان يحكم
ولاية جرجان ، وقد دخل في الإسلام على يد يزيد بن المهلب لما فتح
جرجان وأصبح من رجال يزيد .

جعفر : نعم فهذا ما يدعو إلى الاستغراب .
إبراهيم : لك الحق ولكن جدي محمد بن صول كان من رجال



السيرة العباسية ، ووعدها ، وكان يحكي بها عهده ، وقد قيل في الغنية التي قامت بين عبد الله بن علي بن عباس وابن أخيه إلى جعفر المنصور .
جعفر : ولكن هذا لا يكفي فتمكين عروبتك أنت وأخوك عبد الله .

إبراهيم : انتظر حتى أكمل لك الموضوع .

جعفر : قل فإني مصغ إليك .

إبراهيم : لقد تزوج أبي : العباس بن محمد بن صول أخت العباس ابن الأحنف ، وهو كما تعلم شاعر رقيق الحاشية جيد الشعر ، وكانت أخته أمي ضليعة في اللغة والأدب وإن لم تكن شاعرة مثل أخيها فن هنا اقتبسنا الشعر والأدب .

جعفر : الآن عرفت السر ولقد أعجبتني أسلوبك في نقد الشعر .

إبراهيم : ماذا أعجبك فيه ؟

جعفر : إنك تقول القصيدة ثم تنقح أبياتها فتسقط منها

ما ملأ منزهة قلوبك ثم تسقط منها ما تراه أقل جودة ، وتسقط ما سيقك الشعراء إليه من معاني ، ثم لا تبق من القصيدة إلا بيتاً أو بيتين .

إبراهيم : نعم ولذلك فإنه لا يروى لي من الشعر إلا البيت أو البيتان .

جعفر : هل تحرص على قول الشعر ؟

إبراهيم : إني كُتِبَ أديب ولا أزعجني أني شاعر ولكن قد يقع لي بعض الشعر مصادفة أثناء كتابتي بعض الرسائل .

جعفر : اذكر لي نموذجاً من ذلك .

إبراهيم : كتبت مرة رسالة إلى أحد أصدقائي قلت فيها :

ولكن الجواد أبا هشام وفي العهد مأمون الغيب

ولم أكن أقصد أن أنظم ذلك شعراً ولكنه أصبح بيتاً مستقيم الوزن .

جعفر : إذن قد عجل الخزاعي الشاعر على حق إذ يقول :

لو تكسب إبراهيم بن العباس بالشعر لتركتنا في غير شيء .

إبراهيم : ما الذي سمع من شعري حتى قال ما قال ؟

جعفر : لقد أنشدته قولك :

إن امرأً حسن بمسروفه عني لمبذول له عذري

ما أبا بالرافغ في عروفه إن كان لا يرغب في شكري

إبراهيم : إني لأشكره على حسن ظنه .

جعفر : ولقد قرأت لك رسالة تشفع فيها لبعض

أصدقائك وتقول فيها : إن فلاناً ممن يذكرو شكره ويحسن ذكره

وبعني أمره ، والصنعة عنده واجدة موضعها وسالكة به طريقها :

وأفضل ما يأتيه ذو الدين والنجسى

إصابة شكر لم يضع معه أجر

إبراهيم : إن العبارة الأخيرة في هذه الرسالة بيت شعر ولكني لم

أقصد نظمه وإنما ورد عفواً على لساني فجري به قلبي .

جعفر : حقاً إنك لشاعر مطبوع ولو تقصدت نظم الشعر

لأنظمت القصائد الطوال ولكنك اخترت الكتابة .

إبراهيم : هذا حسن ظن منك .

جعفر : والآن أرجو أن تسمح لي بالخروج وسنلتقي في

مجلس المتوكل على الله أمير المؤمنين . استأذن (خرج) .

(يدخل خادم ويقول)





الخدام : إن أبا العناء بالباب .

إبراهيم : ائذن له فليدخل (يدخل أبو العناء) .

أبو العناء : السلام عليك يا إبراهيم ورحمة الله وبركاته .

إبراهيم : وعليك السلام يا أبا العناء ومرحباً بك .

أبو العناء : لقد اشتقت إليك فجئت لزيارتك وأرجو أن

لا أشغلك عن شيء .

إبراهيم : أهلاً وسهلاً بك ، وإذا سمحت لي فإني مكلف بتحضير

رسالة لأمير المؤمنين المتوكل على الله وسأخذها إليه بعد قليل فاسمح لي

بأن أكتبها ثم أحررها وسأخرج سوياً إلى مجلس أمير المؤمنين المتوكل .

(إبراهيم يقرب دواة وقلماً من اليوس ويبريه ويحسن بريه وقطعه ثم

يبدأ الكتابة - تسقط نقطة كبيرة من الحبر على الورق - مسح إبراهيم

النقطة بكفه) .

أبو العناء : عجباً لك يا إبراهيم مع ظرفك ولطفك

تمسح الحبر بكفك .

إبراهيم : لا تعجب يا أبا العناء فلإنا فرع والفر أصل ومن هذا

الحبر الأسود جاءت هذه الثياب البيض والأصل أحوج إلى المراجعة من

الفرع .

أبو العناء : لك حق فيما قلت :

(بعد تفكير)

إبراهيم :

إذا ما الفكر ولد حسن لفظ

وأسلمه الوجود إلى العيان

ووشاه فتغنه أديب

فصيح في المجال بلا لسان

تري حلل البيان منشرات

تجلى بينها صور المعاني

أبو العناء : صدقت يا إبراهيم .

(يستمر إبراهيم في الكتابة وبعد أن ينتهي منها يخاطب أبا العناء) .

أبو العناء : هيا بنا إلى مجلس أمير المؤمنين فلعلنا

نتتظرن الآن .

منظر آخر

(المتوكل في مجلسه وعنده أحمد بن يحيى الملقب بثعلب وجعفر بن

رفعة الثغفي) .

(إبراهيم وأبو العناء يصلان إلى الباب ويخاطبان الخاجب) .

إبراهيم وأبو العناء : استأذن لنا على أمير المؤمنين المتوكل على الله

جعفر .

الخاجب : إن عنده أحمد بن يحيى الملقب بثعلب وجعفر بن رفعة .

(يدخل الخاجب)

الخاجب : إن سيدي إبراهيم بن العباس الصوفي ، وأبا العناء

الشاعر يطلبان الإذن بالدخول .

المتوكل : ائذن لهما .

الخاجب : تفضلاً بالدخول .

(يدخلان)

أبو العناء وإبراهيم : السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .

المتوكل : وعليكما السلام ورحمة الله - اجلسا .

(يجلسان)

المتوكل : إيه يا إبراهيم هل أعددت الرسالة ؟

إبراهيم : نعم يا سيدي ، ها هي ذي معي (تخرج الرسالة) .

المتوكل : أقرأها علي :

(يقرأ إبراهيم)

إبراهيم : (وإن عند أمير المؤمنين في أمرك آتاة فإن لم تغن عجب

بعدها وعيداً فإن لم يغن أغنت عزائه) .

المتوكل : أعد قراءة ما كتبت .

(يعيد إبراهيم قراءة الفقرة غاطباً ثعلب)

المتوكل : ماذا ترى يا أبا العباس أليس في هذه العبارة

بيت شعر ؟

ثعلب : بلى يا سيدي إنه في قوله :

أناة قرآن لم تغن عقيب بعدها

وعيداً قرآن لم يغن أغث عزائه

أبو العباس : نعم إنه بيت شعر.

المتوكل : هل قصدت أن تنظمه شعراً ؟

إبراهيم : كلا يا سيدي وإنما وقع لي ذلك عفواً بدون قصد .

المتوكل : إن الشعر يجري على لسانك دون قصد وقد

لاحظت ذلك في كثير من رسائلك .

ثعلب : يا أمير المؤمنين إن إبراهيم بن العباس أشعر القدرين وإني ما

رويت شعر أحد منهم غيره .

المتوكل : وماذا رويت من شعره ؟

ثعلب : إني لأستحسن من شعره هذه الأبيات :

لنا إسل كوم يقضي بها القضا

ويقتز عنها أرضها وحشاؤها

فمن دوسها أن تشاح دساؤها

ومن دوسها أن تشاح دساؤها

حتى وفري قالوت دون فراقها

وأمر خطب يوم حق فساؤها

المتوكل : لقد أحسن والله قرآن العربي ليحمي إبله

بدمه ولكنه يذبح إبله إكراماً لضيفه .

جعفر بن رقعة : إذا سمع لي سيدي أمير المؤمنين فلأنه استمعت إلى

شعر لإبراهيم في مدحه وإن أدان لي أنشدته إياه .

المتوكل : قل يا جعفر بن رقعة .

جعفر (يتناول العود ويغني) :

ما واحد من واحد أول بفضل أو مسرود

ممن أبوه وحده بين الخلافة والنسوة

المتوكل : لقد أحسن أبو إسحاق في شعره وأحسنه يابن

رقعة في غنائك .

ثعلب : لقد نظم إبراهيم أبياتاً سرقها الشعراء بعده .

المتوكل : وما هي ؟

ثعلب : لقد قال إبراهيم :

لفضل من سهل يد تقاصر عنها اللؤلؤ

فباطنها للندى وظاهرها للقلل

وسطتها للندى وسطتها للقلل

من الفضل أمواله ومن سائله الأمل

المتوكل : ومن سرقها وماذا قال ؟

ثعلب : لقد سرقها ابن الرومي فقال :

أصبحت بين خصاصة وعجمل

والره بينها يموت هزبلا

فامدد إليّ يداً تعود بطنها

بذل السؤال وظهرها الثقبلا

المتوكل : لقد أحسن ابن الرومي .

أبو العباس : نعم لقد أحسن ابن الرومي ولكن إبراهيم أن يالغى في

كلمات أربع فقط بينما احتاج ابن الرومي إلى سبع كلمات فابن الرومي

يقول :

فامدد إليّ يداً تعود بطنها

بذل التوال وظهرها الثقبلا

بينه قال إبراهيم :

فباطنها للندى وظاهرها للقلل



ومع ذلك فإن الرومي لم يأت بالعنى الذي قاله إبراهيم في البيت التالي :

وسطنها للفقى وسطونها للأجل
المتوكل : حقاً لقد أوجز إبراهيم في كلمات قليلة معاني كثيرة .

ثعلب : وقد سرق معنى إبراهيم شاعراً آخر يقال له ابن دريد
قدح رجلاً من البصرة يسمى ابن يحيى فقال :

يا من يقبل كف كل مخرق
هذا ابن يحيى ليس بالخرق
قبل أنامله فلن أناملأ
لكنهن مفتاح الأرزاق

المتوكل : ليس هذا شيء فقد قصر في المعنى وأطال في اللفظ .

أبو العيناء : وهو مع ذلك قد قال :
قبل أنامله فلن أناملأ
فهل هي غلاب إذن ؟

المتوكل : إنك ناقد حصيف يا أبا العيناء مثل ما أنت
شاعر ظريف .



ثعلب : وإن لإبراهيم بيتان في وصف الليل كان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر يعجب بها أيها إعجاب ويقول ما أعلم لتقديم ولا لهدت في قصر الليل أحسن منها .

المتوكل : وما هذان البيتان ؟
ثعلب : هما قوله :

وليلة من الليالي الدهر
لم تلك غير شفق وفجر
المتوكل : لقد أبدع في وصف تلك الليلة وقصرها فهي
لم تكن إلا شفقاً وفجراً .

ثعلب : إن شاء أمير المؤمنين فيلزم إبراهيم أن يشدنا شيئاً من شعره .

المتوكل : أنشد يا إبراهيم
إبراهيم : سمعاً وطاعة :

(يبدأ في الإنشاد)

بفضي الأمور على بديته
وتسريه فكرته عواقبها
فيظل يصدرها ويوردتها
فيعم حاضرها وغائبا
وإذا كنت صعبة عظمته
فيها الرزية كان صاحبها
الغفل بها وقد رست
ولوت على الأيام جلالها
وعذبتها بالحق فاعتذلت
ووسعت داغها ورهبا
وإذا الخروب غلت بمثتها
رأياً تغلي به كتابها
رأياً إذا كنت الكيوف مضى
عزم به فلي مضارها

المتوكل : أحسنت يا إبراهيم .

ثعلب : ما أرق شعره وأحسن تقسيمه أنظر إلى قوله :

بفضي الأمور على بديته
وتسريه فكرته عواقبها
فيظل يصدرها ويوردتها
فيعم حاضرها وغائبا

وقوله :

وعذبها بالحق فاعتذلت ووسعت راعبها وراهبها

إن هذا الشعر لما يطرب له السمع وتنثي به الفؤاد .

المتوكل : زدنا من شعرك يا إبراهيم .

إبراهيم :

فلو كان للشكر شخص يمين

إذا ما نأمله الناظر

لكنه لك حتى نراه

فتعلم أي أسرى شاكر

المتوكل : لله درك يا أبا إسحاق : ماذا أعددت للاحتيال

بتتصيب أولياء العهد غداً في قصر العروس (قرب التل المظل على بغداد) .

إبراهيم : لقد أعددت قصيدتين :

المتوكل : إن شئت سمعناها الآن وإن شئت أجلنا ذلك

إلى غد حيث يقام الاحتفال .

إبراهيم : سأقدم بعض أبيات من القصيدتين ثم سأمضي بين يديك غداً كاملتين .

المتوكل : حسناً فاسمعنا جزء من قصيدتك الأولى :

إبراهيم :

ولما بدا جعفر في الخميس

بين المظلل وبين العروس

بدا لأباً بيها حلة

أزبلت بها طالعات النحوس

ولما بدا بين أحبابه

ولاء العهد وعز النفوس

بدا قرأ بين القاره

وخصاً مكللة بالشموس

لإيقاد نار وإطفائها

ويوم تيق ويوم عيوس

المتوكل : أحسنت فاسمعنا جزء من قصيدتك الأخرى .

إبراهيم :

أضحت عرى الإسلام وهي منوطة

بالنصر والإعزاز والتأييد

بخليفة من هاشم وثلاثة

حفظوا الخلافة من ولاء عهود

فمر توافقت حولك القاره

فحفن مطلع سعده بعود

رفعهم الأيام وارتفعت بهم

فموا بناكرم أنفس وجدود

المتوكل : أحسنت يا إبراهيم وستراك غداً إن شاء الله .

منظر آخر

(تعلب وجعفر بن رقة وأبو العناء جالسين في مجلس) .

جعفر بن رقة : لقد مرت اليوم بالسوق فوجدت هارون بن محمد ابن عبد الملك بن الزيات مختلفاً مع ابن برد الحجاز .

تعلب : وماذا كان خلافها عليه ؟ .

جعفر : كان هارون الزيات يذكر محاسن أبيه وينشد شعره ويفضله ويقدمه على إبراهيم بن العباس وكان ابن برد ينكر ذلك ويفضل إبراهيم .

تعلب : اذهب إليها وقل لابن برد فليقل هارون إن كان لأبيك الزيات شعر مثل قول إبراهيم .

أد صار إذا هجته

وأب بر إذا ما قدرا

يعرف الأبعد إن أئرى ولا

يمرف الأدنى إذا ما اقتضرا

أبو العناء : بل قل له أن ينشد قول إبراهيم :

تلج السون يسومهم وترى هم

عن جار يتهم ازورار مناكب

وتراهم يسولهم وشغارهم

مستشرقين لراغب أو راهب

حامين أو قارين حيث لقيهم

هب العفلة ونهزة للراغب

وليفل له إن كان لابن الزيات مثل هذا الشعر فليذكره ويخاخر به وإلا فليقل من التطاول والافتخار بما ليس فيه طائل .

جعفر : حقاً إن شعر العباس جميل ولقد أعجبتني وصفه لقومه بأنهم يكونون في انتظار القادمين عليهم فإن كانوا ضيوفاً أكرمهم وإن كانوا معادين صدوا عدوانهم



بقلم : زهير العلوف

الصهايات والحينات

- أنت خائن .

نظر إلى جدران المطبخ .. تأمل السقف .. أحسن بكأية
تغطي على قلبه .. سكاكين حادة تقطع شرايينه .. عيون
أطفاله الصغار تنتقل بينها .. الطاولة القديسة ، والكراسي
التي يجلس عليها .. أولاده زادت الصورة في نفسه حلقة
وأسى .

نظر إليها .. ثم إلى نفسه .. يداه تشوهان يحمل محفظته .. وسلة
الحضار .. وقف متجمداً أمامها .. العروق في عنقها تنتفض ..
الأحاديد تغطي جبهتها ، والزرقة تسكن حول عينيها .

« حقير وخائن » .

نسي نفسه واقفاً أمامها ، كان تلميذاً بليداً .. صخرة صماء .. كلياً
يبيضس بذنبه .. قطعة من الفولاذ ما عاد يهيمها الطرق .. غاصت عيناه
في عينيها .. امتصت نظراته .. أحسن أن ضربات عصي كثيرة تنهش
جسده .. عيون أولاده تنهش أيضاً .. دار حول نفسه دورة كاملة ، تذكر
أنه ما زال يحمل محفظته .. هه يسميها محفظة ، هذه التي حولها
الزمن إلى رمادية .

اقرب من الزاوية .. رماها بهدوء ، ثم رمى سلة الحضار إلى
جانها .. تطايرت الحضار هنا وهناك .. أراد أن يمد يده ليجمعها ..
وقع على الأرض .. نظر حوله بأسى .. رمق أولاده .. ينظرون إليه

بجمود .. اعتمد على نفسه ، ثم على الجدار .. نهض يبطه ولكنه توقف
على قدميه تماماً .. أسند ظهره إلى الحائط .. أحسن أن الصباح اليوم
خافت ، مسح عينيه بجمع يمينه ، كأن اللطبخ تقترب جدرانه منه ..
فأغمض عينه .

بحث عن كرسي حوله .. جذب كرسيّاً أعرج .. أسنده إلى الجدار
وجلس .. السيوف تصل في دماغه .. أصوات دبابات وطائرات
وقنايل نابالم .. تمسلاً المكان .. قال لنفسه : ليم لا ألبس لباس
الحيدان في هذه الدار ؟

وشت شفتاه بانسامة .. أعجبته الصورة .. تنهد بعد ذلك ، ولكنه
استمر في صمته .. عيناه تستمران في الانساع أيضاً .. صدرها يفسق
كصدر دجاجة .. أصابعها تنكش بعصية غريبة .. أراد أن يبكي ..
بصرخ .. ينجح .. ولكنه فضل الصمت .

عيون أولاده تنتقل بينها تنظر الانقراض .. النهاية لديهم
معروفة .. هجوم الأب بالأيدي والقباييب والصحون وبألواح الزجاج
أيضاً .. دفاع الأم وصمودها .. أصابعها بالدوار والاعياء .. استسلام
الأب في آخر الأمر للبحث عن الأطباء وزجاجات المعطر ، وكل الكليات
القليلة التي يعرفها في اللاتينة واللطف .. ورجاء الجيران بالانصراف .
الأولاد حفظوا كل هذه الخطوات .. والأب حفظها جيداً .. رأى
اليوم أن يصل إلى النهاية مباشرة .. لا ضرورة للمقدمات .. النتيجة هي



والصرخ .. كانت عيوناً تشع وتنسع أيضاً .. أما عيون الأطلال
لما زالت حيادية .. إلا أنها اختلطت بمزيج من الخوف والأسى ..
وقف وقفة حيادية .. يجمع الكلمات التطايرة من قلبها .. بحث عن
سبب هذه الثورة المبتونة .. توهمت أنه غازل جاريتها الجميلة ..
سأل نفسه إن كان قد نظر حقاً فلم يجد جواباً .. ولكنه ابتسم عندما قارن
بينها وبين زوجته ..

المرأة مسجاة فوق السرير .. لا تتحرك .. تتنفس بطريقة ميكية
مضحكة .. عيون الجيران مفروشة على وجهها .. الأفواه تردد ما حفظت
من الآيات ..
غادر المنزل .. ولكنه لم يذهب إلى الطيب هذه المرة ، بل رأى نفسه
في طريق آخر ..

كانت الصخرة تعلل على البحر .. عالية وسوداء .. تنظر إليها برؤ
ومحبة .. أحس أنها صديقتها الوحيدة .. أسنانها الشاتنة الحادة
تسلقها بعزم وصعوبة .. وصل إلى قلبها .. رفع رأسه .. القصر
هرب من الساء .. الظلمة تنعكس على صفحة البحر ، ضيقت في
القلوب رهبة .. أغمر عينه .. أفواه الميتان مفتوحة حوله ..
أحس بارتعاض في كل أعضائه .. أشار إليها بالاقتراب .. فتح عينه عندما
كانت الدفعة تغطبها .. أحس بالاختناق ثم قال لنفسه :
« عليّ أن أبحث عن حل .. طُلّا أن لكل مسرحية نهاية .. فلا أبحث
عن نفسي داخل هذا البحر .. »

السلامة .. ليست الآن اجتنباً للفضيحة والخسارة ..

قرأت أفكاره في عييه ، فقالت :

— أنت لست قدراً فقط ..

غيب عييه .. ابتسم ابتسامة أخرى ، ثم قال ببرود :

— وعلى لديك زيادة على هذه الصفات يا عزيزي ؟

— نعم انت بليد أيضاً !

وسّع ابتسامته قليلاً .. كانت تحوي على قبيلة عيشة ساليارود ..
أحس أن صدام الأمان بين فكيه .. ولكنه لن ينجسها .. اعتصر
جبهته .. ابتلعت تهديده الابتسامة .. أحس أن وجهه قد ضيع لونه ..
شعر باليأس والهانة .. نظر إلى وجهها : ما زالت عيناها في اتساع
مستمر .. وما زالت عروقه يدها تنقبض وتنقبض .. وعيون أولادها عيون
تمثيل فقدت ألوانها ولمعائها .. غلق قائلاً :
— شكراً يا عزيزي ..

لم يقصد أن يقتلع بكلمته هذه صدام أمانها .. لم يتذكر أن صدامها
قابل لمغادرة القبيلة في أية لحظة .. نظر إلى الصحنون المتطايرة ، وإلى
الزجاج المتناثر في أرض المطبخ ، وإلى بقايا الطعام التي علقت بالجدران
القدرة .. ثم نظر إلى عيون أولاده من جديد فلم يفهم أي شيء .. مد
يده إلى ظهر كفه لينقبض قطعة زجاج .. ثم ابتسم ابتسامة أخرى ..
جدران المطبخ قبيلة بلا صدام أيضاً .. كلها تردد الشنائم الفاجرة



* محمد علي السنوسي *



مطالعات...
في الكتب

والطير .. وجدت السنوسي

بقلم : عبد الرحمن محمد الرفاعي

وكيفية نظرت إلى الحياة وتفسيره لها ، وطبيعة الفعالات .. فالذاتية هي أساس تكوين الأسلوب .. والأديب حين يعبر عن شخصيته تعبيراً صادقاً يصف تجاربها ، وتزعجتها ، ومزاجها ، وطريقة الصالحا بالحياة .. وهذا هو بنية القارئ من الأدب .

فالشاعر إذا قرأت شعره فإنك تجد فيه : (مزاج هذا الشاعر ، وطبعه وخلقه ، ومذهبه في الحياة ، ومستوى ثقافته ، وظل روحه ، وتفسيره للحياة ، تعرف نوع كلياته ، وعمله ، وطريقة تصويره ، تجد شخصية الشاعر أمامك حقيقة) .

وهذا ما كنت أرحل لأجله في كل ديوان يصدر لشاعرنا الأستاذ **محمد علي السنوسي** .. نعم لقد رحلت كثيراً ، وتعددت رحلاتي مع الشيخ الشاب ، والأديب المرح ، والشاعر الفحل ، والأب والأخ نغماً ...

من المعروف أن الشعر فن جيل ، وهذا المجال في الشعر ينبعث وينشأ : « ... عن الناحية الوجدانية للنفس الإنسانية .. فيعبر الشاعر بلغته الكلامية الموسيقية عن أنواع الانفعال والمواقف ، والانفعال قوة وجدانية ، وبهذا الوجدان وهذه العاطفة التي يستند بها الفكر والخيال التي تحتاجه العاطفة (الانفعال) للتعبير عنها ، وإظهار ما تحسه في نفسها ، تجد الشاعر بل تجد شخصيته ماثلة أمامك ، تحسها وتلمسها في أي نص يصدر عنه ، وهذه الشخصية تتبين مظاهرها المختلفة في الأسلوب الذي يقولون عنه : إن الأسلوب هو الأديب ، والأديب هو الأسلوب » .

وهذا الأسلوب هو : الأنفاظ والتركيب والصور البسيطة .. والأسلوب لا يمكن أن يكون صورة لصاحبه ، صادقاً في تصويرها ، إلا إذا استمدت الأديب من نفسه ، وصاغه بلغته وعباراته ، دون تقليد لسواه ، لأن كل أسلوب صورة خاصة لصاحبه ، تبين طريقة تفكيره ،

صراع الفكر الناضج ، النادم في حرقه ، الموقن في شوعة العاروف ،
لم طار عصفور شباسي ؟

جلل الشيب عذارى وعسى الليل نهاري
وذوت نظرة روحى وخبت جذوة ناري

اسودى اصبح مبيضا وطرفى فى الغمار

وهنا تبدأ حدة الصراع العنيف حيناً تنفجر من الوجدان الحقيقية
الذرة، المؤلة الحزينة:

مضى عمري أباهد بشراً في شأرك

★ ★ ★

... 134

جداري بات منقضا و جهري کساري
تسمي غير رفاق و مائي غير جاري

三 古 青

ونقصي حدة الصراع في هدوئها لتنتألي عندما يتفجر بركان التعذيب
واللوم النفسي على التريط والغفلة ، والعمادي في الضوى ، وتساوي النهاية
المؤلمة ... اللوم على صياغ الوقت من دون حين ، ضياعه في الهوى ،
ضياعه في الضياع ، وماضي في حسانه ولا رحمة ... فنهاية الغفلة
حسرة ...

كنت أهو وعبد الد
ياخذ اللؤلؤ من كفي
كنت مسحوراً ومأسوراً
وأظن الدهر لا يقوى
سائراً في ضجة الموج

金 金 金

ومعظمي التعنيف واليوم ، عندما تشتعل نار الحسرة لنادية حفظها ،
مستغثة .. صارخة في حرقه والوعة :

يا شيايي آه لو عدت ولو بعض نهاري

٩٠

لم أكن أعرف مقدارك في حجر اغتراري
سوف أفديك إذا عدت بماسي ونضاري

☆☆☆

ومضى السنوسي الوجدان في رسم شخصية السنوسي المتلهف للذكرى
لصباة والفناء... فهنا يرى السنوسي الداخل، يرى ما يدور في

الأعمى ، ترى الأمل ، ترى السوسى الشيخ المتعطل ذو السوفار
بنادي في حجرة ، يستغيث في حرفة ، يستجدي في ضعف ، يستجدي
الحياة ، بناشدها بأعلى ما تملك الحياة بأن تعيد إليه فقيداً غالياً ، غالياً إلى
نفسه ، إلى روحه العطشى للذكراء الطامشة للبقاء .

أعدي فذلك النفس ذكرى صباية

وأحلام وجد كالسحيق عذاب

وهنا نجد الشاعر حقيقة لا تعطينا مادية الحياة ولا ملقها الأحياء ،
نجد الشاعر اسماً ومعنى ، الوجد في وجدانه للثياب الخبز في صدق ،
صدق العاطفة التي تصور لك حقيقة ما تحسه دون زيف أو مراء ، هذا
الصدق الذي تحسه وتلمسه في هذه الصور المتلاحقة المتطردة .

فولي فساد النفس عطشى إلى قسم

يحدثني عن سحرها وعذابي

عن السهر في ليلي عن النار في دمي

عن البذر يحمي عيشتي وذهابي

عن الوعد لم يصدق عن السعد لم يرق

عن الكأس لم تنفخ بغير شراب

عن الشوق فمتأساً عن ساعم

عن الليل جمعاً والتجسوم كواب

عن الدل ريباً عن السحر قاتلاً

عن اللفظ حلواً واللفظ سراب

ونعطي جمال التصوير وروعة في رسم شخصية السوسى الشاعر .
الذي مثلاً لميتاً أن تراها ، أن تحبها وتلمسها حتى وجدناها أخيراً ،
وجدنا الشخصية التي يعصرها الحزن والألم ، الشخصية التي يغلفها
الأسى ، ويكبها في حرفة اليأس القنوط :

طواها الأسى واليأس حتى كأنها

بقايا حطام من دعاء شهاب

فما لك يا نفس تعيين ذاكرها

وتورين من جمر الحزن خواهي

وهكذا كلما توغلنا في نفحات السوسى وجدنا ملامح الشخصية
تظهر لنا أكثر فأكثر ، فتد إذا أردنا أن نحدد إطاراً عاماً لهذه
الشخصية كما ظهرت في هذا الديوان ، فإننا نجد أن ملامح
هذا الإطار هو : الأسى العميق على الماضي ، على الشباب الذي
طار طرباً لا رجوع بعده ، الأسى على ذكرى الصباية ، على الهوى وغرام
الشباب ، ثم الحزن الدامي نتيجة للوحنة المظلمة التي نجسها الشاعر في
داخله ، كيف كان ؟ وكيف أصبح ؟ الوحشة التي اظلمت في جوانبه ،
وجعلته لم يعد يرى ما حوله ، ولا النهاية التي يريدنا :

كيف أرسو ولم يسلح بعبد

مسرسي ولا أشرقعت لعيني منائي

وهياري صباية صاحب اللون

ونلي كأنه قلب كافير

وتبلغ الوحشة في نفس الشاعر مدهاشاً حيناً تنفجر إلى يأس فائض
تحيف ، يأس يُكي الشاعر ويدله ، يروعه في النهاية ، ويقصر عزيمه
ليفقدته عن الخوض في بحر الحياة ، التي تتلشى محل أمانيها ورغباتها في
عيني الشاعر .

يظهر هذا اليأس عندما يصبح داخل الشاعر صارخاً : وأماي مدى
بعيد طويل ماله أول ولا فيه آخر ، ولأن الشاعر قد يشك عن القول بما
في الأرض من كثر في مصادر أخرى . كما أنه قد يشك من الأرض وما
فيها (وما تحت الثرى) :

وحياي ممسوحة لا بصيص

لتجم ولا جناح لظائر

وهنا تنفجر العاطفة المدهوشة في دهر ، الحائرة في قلق لتعلن في
صدق ، الصدق الوجداني الذي لا يعرف الحجل ، أو المغالطة تعلن
هذه الدهشة وأخيرة والخوف والقلق من الجهول :

ولحظي مدهوشة ترمق

الجهول حيرانة وقذبي مغامر

وحياي تدور حول رؤاها

والرؤى لعبة على كف ساحر

وإذا أردنا أن نجد مصدراً لهذا الخوف والخيرة والقلق النفسي عند
الشاعر نجد أنها تنبعث من الوحشة التي حسها في نفسه ، الوحشة التي
تنبع من وجدان الشاعر الذي تكتنفه الظلمة التي سببها حزن الشاعر
وأساء وياسه ، وهذه الظلمة ، وإن حاول الشاعر أن يطرده هذه الفكرة
من نفسه ، ومحاولة قناعتها من أن ما تحسه وهم وأنها تعيش في نسو
ساعق قوي :

أنا والسدجى يلف كيائي

ورغم أنك الدجى أرى نور باهر

وأرى - أيضاً - أن من أهم مصادر هذه الوحشة والظلمة عند
الشاعر ، قلقه النفسي ، وخوفه من النهاية المؤلمة ، والانعزاف الخيف
الحزن ، من الفساد الأخلاقي ، والتباعد الاجتماعي المؤسف ، من السعار
الذي يوشك أن يلف ويغ ، نتيجة لما وصلت إليه هذه الحضارة المتأخرة
العاطفة ، من هذا الصخب المدمر ... فالشاعر يحس إن خاف ،
فأسباب الخوف موجودة :

عالم صاحب دنيا عتيقة
ميكانيكية الحياة ههنا
وازدحام ألس ذهبت
كان الحياة صمًا كفيفه
كهريتنا سلوكها بلوك
أحرق الروح والعمالي اللطيفة
كل شيء فيها تعقد
حق الأكل والشرب والتحابا الخفيفة
فئة تستحق السكية
سحقاً يفقد المرء نفسه وأليفه
ولغات يتقد أئدى الأحاسيس
وأهل الشاعر الصوفية
قرينتنا وساعدتنا نفوساً
وجسوماً قوية وضعيفة
ليس في طيها الخدود ولا العرق
ولا رقة الشعور الشفيفة

وهذا الخوف والقلق النفسي والتدهول لدى الشاعر وصل - كما
أراه - نتيجة لصدمة عتيقة وقع فيها الشاعر ، إثر الانقلاب الخيوي ،
الذي قلب الحياة للشاعر ، لتغير الحياة نتيجة لطغيان الخطيئة
المادية . . . فالشاعر كان يحيا حياة روحية طابعتها هندوه السريف ،
وجمال الطبيعة يجمعها رباط الأخاء ، ويعتبرا الحب الصادق التابع من
النور الإلهي غذاء الأرواح ، إذ كانت نشأة الشاعر نشأة دينية محضة ،
فالأسرة ، أسرة قضاء شرعي ، ومحيطه محيط ثق وزهد ، ومن هذا تبع ،
تغذي الوجدان ، وغلبت العاطفة ، ولما تغيرت الحياة وأصبح داخل
الشاعر لا يحس ولا يرى ما ألفه في الخارج ، فحل ، واستوحش وخالف
وقلق . . . فهو حزين لأن داخله يحترق ويتعذب ، مستوحش لأن صفة
داخله انطلعت عن خارجه ، فاختار كيف يوفق بين تعاضين ، مادي
فائق ، وروحي متبر :

بنا لقلبي من وحشة مزقت

قلبي وهدت ألفانه ورقعه

أنا وحدي أعيش أم أنا

في دنيا من الناس جلوة ولطيفة

حشرت يا نفس فيك فائس دريا

وعيش أحلامك الفيلسوفه

ونظي الخيرة مشتعلة في وجدان الشاعر ، وفي قلبه وفكره وفي
مشاعره وأحاسيسه ، ويزيد البأس حزناً حتى تبيض عيناه ، وينبش

جسده ، وتكاد تذبل روحه ، حتى يتدارك وينقد نفسه ، ويتشل جسده ،
قبل أن يذبل ويموت ، ينتشل نفسه لأنه يجد ضالته ، يجد الحل الذي
يرتضيه داخله ويعشقه ، يجد الوفاق ، الذي يهني الحروب بين داخله
وخارجه ، ليعيش الأصل في الحياة ، قبل أن يطير من يده كما طار
عصفور قلبه ، فيندم ندم الموت يجد ضالته عندما يصرخ :

لا لن أضل فقد وجدت سكينتي

في السدين وهو دليل كل لطيف

فالسدين ظل الله ملكونه

والله بالإنسان خير رؤوف

من قال إن السدين أقيون السوي

فهو الشقي بعقله اعطوف

وهذه الرحمة الدينية للشاعر تفسر لنا جانب خطير في هذه
الشخصية ، كاد يقضي عليه لولا أن من الله بعمعة من عنده ، هذا
الجناب هو القصاص في شخصية الشاعر ، بين داخله وخارجه كما رأينا
أنفاً ، هذا الانتقام . . . الذي جعله يعيش حزناً . . . يائساً ، تنكها
حائراً ، يائساً ولا هدف ، ناظرًا ، ولا رؤيا ؟
اختلطت الأصوات عليه فأصبح لا يميز بين جميلها وقبيحها :

كيف أرسو ولم يطلع بعد

مرساي ولا أشرقت لعيني منائر

ولم يمدى يدي فوسل

ماليه أول ولا فيه آخر

ماليه مسوحة لا يحس

لنجم ولا جناح لسطائر

وخاطي مدهوشة تروق

المجهول حيرانة وقلبي مغامر

وخياي تساور حول رؤاهما

والرؤى لعبة على كف ساحر

وإذا نحن حاولنا أن نبحت عن سبب هذا الانتقام الذي حصل في
شخصية الشاعر نجد أن من أهم الأسباب . . . هو محاولة الشاعر إرضاء
خارجه ، الذي يحسه ويلمسه ، ويراه ثم إرضاء من حوله . . . إرضاء
واقعه الاجتماعي ، الذي طرأ عليه . . . في الوقت الذي هو غير مقتنع من
داخله بما عمله . . . حاول أن يرضي قيم عصره المادي - بما شاهدناه في
دواوينه السابقة - بغير ما ألفه واقعه الداخلي فلم يفلح ، أصبر ، فشلم ،
ضغط على داخله فجمحت عواطفه ، وتغيرت مشاعره وحقت وجدانه
الذي ، فقد أكثر على داخله ليرضي خارجه ، فأعلن داخله الحرب على

خارجة ، فنشأ الصراع العنيف الذي أوجد الحزن الأسمى ، والسوحة المظلمة ، والبأس في النهاية .

وهنا نجد الشاعر أيضاً ، كما وجدناه سابقاً ، مجده على خلاف ما وجدناه ، مجده هادئ في رضى ، قائماً في غنى ، مؤثماً يرجعته ، منصرفاً لما نشأ عليه في قوة ، قوة الحق الصامد أمام الزوابع التي سرعان ما تنتهي ولتلاشي أمام قوة الحق الصاربة :

كتبه الله في حياتي ورزقي

فتحني بها فلسفات العباد

أنا أمنت بالذي خلق الكون

وما فيه من هدى أو قساد

ولغني مع الشاعر ، فوجد الشاعر أكثر ، نجد الإنسان المؤمن عبق الإنسان ، المؤمن بأحب شعراً ، والأخاء الإنساني رباطاً ، الإنسان الخير ، الممقت للشر ، العاشق للوفاء والإخلاص ، الإنسان السلام ، لا الإنسان المدفع !

أيها الإنسان في كل مكان

يا تحيي قلباً ولباً وكيان

حيك الأوطان لا يعبك عن

حيك الإنسان في آلي لسان

اجعل أحب شعراً شابتاً

واترع عنك طبع الحيوان

وليتبر قلبك خيراً ولتتفر

بالتدى من ساعدك الراحاتان

حطيم المدفع لا تحمله ثم حاور

ري بفكر ويبان

ولشكر مفتاح خير وهدي

ولشكر مغلاق شرود حسان

لقد حققنا الكسب بل وأكثر من الكسب من رحلتنا مع الشاعر ، فأبنا تحولنا وجدنا الشاعر ، وجدنا لمساته في كل زاوية ، في أحزانه ، في أساه ، في وحشته ، في قلقه وحيرته ، دهشته وقهوله في لغزه ، ثم في هدوئه وسكينة ، في ثورته ، في نصرتة لعليدته ، لجده في وعظه ، في نصحه ، نصح من خير الحياة فصرف جميلها وقبحها ، عرف خيرها وشرها ، لجده في إنسانيته ، في حبه وأخاه ، نجد صدق السوفاق الذي حصل بين داخل وخارج شخصية الشاعر بعد أن وجد فضائه ، ورضي بواقعه . هذا الواقع نجده أعبراً في إشراقه الوجدان الذي كادت الظلمة تودي به ، نجد في النفس القوية ، في إعجاب القوي ، لكنه إعجاب الشيخ الذي قنع من الدنيا وعزف عن لذاتها ، شيخ صحيح ، لكنه شاب في عاطفته ، شاب قلبه ، ناضج عقله ، لداً نراه ، يهوى في عسوف ، ويعشق في حذر ، ويعجب ولكنه لا يبادي في إعجابه .

وسرعان ما يقلب الخوف والحذر عشق الشاعر للعبون إلى الأرض التي أليمت هذه العبون وهذا يعطينا كبراً آخر ننتظر به في شخصية الشاعر هو عشقه للبيئة العربية الأصيلة ، البيئة التي تغلف حبها في قلبه

واحتلظ بلعمه ، فهو لم يتنكر لها ولم يلسها ، فهي معه أينما سار وزحل :

صحراؤنا العذراء لا ينموا بها

إلا أغرى العذري والحسن الأسمى

تلد الكواكب والشعوس ويلقي

الشاعر الفنان فيها والنبي

عطبات منظرها والشرق وجهها

يهدئ السوء والجمال العزلي

تحت فكل ثبة من أرضها

حرم وكل شرى عليها يثري

وبعد هذه العجالة التي مرورنا بها سريعاً في ديوان الشاعر واستطعنا من خلالها أن نوجد إطاراً عاماً لهذه الشخصية ، التي طالت بحثنا ونقشنا عنها ، وقد وجدنا أن هذا الإطار ، كما ظهر في السديوان - بتجسد كما سبق - في الحزن والأسى ، وأحياناً اليأس ، وحياناً الوحشة المظلمة ، ثم الحيرة والخوف ثم القلق النفسي ، . . . وأخيراً أهله والعشائرية والريضي والقناعة إلخ . . . هذا الإطار من أين كان يستمد غذاه ، بل وما عناصره . . .

إذا بحثنا فإننا نجد أن أول هذه العناصر العاطفة المؤلمة : عاطفة الأسمى والحسرة . التي سيطرت على نفس الشاعر وحملت على العكوف والتفكير في شأنه فهو حزين ، لأنه مهزوم ، أمام واقع المؤلم ، متحسر حزين ، أمام حاضره المزم ، مهزوم أمام الأيام التي سلبته ولتزعته منه أغل وأجل شيء في حياة المرء ، الدهر الذي سلبه شبابه ، فاشاعره هنا شاكلي ، يرتي ماضيه ، يرتي أيامه المخلوة ، أيام الشباب ، أيامه التي ضاعت دون فائدة ، زرع ولم يجهد لأن الثمرة التي زرعها - كما يقول - غير صالحة للبذر . وهذه العاطفة الحزينة المتحسرة ، أسقطت الشاعر بأيات رقيقة مؤثرة حشدت : الخوف والفرح ، والحزن والآلم والخير حيث الخدر الذي لا ينجلي من القدر . . .

هذه العالي السلبية التي اتخذتها العاطفة الشجيرة في نفس الشاعر ، هي الأفكار التي سادت هذه العاطفة كما مر شرح كل مذب في هذه . . . وتلاحظ أيضاً أن هذه العاطفة الحزينة تبلغ الحزن بها والأسى أحياناً إلى درجة تعجز عن تصوير ما تحسه ، فتأخر تلجأ إلى الخيال لتصوير هذه الحسرة والأسى ، فتأتي بقيمة التصوير المعالي الحزينة والحسرة مزهزات الشباب - يا حسرة - نهاوت وذبلت ، وتضارة الروح قد حيث والشوة الضمحللت ، والهمس الطرف ، والسوء الصباح ، ظلام لا نور ، موت محقق ويبلغ الأسى والحسرة قمته في نفس الشاعر ، للخسارة الفادحة التي روعته في فتيده الذي ضاع ضبيع النظر في الصحاري الفاحشة :

يا شبيباً ضائع كالأ مطار في عرش القفار

دائرة المعارف

عقود
ن
س
غ

في الفقه المالكي (العبادات)

ب

البول :

الأبول في مذهب الإمام مالك تابعة لأجناس اللحوم بئائنية لتجاسبها وطهارتها ، فإيؤكل لحمه من الحيوانات بوله طاهر إلا أن يتناول التجاسات وما يحرم أكله فيبوله نجس يجب إزالته ، وتعاد الصلاة لمن صلى وثوبه أو جسده ملوث به ، كما تعاد من سائر التجاسات .

وقليله وكثيره سواء كباقي التجاسات ما عدا الدم خلافاً للشافعي وأبي حنيفة ، حيث يسوي الشافعي بين الدم وغيره من التجاسات في عدم العفو عنها .

ويعني أبو حنيفة عما كان قدر الدرهم من التجاسات على الثوب ، ويؤول الأطفال ذكوراً وإناً نجس عند مالك سواء أكلوا الطعام أم لم يأكلوا خلافاً لما عليه الشافعي من العفو عن بول الصبي الذي لم يأكل الطعام بخلاف بول الأنثى .

وقد روى مالك في موطنه حديثاً عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن بصبي فبال على ثوبه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فأتبعه إياه . الموطأ (١/ ١٢٨) ص ٤٣ ، ١٢٨ .

ت

ترك القراءة خلف الإمام :

يقول مالك : « الأمر عندنا أن يقرأ الرجل وراء الإمام فما لا يجهل فيه الإمام بالقراءة » ، ويترك القراءة فما يجهل فيه الإمام بالقراءة .

ل

إعادة الصلاة مع الإمام :

روى مالك في موطنه أن رجلاً من بني الدبيل اسمه محجن كان في مجلس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتته بالصلاة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلّى ثم رجع وعجن في مجلسه لم يصل معه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منعك أن تصلي مع الناس أهلي . »

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا جئت فصل مع الناس وإن كنت قد صليت » . الموطأ ، ج ١ ، ٢٣٢ .

وعلى هذا مذهب إمام دار الهجرة مالك رضي الله عنه أن الرجل إذا أت المسجد وكان قد صلى منفرداً وأقيمت الصلاة فليعدّها مع الإمام ، أما إذا كان قد أدها جماعة مع إمام آخر فليس عليه أن يعيدها ، ووافقه على هذا الشافعي وأبو حنيفة رضي الله عنهما ، أما الإمام أحمد بن حنبل فيرى الإعادة مع الإمام حتى ولو صلى جماعة قبل ذلك . وهذا ما عدا صلاة المغرب فقد قال مالك : « ولا أرى بأساً أن يصلي مع الإمام من كان صلى في بيته إلا صلاة المغرب فلو أنه أدها كانت شفعاً » .

كل ذلك فيما عدا المساجد الثلاثة المسجد الحرام ، ومسجد الرسول ، والمسجد الأقصى ، فمن وجد الجماعة تقدم فيها فليصل ولو كان قد أدها جماعة لفصل الصلاة فيها على غيرها .

واستدل على ذلك بحديث أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، التصرف من صلاة جهر فيها بالقراءة فقال: «هل قرأ معي منكم أحد أتقاً؟» .

فقال رجل: نعم، أنا يا رسول الله .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني أقول، من ألقى القرآن، فأتبى الناس عن القراءة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها جهر فيه بالقراءة حين سمعوا ذلك منه . الموطأ (١/١٦٠) .

وإذا كان الإمام ممن يسكت قبل قراءة الفاتحة، أو بعداً، فيجوز أن يقرأها المأموم، فذلك خير له من التفرغ للوسواس .

لإزالة طرا المصحف مع جهرا الإمام . الموطأ (١/١٦٠) .

النساء .



ثواب الجماعة :

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث رواه مالك عن نافع عن ابن عمر: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة» . الموطأ (١/٢٢٨) .

وقال أيضاً: «بيننا وبين المنافقين شهود العشاء والصبح» .

ولفضل صلاة الجماعة، وكثرة ما ورد فيها من أحاديث صحيحة، ذهب جماعة إلى أنها فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الساقين، ولكن لا بد من إقامتها .

وذهب البعض إلى أنها سنة مؤكدة، وهذا هو مشهور مذهب مالك .

ويُزاد الثواب على الجماعة في صلاة الصبح والعشاء، لما يترتب على حضورهما من معاناة، ومجاهدة للنفس، فلذا أكد عليهما الرسول صلى الله عليه وسلم .



الجبيرة :

الجبيرة: ما يوضع على العضو من عيدان الجريد أو نحوه كالخشب، وتطلق على كل ما يوضع على العضو الجريح أو للكسور من عصابة أو دواء .

ويرخص للمتوضئ أن يمسح عليه، إنه كان من أعضاء الوضوء، وكذلك يمسح عليه في الغسل إذا كان الغسل بصره، أو يؤخر الشفاء أو يزيد الألم، ولا بد من المسح مرة واحدة، إلا في الرأس، فإن نيس مسح جزء منها مسح، وإلا كانت كسائر الأعضاء الأخرى، ويصح المسح ولو تجاوزت الجبيرة على المرض لضرورة .

وإذا سقطت الجبيرة عن برء بطل المسح عليها، ووجب تطهير ما تحبها بالخل أو المسح، إن كان صاحب الجبيرة منطهرًا ويريد البقاء على طهارته، بشرط الإسراع بذلك وبغفر التآخير في حالة النسيان . وإن سقطت عن غير برء ردت إلى موضعها ومسح عليها .

أما إذا سقطت في الصلاة فيبطل، ويجزى في المسح عليها أو غسل العضو ومسحه ميا سيق .



حجامة الحرم :

الحجامة: نوع من العلاج عند العرب يكون يشق الجلد لإخراج بعض الدم .

ومعلوم أن الحرم يحج أو عمرة بمنع عليه الترفه بخلق شعر الرأس أو غيره، كما أنه يتجرد من الخيط والخيط من الثياب، ولا ينشطب إلى غير ذلك .

فلذا اضططر الحرم أن يحتمج لضرورة فخلق شعرًا من رأسه أو جسده مكان الحجامة فعليه فدية .

ويجوز مالك الحجامة للمحرم شكاً بما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد روى سليمان بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو حرم فوق رأسه وهو يومئذ يلحي الحجل (مكان بطريق مكة) الموطأ (٢/٢٣٩) . فإن اقتضت الحجامة إزالة شعر فالفدية لازمة لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٩٦) .

ويستوي شعر الرأس والخد في لزوم الفدية، وقد اتفق على ذلك مالك وأبو حنيفة والشافعي بينما يرى الظاهري أن لا فدية ما لم يخلق شعر الرأس .



خروج النساء إلى المساجد :

ينبغي للنساء أن تشهد صلاة الجماعة في المسجد، ولا بد لها من إذن زوجها، وإذا كان الحجاب والاحتشام واجباً في حق المرأة عموماً فلا بد منه عند خروجهن إلى المساجد، ولا تنشطب عند ذهابها إلى المسجد وقد استند مالك في ذلك إلى ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا نتمتع إمام الله مساجد الله» . وقوله: «إذا شهدت إحداكن صلاة العشاء، فلا تسن طيباً» .

وما روي أن امرأة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - كانت

تستأذن عمر في الذهاب إلى المسجد ، فيسكت ، فتقول : « والله لأخرجن إلا أن تمنعني ، فلا تمنعها » . الموطأ (٣٤٢/١) .

لما ما يحدث الآن من بعض النساء يخرجن إلى المسجد في كامل زينتهن ، فلا يجوز ذلك ، لما روي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : « لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء لمنعهن المساجد » . الموطأ (٢٤٣/١) .



الدعاء في الصلاة :

الدعاء مخ العبادة ، وقد أمرنا الله به فقال : ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ ، وقال : ﴿ وإذا سألت عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان ﴾ ، كما قال : ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيأ ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ﴾ .

هذا متفق عليه ولكن ما حكم الدعاء في الصلاة ؟

سئل مالك عن الدعاء في الصلاة المكتوبة - المفروضة - فقال : « لا بأس بالدعاء فيها » . الموطأ (٣٦١/١) .

ومذهبه رضي الله عنه جواز ذلك في صلاة الفرض أو النافلة بما شاء الداعي من أمر دينه ودنياه سواء كان الدعاء بما ورد في آيات القرآن الكريم أو غيره ، ولا تبطل صلاة الداعي ، بل فعله ذلك داخل تحت حث القرآن على الدعاء .

وهذا خلاف ما رأى بعض الأئمة من عدم جواز الدعاء بغير ما ورد في القرآن للمصلي .

وقد استدلل مالك على ما ذهب إليه بما صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا رفع رأسه من الركعة الأخيرة يقول : « اللهم أنت الوليد بن الوليد ، اللهم أنت المستضعفين من المؤمنين ، اللهم اشدد وطئتك على مضر ، اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف » روى البخاري .



الزكاة :

عرفها المالكية بأنها السبب الموصل لحل أكل الحيوان البري اختيلاً ، ويتم بأربع طرق :

● الأولى : الذبح ويكون في البقر والجاموس والضأن والماعز والطيور والوحش المقدوس عليه ما عدا الزرافة فإنها تنحر .

والذبح عبارة عن قطع الحلقوم والودجين من المقدم بمحدد بنية ولا بد أن يكون مسلماً ذاكر لاسم الله أو كتابي ذبيح ما يحل له بشرعنا وأن لا يبيل لغير الله ، وأن يذبح بحضرة مسلم عارف بأحكام الزكاة فلا يترك ذو الفطر إذا ذبحه يهودي كالبط والأوز لأن اليهود يحرمونه وثبت في شريعتنا تحريمه عليهم .

● الثانية : النحر ويكون في الإبل والزرافة والبقيلة ، ويكره في البقر والجاموس ، وهو عبارة عن طعن المسلم أو الكتابي بالشروط السابقة بلبه الحيوان بنية .

● الثالثة : العقر ويكون في الوحش غير المقدوس عليه إلا بعصر وهو جرح المسلم للحيوان الوحشي بمحدد أو حيوان حبيد معمل بنية ، وفي عقر الكتابي خلاف في الذبح بالجواز وعدمه .

● الرابعة : أي فعل سميت يعتبر ذكاة ما لا دم له كالخمراد مثلاً فذكاته إماته ينار أو أسنان أو غيرها ، وفي كل ما سبق لا بد من النية والتسمية من المسلم ، وما سبق من الشروط في الكتابي (اليهودي والنسبي) .



الرفاع :

الرفاع هو نزيف الأنف ، فإذا حدث للمصلي أثناء الصلاة فإنه يفته بأصابعه ، فإذا انقطع أكمل صلاته وإذا استمر قرأه بخارج من صلاته إذا كان متروكاً أو يستخلف إماماً من الصف الذي يليه ليصلي بالناس ، ويخرج فيفضل الدم في أقرب مكان مستقبها حالة الصلاة من عدم الكلام ثم يعود فيم صلاته بانياً على ما كان قد صلى فيه ثلاث ركعات إن كان قد أتم واحدة وهكذا .

هذا هو مذهب مالك رحمه الله مستدلاً بما رواه مالك عن نافع ، أن عبيد الله بن عمر كان إذا رغب الصرف قنوصاً ثم رجع فني ولم يتكلم ، وكذلك كان يفعل عبيد الله بن عباس .

وحدث مالك عن عبيد الرحمن بن حرملة الأسلمي أنه قال : رأيت سعيد بن المسيب يرفع فيخرج منه الدم حتى تحتظب أصابعه من الدم الذي يخرج من أنفه ثم يصلي ولا يتوضأ .



زكاة الخلي :

الخلي ما يتزين به وهو نوعان : محرم ومباح .
فالمحرم كالخواتم والأساور الذهبية للرجال والأواني والمزود والمكحلة عموماً تجب فيه الزكاة إذا بلغ نصاباً ، والنصاب عشرون مثقالاً وهو الدينار ، وإن كان الخنابلة يرون أن الدينار أصغر من المثقال .
ويراعى في النصاب الوزن لا القيمة ، ويخرج ربع العشر إذا حال عليه الحول .

لما المباح فللألمكية يرون أن لا زكاة فيه إلا في الأحوال الآتية :

● الأولى : أن يتكسر ولا يمكن إصلاحه إلا بسبكه مرة أخرى ، أو يمكن عوده بدون سبك ولكن لم ينو مالكه إصلاحه .

● الثانية : أن يكون معداً لتوابل الدهر وحوادثه لا للاستعمال ، أو لمن سيجد للمالك من زوجة وبنت مثلاً .

● الثالثة : أن يكون معداً لصدقات من يريد أن يتزوجها أو يزوجها

لوكده .

● الرابعة : أن ينوي به التجارة .

وقريب من هذا مذهب الإمام أحمد رضي الله عنه ، وفي المذاهب الأخرى اختلاف ليس بماله الآن .

سجود

سجود السهو :

عند المأكلية سجود السهو سنة للإمام والمفرد ، ويحمل الإمام عن المأموم سهو حال الإقضاء ، وعليه أن يشايح الإمام في سهوه ، وإن لم يترك حال السهو .

وأسيابه : نقص سنة مؤكدة ، أو سنتين خفيفتين فأكثر أو ركن من أركان الصلاة ، ولكن في الحالة الأخيرة لا يفي السجود وحده بل لا بد من الاتيان بالمقنوس سجدة كانت أم ركعة .

زيادة فعل ليس من جنس الصلاة كأكمل خفيف أو كلام خفيف أو بعض من الصلاة كركعة أو ركعتين فإن لم تكن الزيادة فريضة بل سورة الركعتين الأخيرتين فلا سجود عليه وزيادة ونقص بأن يجمع ما بين ما سبق من نقص وزيادة .

فإن كان السبب نقصاً أو نقصاً وزيادة فالسجود قبل السلام ، وعلى الساعي أن يسجد سجدتين ويتشهد بعدها بدون دعاء ، وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا نية عليه للسجود حيثل .

وإن كان السبب زيادة فقط فالسجود بعد السلام ولا بد من النية . ولكن إذا كان السهو في صلاة الجمعة - في غير حال الإقضاء - بأن أدرك ركعة فقط مع الإمام - في حالة النقص لا بد من سجوده في نفس الجامع الذي أدى فيه الجمعة .

وإن كان زيادة فيسجد في أي جامع كان ولا يجزئ سجوده في غير جامع تقام فيه الجمعة .

ش

الشهادة :

الشهادتان كثيرتان فقد وردت أحاديث صحيحة تفيد أن من مات دون دينه أو ماله أو أهله ، أو مات في وياه كالطاعون مثلاً أو بمرض مزمن أو بفرق فهو شهيد .

ولكن هؤلاء جميعاً شهداء بمعنى يبالون ثواباً في الآخرة يفضلون به عن غيرهم نظراً لصبرهم ودفاعهم عما يجب الدفاع عنه .

غير أن هناك نوعاً من الشهداء هو الذي يطلق عليه : الشهيد في سبيل الله ، وهو من قُتل في معركة مع العدو لتكوين كلمة الله هي العليا .

وهذا النوع في مذهب الإمام مالك قد حاز فضيلة تسقط فرض غسله وتكفئته والصلاة عليه ، ويعدا قال الشافعي أيضاً . وإن كان أبو حنيفة يقول بالصلاة عليه . وذكر بعض الأئمة أنه يغسل ويصل

عليه .

وقد استدلل مالك بما روى عن جابر بن عبد الله قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من قُتل أحد في ثوب واحد ثم يقول : أيهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد ، وقال : أنا شهيد على هؤلاء يوم القيامة ، وأمر بسدفهم بدعائهم ، ولم يغسلوا ولم يصل عليهم .

وهذا متفق عليه في المذهب فيمن خرج غازياً ، أما من غزي في عقر داره فاختلف فيه ، فقبل يغسل ويصل عليه وقيل إن دافع عن نفسه ولا يكفن ولا غسل وكفن .

ص

صيام أيام منى :

أيام منى هي الأيام الثلاثة التي تلي يوم النحر ، وفي مذهب مالك لا يجوز صيام هذه الأيام تطوعاً ، ومن صام يوماً منها تطوعاً فليفسط منى ذكر من نهاره ، وكذلك لا يصام اليومان الأول والثاني عن شذر معين أو غير معين ، بخلاف اليوم التالي فيصام عن الشذر واختلف قول مالك وأصحابه عن صومها (الأول والثاني) في صوم واجب الشنايع كالكفارة ولا تصام في القديرة .

وتصام هذه الأيام للتمتع في مشهور المذهب . وقد استدل مالك في ذلك إلى ما رواه في موطنه من حديث سليمان ابن يسار « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي عن صيام أيام منى » .

وحديث ابن شهاب « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبيد الله بن حذافة أيام منى يطوف بولاً إذا هي أيام أكل وشرب وذكر الله تعالى » .

ض

الضحى :

صلاة الضحى من النوافل غير التابعة للصلوات المفروضة وقد اختلف في حكمها . وبمنا هنا بيان مذهب مالك فيها .

فهي عند المالكية مندوبة ندباً أكيداً وليست سنة ، ووقتها وقت حل النافلة بعد شروق الشمس والأفضل تأخيرها حتى يمضي بعد طلوع الشمس مقدار ما بين دخول وقت العصر وغروب الشمس .

وأقلها ركعتان وأكثرها ثمان ، وما زاد على ذلك صح عند المالكية بدون كراهة .

وقد روى مالك ما ذكره عقيل بن أبي طالب أن أم هانئ بنت أبي طالب أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى عام الفتح ثمان ركعات وقالت وذلك ضحى .

وما روى عن عائشة أم المؤمنين أنها كانت تصل الضحى ثمان ركعات ثم تقول : لو نشر لي أبواي ما تركتكن .

وقد روي عن أبي هريرة أنه قال : «أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى أموت : صوم ثلاثة أيام من كل شهر ، وصلاة الصبح ، ونوم على وتر» .

ط

الطواف

الطواف حول الكعبة المشرفة - معنا الله بالطواف حولها - منه ما هو ركن من أركان الحج وهو طواف الإفاضة ، ومنه ما هو واجب وهو طواف القدوم عند دخول مكة المكرمة وذلك لمن أحرم بالحلج وحده ومعنى الواجب ما يجبر بالدم .

ومنه ما هو مندوب وهو طواف الوداع .

ونكي يقع الطواف صحيحاً لا بد من كونه سبعة أشواط ، فإن قل لا يجبر بالدم إن كان ركناً لم الطهارة من الخبثين الأصغر والأكبر ومن النجاسة في البدن والثوب وسر العورة وجعل البيت عن يسار الطائف وخروج يده عن الحجر والشاذوان - بناء محذوب لأصق يسالكعبة والوالاة وكون الطائف داخل المسجد .

ويجب صلاة ركعتين بعده والمشي للقادر .

ومن تعليل الحجر الأسود لمن تمكن منه أو لمسه أو التكيح عند محاذاته .

ظ

ظهور العورة في الصلاة :

العورة تختلف في الرجل عن المرأة وفي كل إما أن تكون مغلظة أو مخففة ، فبالنسبة للرجل المغلظة السوأتان والمخففة ما زاد عليها مما بين السرة والركبة وما حاذى ذلك من الخلف .

وبالنسبة للمرأة - الحرة - المغلظة جمع بدنها ما عدا الأطراف والصدر وما حاذاه من الظهر والمخففة لها هي الصدر وما حاذاه من الظهر والدراعين والعنق والرأس ومن الركبة إلى آخر القدم .

فمن صلى مكشوف العورة المغلظة كلها أو بعضها ولو قليلاً مع القدرة على الستر بطلت صلاته إن كان ذاكرًا ويعيدها وجوباً بقي وقتها ثم يخرج .

أما المخففة فإن كشفها كلاً أو بعضاً لا يبطل الصلاة رغم حرمة الكشف ويستحب له أن يعيد الصلاة في الوقت مستوراً .

ع

عشر أهل الذمة :

أهل الذمة من عهدوا على حفظ أسواقهم وأنفسهم بتظهير جسيمة

بذفعوها للمسلمين ، ومن بين عهدهم تنمية أسواقهم في أقاليم التي يقيمون فيها .

فإذا انتقلوا بتجارهم إلى أفاق المسلمين فيؤخذ منهم - غدير الجزية - العشر ، ويجوز للمحاكم أن يخفف من العشر في أنواع خاصة إذا احتاجت الجباة الإسلامية إليها .

ودليل ذلك عند مالك ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أخذ نصف العشر من التيط - أهل الشام الذين لم يسلموا - منس الحنيفة والزيت والعشر من غيرها أي غير الحنيفة والزيت .

فما حدث زمن عمر رضي الله عنه إجماع سكوتي وهو دليل عند جمهور المالكية والاحناف .

غ

الغلول

أخذ شيء من الغنمة قبل القسم المعروف شرعاً وقد حرمة القرآن الكريم وتوعد عليه فقال ﴿ وما كان لنبي أن يغفل ومن يغفل يات بما غل يوم القيامة ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ١٦١) .

وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم جزاء الغلول فقال في حديث طويل رواه مالك في الموطأ : « إن الغلول عار وتار وتشار (أي عيب وعار) على أهله يوم القيامة » .

ويجزم القليل والكثير ، فقد توفي رجل يوم عير فذكره للرسول صلى الله عليه وسلم فقال : « صلوا على صاحبكم » ، فتغيرت وجوه الناس ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « إن صاحبكم قد غل في سبيل الله » قال راوي الحديث : « فتحنا متاعه فوجدنا خرزات من خمر يود ما يساوي درهمين » .

فإن أخذ شيئاً وضبط قبل زده يؤذّب ويتصدق بمثله وإن كان الأثمة الآخرين قالوا يجرى متاعه كله .

وإن أراد زده قبل أن يضبط قبل منه وإن فات وقت الرد قبيعه ويتصدق بثمنه لتعم منفعة المسلمين بسد فاقة فقير من فقراتهم أو مرفق من مراقهم .

ف

فوائد الصلاة :

إذا كُتب بالإنسان تأخر سببه عن أداء بعض الصلوات ووجب عليه فضاؤها .

فعند المالكية يجب ترتيب الفوائت في نفسها قليلة كانت أو كثيرة بشرط التذكر للسابقة والقدرة على الترتيب وبأنهم إذا لم يرتب ، ولا تعاد التي قدمها على غيرها .

وبالنسبة للفوائت مع الحاضرة فإن قلت الفوائت بأن كانت خمساً فأقل فيجب ترتيبها مع الحاضرة وبأنهم إذا لم يفعل وتصح بشرط التذكر والقدرة .

أما إذا كان ناسياً فذكر أثناء أداء الحاضرة فإنه يقطعها إلا إذا كان قد أدى ثلاثاً من الرباعية فيتمها.

وإذا كانت أكثر من خمسة فلا يجب تقديمها على الحاضرة بل يندب تقديم الحاضرة إن تسع الوقت ويجب إن ضاق الوقت عن أدائها بعد الغلظة.

ويجب ترتيب الحاضرتين المشتركيتين الوقت كالظهور والعصر أو المغرب والعشاء.

ق

قصر الصلاة في السفر :

قصر الصلاة سنة مؤكدة عند المالكية أكد من صلاة الجماعة ويصلي منفرداً عافطة على القصر إن لم يجد من يصلي معه ممن يقصر ، ويكره الاقتداء بالقيم لأنه يلزمه الإتمام فطوت سنة القصر المؤكدة ويشترط لصحة القصر :

أن تكون المسافة ستة عشر فرسخاً أي ثمانين كيلومتراً ونصفاً ومائة وأربعين متراً ، (٤٨ ميلاً) .

ويصح القصر إن نقصت في حدود ثمانية أميال وستثنى من اشتراط المسافة أهل مكة ومنى ومزدلفة وأغصب إذا خرجوا في موسم الحج للوقوف بعرفة فيقصر حال غلبهم وإسباهم إذا مل عليهم عمل من أعمال الحج التي تؤدي في غير وطنهم .

ويصح القصر ولو كان السفر محرماً مع الإثم ويكره في المكروه ، ويشترط مجاوزة محل الإقامة .

ويشترط أيضاً عدم الاقتداء بغيره وإلا أثم .

ولا بد من نية القصر ونكفي في أول صلاة بقصرها كنية الصوم في أول ليلة من رمضان فإنها تكفي لباقى الشهر .

ك

الكفن :

هو ما يستر به الميت عند الدفن ، وقد تعددت الآراء في كيفية وكفه ، وسنعرض هنا رأي المالكية .

قالوا : الواجب ما يستر الميت ، ولكن يندب أن يكفن الرجل في خمسة أشياء : قميص له أكمام وإزار ، وعمامة لها عذبة قدر ذراع تطرح على وجهه ، ولغافتان .

وأن تكفن المرأة في سبعة أشياء : إزار ، وقميص ، وخمار ، وأربع لغائف .

ثم لكل منها حفاظ من قطعة من القماش فوق قطن يوضع بين القفدين .

ويستحب أن يكون الكفن أبيض ، ويكفن الميت فيما كان

عليه لصلاة الجمعة ، ولو كان قدماً .

ويندب تبخير الكفن ، وأن يوضع طيب داخل كل لفافة ، وعلى فطن يجعل بمناذله كأنفه وقفه وعيبيه وأذنيه وعرجه ، كما يندب ضمير شعر المرأة والغلاوة من علقها .

فقد روت عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب بيض : : ليس فيها قميص ولا عمامة .

أي أن الثلاثة غير القميص والعمامة والذي جعلهم يرون ذلك ما رواه جابر بن عبد الله قال : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي » ما أدخل حفرته فلم يره فأنحرج فوضعه على ركبتيه وألصقه قبضه .

وما قاله عبد الله بن عمرو بن العاص : لبث يقمص ويمؤزر ، ويلب في الثوب الثالث ، فإن لم يكن إلا ثوب واحد كفن فيه . الموطأ (٢ / ٢٢٧) .

ل

لبس الحرير والذهب والفضة واستعمالها :

يرى المالكية أن لبس الحرير للرجال لا يجل ولو لدفع أدى أولرفع مرض .

أما استعماله فلشهور عندهم تحريم الجلوس أو الاستناد عليه ولو فرش عليه شيء آخر .

وبعضهم أباح الجلوس عليه والاستناد ، أما جعله ستارة على نافذة ففته جائز بدون كراهة .

والنيس والاستعمال جائزان للسراة وكل ذلك في الحرير الطبيعي المنسج من دودة الفز .

وبالنسبة لبس الذهب والفضة :

فقالوا يجل للرجل النخع بالفضة في حدود درهمين على نية الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم ، أما الذهب فلا يجوز .

وبالنسبة للاستعمال فيجوز اتخاذ السن من الذهب إذا سقطت ويحرم استعمال ألواني الذهب والفضة الخالصة للرجال والنساء .

أما المطلبي بها أي الألواني المصنوعة من معدن آخر ولكنها طليت بالذهب والفضة ، فقبل بالخوار وقيل بالتحريم ، وهما قولان متساويان .

م

المسح على الخفين :

من الرخص التي نشأت بالنسبة لظهور المسح على الخفين . ويشترط لصحة المسح عليها عند المالكية :

أن يمكن تتابع المشي فيه بالألا يكون واسعاً جداً ، أو ضيقاً ، وأن يكون من الجلد فقط فلا يصح المسح على الجوارب عندهم ، وأن يكون ساتراً للقدم مع الكعبين فإذا بلغت خروقه قدر ثلث القدم لا يحس

عليه .

وأن يكون طاهراً ولا وجب إزالة النجاسة مع الذكر والقدرة وأن يلبسها على طهارة مائية .

ولا بد أن يقصد بلبسه التقاء برد أو حر أو حفظ عموماً لا مجرد الترفع .

ويجب أن يجمع طاهره كله لما مسح أسفلها لستحب .

ولا يفيد المسح عند الملكية بمدة محددة وإنما يندب نزاعها كل يوم جمعة لمن عليه حضور الجمعة أو كل أسبوع عموماً إلا لوجوب الفصل .



نقل الميت ونش القبر :

يجز المالكية نقل الميت قبل الدفن وبعده من مكان إلى آخر بشرط ثلاثة :

● أولاً : ألا يتغير حال نقله .

● ثانياً : ألا تنتهك حرمة بأن يكون فيه تحقير له .

● ثالثاً : أن يكون نقله لمصلحة بأن يغشى على قبره من تسرب ماء إليه أو ينقل إلى مكان ترجى بركته أو إلى مكان قريب من أهله لتسهيل زيارتهم له .

ولا يجوز نش القبر إذا تغير الميت ، فإن دفن معه مال يعطى مثله لصاحبه أو قيمته أما إذا كان ملكاً له فتزكك البوثة إلا إذا بقي الميت ولم يبق منه جزء محسوس فيجوز النش حينئذ للدفن والمشي عليه .

وأما الزرع والبناء عليه فلا يجوز ، لأنه يجرد الدفن صارا حساً لا يتصرف فيه بغير الدفن سواء بقي الميت أو فني .



الهدي :

ما يهدي من التعم للمحرم ويكون من الإبل والبقر والغنم ولا يجزئ من الإبل إلا ما أكمل خمس سنوات ودخل في السادسة ولا من البقر إلا ما له ثلاث سنوات ودخل في الرابعة ولو يوم ، ومن الضأن ما أكمل سنة ودخل في الثانية ولو يوم ، ومن المزم ما أكمل سنة ودخل في الثانية دخولا بينا شهر ونحوه .

وهو إما واجب كهدي الفتح والقران والهدي للزك واجب من الواجبات وكذلك المنذور .

وأما تطوع على جهة الترفع .

ووقت ذبحه ابتداء من يوم العيد ويستحب أن يكون بعد رمي جمرة العقبة ، ويمتد وقته إلى آخر اليوم الثالث من أيام العيد ، ولو فالت هذه الأيام ذبحه أيضاً .

ومكان الذبح « منى » إذا كان مسوقاً لإحرام الحج ووقف به أو تاتية بعرفة جزء من ليلة يوم النحر وأراد نحره في يوم من الأيام الثلاثة

السابقة وإلا ذبح بمكة في أي مكان بها وإن كان يستحب عند المروة .



الوتر :

الوتر سنة مؤكدة وهو أكد السن بعد ركعتي الطواف والعمره ، وهو ركعة واحدة يكره وصلها بالشفع ويندب أن يقرأ فيها بعد الفاتحة سورة الاخلاص والمعوذتين ووقته :

الاختياري يتدئ من بعد صلاة العشاء الصحيحة المؤداة بعد مغيب الشفق الأحمر ، فإن جمع للصلي العشاء مع المغرب أحر السوتر إلى أن يغيب الشفق ، ويمتد هذا الوقت إلى طلوع الفجر .

ووقته الضروري من طلوع الفجر إلى تمام صلاة الصبح ، فلو تذكر الوتر في صلاة الصبح تدب له قطعها ليصلي الوتر سواء كان متقرباً أو مأموماً أو بادئاً ويستخلف من يؤم الناس ويكره الجلوس فيه لمن قدر على القيام .

وتقدم الشفع عليه شرط كمال فكيره فعله دون أن يتقدمه شفع . ويندب تأخيره إلى آخر الليل لمن عاتته الاستيقاظ ليتم به صلاة الليل امتثالاً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « اجعلوا آخر صلاتكم من الليل وترأ » .

ولا تطلب الحاجة في الشفع والوتر إلا في رمضان .



اليمين :

اليمين هي الخلف والخلف إن كان بالله فهو إما لغو كأن يخلف على شيء يعتقد صحته ثم يظهر خلاف ما اعتقد ، أو يكون ذلك عادة من غير قصد يمين مثل لا والله بل والله فهذا لا كفارة فيه ولا يثم عليه قال تعالى ﴿ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ﴾ .

وأما يمين منعقدة وهو ما عهده مالك بقوله : « أن يخلف الرجل ألا يبيع ثوبه بعشرة دنانير ثم يبيع بذلك فهذا الذي يفكر صاحبه عن يمينه » وفيه يقول الله تعالى ﴿ ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ﴾ .

وهناك نوع ثالث وهو أن يخلف الإنسان عاتلاً بكذبه فهو يمين الغموس ، أي الذي لمس صاحبه في الإثم ، وفيه يقول مالك « فاما الذي يخلف على شيء وهو يعلم أنه إثم ، ويخلف على الكذب وهو يعلم ليرضي به أحداً ، أو ليعتذر به إلى معتذر إليه ، أو ليقطع به مالا فهذا أعظم من أن يكون فيه كفارة » الموطأ (٢٤٣/٣) .

والكفارة بها القرآن الكريم استكمالاً لسلاية السابقة : ﴿ فكفارتها إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة لمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تتشكرون ﴾ (سورة المائدة ، الآية ٨٩) .

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ - قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ - الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب - الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

ج - الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) .
وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ - المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وإرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً - إن أمكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ - ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(الرياض - المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل -
ص . ب (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ - أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .
٥ - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة
على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



السؤال الأول :

ما الدولة التي كان يطلق عليها اسم « إريتريا » في السابق ؟ وما اسمها في الوقت الراهن ، وفي أي سنة أطلق عليها الاسم الحالي ؟

السؤال الثاني :

أين تقع قبة « إفرست » ؟ .. وكم يبلغ ارتفاعها ؟ .. ولماذا سميت بهذا الاسم ؟

السؤال الثالث :

لماذا سمي « المعتزلة » بهذا الاسم ؟

السؤال الرابع :

المعروف أن كلمة « صائمون » هي صيغة من صيغ الجمع لكلمة « صائم » .. ما الصيغ الأخرى لجمع هذه الكلمة .

السؤال الخامس :

أذكر ثلاثة أحداث في التاريخ الإسلامي وقعت في شهر رمضان المبارك :

قسمية
مسابقة مجلة
الفصل
العدد (٥١)

• شاشح مصابقة الحد (٤٤) •

- فاز بالجائزة الأولى وفيه (٢٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخ عبد الله محمد الصانع ، ص. ب. (١٦١٢٧) - الرياض .
- وفاز بالجائزة الثانية وفيه (١٥٠٠) ألف وخمسة ريال سعودي الأخ الزاهي الرحوي من تونس ، حي العنشين بحي التحرير 307 - تونس .
- كما فاز بالجائزة الثالثة وفيه (١٠٠٠) ألف ريال سعودي الأخ ميرة أبو تيمان محمود محمد سالم من ططا ، ٧ شارع الحلال للساكن التعاونية ، أمام مصنع الكوكاكولا - مصر .
- وهناك سبع جوائز قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الأتية أمالهم :
 - من لبنان - معسكر الجليل ، بعلبك ، مدرسة شفاء عمر للبنات الأخ صالح علي صباح .
 - من السودان - خرطوم بحري ، مصلحة الغازات والمهمات الأخ محجوب عثمان محمد خير .
- من الأردن - جبل الحسين ، عمان الأخت خولة علي محمد مصطفى .
- من سورية - حلب ، بلدية حلب الأخ محمد حاج حيدى .
- من المغرب - المراقبة الجوية لسلطات والموائد ، ص. ب. 17 - أغادير الأخ حمري محمد .
- من سورية - دمشق الأخت نسرين فيصل شقير .
- من الجزائر - حي الخيبة رقم 8 - البليدة الأخ علي حاتم .
- بالإضافة إلى عشر جوائز قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتي ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أمالهم :
 - من الأردن ، الجامعة الأردنية كلية الآداب - عمان الأخ حسين سلمان سالم .
 - من السودان - جامعة أم درمان الإسلامية ، ص. ب. (٣٨٢) الأخ قسم الكريم محمد عبدالعال .
- من الإمارات العربية المتحدة - أبو ظبي الأخت رجاء سليم عدي .
- من قطر - قسم شرطة أم سعيد ، الشرطي حسين إلياس إبراهيم .
- من المغرب - الحمي الحسني ، بلوك 7 رقم 68 ، الناظور الأخ السلياني عمر محمد .
- من مصر - المنيا ، أرض سلطان ٤٢ شارع عدنان المالكي ، بقالة فؤاد يدوي الأخ عواد عودة النجلى .
- من المغرب - إعدافية ابن سودة فاس الأخ الأزمي محمد .
- من الجزائر ، 28 حي الإخوة ابن تركية المدينة الأخ ابن تركية عبدالحق بن محمد .
- من يشة - آل عبيد ، مدرسة مجاهد الأخ أحمد محمد أحمد ناصر .
- من تونس - عتيس ولاية المستير الأخ الحبيب الفرقي .

• أجوبة مصابقة الحد (٤٤) •

- ج ١ يتشكل الجزء الأكبر من الحرارة الأرضية من تلف المواد التسوية العميقة في الأرض ، واحتكاك الحركة الصخرية ، وقوى المد والجزر .
- ج ٢ يا صر إن لم تكن أكفاه شرقاً ففي المودة كاف من تكافيا الشاعر : ابن زيدون ، وعيوبته : ولادة بنت المستنكى .
- ج ٣ تفرق الصبية جميعاً إلا صبيّاً واحداً ساءه أمير المؤمنين ! لماذا لم تهرب مع رفيقك ؟ فاجابه الصبي : يا أمير المؤمنين لم أقصّل ذنباً فاحذرك ، وليست الطريق ضيقة فسوّع لك . فسر أمير المؤمنين .
- ج ٤ عمر بن عبد العزيز ولد عام ٥٦٢ هـ ولما تولى
- الخلافة عام ٨٩٩ هـ ، صعد إلى المنبر ، وقال : يا أيها الناس إني قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فاختاروا لأفككم . - فصاح من في المسجد صيحة واحدة : اخترتك يا أمير المؤمنين ، ورضينا بك .
- ج ٥ العبارة (بهر كعين) بمعنى العصف - العبارة (بفتح العين) بمعنى الدفعة .
- ج ٦ الشاعر : نُصَيْب وكان شديد السواد وجعله ذلك يمتنع للونه كثيراً على شاكلة قوله : فإن يك من لوني السواد فإني لكأنك لا يروى من الشك ذائقه
- ج ٧ علي بن محمد الأحمدي توفي حوالي ٨٩٠ هـ . ألف الشرح المشهور على غنية ابن مالك في النحو وصاح «منهج السالك» .
- ج ٨ من أسماء السفن عند العرب : السفينة ، الفلك ، البارجة ، القرقور ، العبدولية ،
- اليوصي ، المدرعات ، العبرة ، الخندي ، العالم ، القدس - الخ .
- ج ٩ للامدة ثلاث حالات هي : سائلة ، غازية ، صلبة ، كما اكتشف العلماء حالة رابعة هي : البلازما ، وهي حالة فيزيائية تسير وتتحرك كسائل وتتفاعل مع المواد الأخرى كمتحولات كيميائية مشتركة وتتأثر بالحقالات المغناطيسية والكهربائية الطبقية عليها ، وصميت هذه الخليطة بالبلازما لأنها تشبه ظاهراً السائل الموجود في الدم والذي تطوف فيه الكريات الحمراء والبيضاء .
- ج ١٠ الزمان والكان والحدث : الوحدات الثلاث التي أشار إليها أرسطو في كتابه «فن الشعر» ، هذه الوحدات يشترطها البعض في القصة ، والرواية ، والمسرحية .

TELEX 202600 DRFATH SI

DRFATH SJ ۲۰۲۶۰۰ تلکس

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

ريالات	٨	المملكة العربية السعودية
فلس	٦٠٠	الكويت
درهم	٦	الإمارات العربية المتحدة
ريالات	٧	قطر
فلس	٥٠٠	البحرين
بنة	٦٠٠	سلطنة عمان
فلس	١٥٠	الأردن
ريالات	٦	ج. ع. - الجنية
فلس	٨٠٠	ج. اليمن الديمقراطية الشعبية
مليم	٣٠٠	مصر
مليم	٣٠٠	السودان
درهم	٥	للغرب
مليم	٥٠٠	تونس
دنانير	٥	الجزائر
فلس	٤٠٠	العراق
ليرات	٥	سورية
ليرات	٥	لبنان
درهم	٨٠٠	سبا

تهامة

للإعلان والعلاقات العامة
وأبحاث التسويق